

مَوْسُوعَةٌ

الْمُنَاهِجُ لِشَرِّعِيَّتِنَا

فِي
صَحِيحِ السُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ

مُرْتَبَةً عَلَى الْأَبْوَابِ الْفَقَرِيَّةِ

تَأَلَّفَتْ
أَبْنَى أَسَامَةِ سَلِيمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْهَمَلَاءِ

المجلد الثالث

دار ابن عفان

للنشر والتوزيع

(٤٦) كتاب النكاح

٤٦٩ - باب تحريم التبتل والخصاء

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا نغزو مع النبي ﷺ ليس لنا نساء، فقلنا: يا رسول الله ألا نستخصي؟! فنهانا عن ذلك»^(١).

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «ردّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا»^(٢).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً؛ وقال آخر: أنا أصوم

(١) أخرجه البخاري (٥٠٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢).

الدَّهْرَ وَلَا أَفْطَرُ؛ وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزَلُ النِّسَاءَ وَلَا أَتَزُوجُ أَبَدًا.

فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قَلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُم لِلَّهِ وَأَتْقَاكُم لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطَرُ، وَأَصْلِي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزُوجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سِتِّي فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

● مِنْ فِقْهِ الْبَابِ:

١ - التَّبَتُّلُ: الْمُرَادُ بِهِ الْإِنْقِطَاعُ عَنِ النِّكَاحِ وَمَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الْمَلَاذِ إِلَى الْعِبَادَةِ، وَالْخِصَاءِ: هُوَ الشَّقُّ عَلَى الْإِنْثِيَيْنِ وَاتِّزَاعَهُمَا، وَالْمُرَادُ نَزْعُ الْآلَةِ الَّتِي يَقْتَضِي وَجُودَهَا اسْتِمْرَارَ وَجُودِ الشَّهْوَةِ؛ لِأَنَّ وَجُودَ الشَّهْوَةِ يَنْفِي الْمُرَادَ مِنَ التَّبَتُّلِ.

٢ - تَحْرِيمُ التَّبَتُّلِ وَالْخِصَاءِ؛ لِأَنَّ فِيهِ قَطْعَ الذَّرِيَةِ وَهِيَ مُحَبُّوبَةٌ شَرْعًا، وَفِيهِ تَعْذِيبُ النَّفْسِ وَالتَّشْوِيهِ مَعَ إِدْخَالِ الضَّرَرِ الَّذِي قَدْ يَفْضِي إِلَى الْهَلَاكِ، وَفِيهِ إِبْطَالُ مَعْنَى الرَّجُولَةِ، وَتَغْيِيرُ خَلْقِ اللَّهِ، وَكُفْرُ النِّعْمَةِ، وَالتَّشْبِيهِ بِالنِّسَاءِ.

٣ - يَسْتَفَادُ مِنْ أَحَادِيثِ الْبَابِ وَجُوبُ الزَّوْاجِ لِلْقَادِرِ عَلَيْهِ التَّائِقِ لَهُ.

٤ - لَيْسَ فِي الْإِسْلَامِ رَهْبَانِيَّةٌ؛ فَإِنَّ التَّارِكَ لِهَدْيِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْقَوِيمِ إِلَى رَهْبَانِيَّةِ النَّصَارَى الْخِيَارَى، خَارِجٌ مِنَ الْإِتْبَاعِ إِلَى الْإِبْتِدَاعِ.

٤٧٠ - بَابُ تَحْرِيمِ النِّكَاحِ دُونَ وَلِيِّ وَشَاهِدِي عَدَلٍ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠٦٣)، وَمُسْلِمٌ (١٤٠١).

نَكَحَتْ بغير إذن مواليتها فنكاحها باطل - ثلاث مرات - فإن دخل بها فالمهر لها بما أصاب منها، فإن تشاجروا فالسلطان ولي من لا ولي له»^(١).

وفي رواية: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل»^(٢).

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا نكاح إلا بولي»^(٣).

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٠٨٣)، والترمذي (١١٠٢)، وابن ماجه (١٨٧٩)، وأحمد (٤٧/٦ و ١٦٥ - ١٦٦)، والدارقطني (٢٢١/٣)، والبيهقي (٢٢٦٢)، وابن حبان (٤٠٧٤)، وابن الجارود (٧٠٠)، والحاكم (١٦٨/٢)، والبيهقي (١٠٥/٧) و ١١٣ و ١٢٤ - ١٢٥ و ١٣٨ وغيرهم.

من طريق ابن جريج عن سليمان بن موسى عن الزهري عن عروة عنها به.
قلت: إسناده صحيح، وقد أعله بعض أهل العلم بعلل لا تثبت أمام النقد العلمي.
وانظر: «الإحسان» (٣٨٥/٩ - ٣٨٦)، و«التلخيص الحبير» (١٥٧/٣).
ولم ينفرد سليمان بن موسى بل توبع: فقد تابعه جعفر بن ربيعة عند أبي داود (٢٠٨٤)، وأحمد (٦٦/٦)، والبيهقي (١٠٦/٧). وحجاج بن أرطاة عند ابن ماجه (١٨٨٠)، وأحمد (٢٥٠/١ و ٢٦٠/٦)، والبيهقي (١٠٦/٧ و ١٠٦ - ١٠٧).

(٢) صحيح - أخرجه ابن حزم (٤٩٥/٩)، والبيهقي (١٢٤/٧ - ١٢٥)، والدارقطني (٢٥٥/٣ - ٢٥٦)، وابن حبان (٤٠٧٥).

قلت: هي رواية صحيحة.

(٣) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٠٨٥)، والترمذي (١١٠١)، وابن ماجه (١٨٨١)، وابن حبان (٤٠٧٧ و ٤٠٧٨ و ٤٠٨٣ و ٤٠٩٠)، وابن الجارود (٧٠١ - ٧٠٤)، والطالسي (٥٢٣)، والدارقطني (٢١٨/٣ - ٢١٩)، والحاكم (١٦٩/٢ و ١٧٠ و ١٧١)، والبيهقي (١٧٠/٧ و ١٠٩) وغيرهم.

من طريق أبي إسحاق عن أبي بردة عنه به.

● من فقه الباب:

١ - النكاح دون ولي وشاهدي عدل باطل عند جمهور أهل العلم.

قال البغوي في «شرح السنة» (٤١/٩): «والعمل على حديث النبي ﷺ «لا نكاح إلا بولي» عند عامة أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، وهو قول عمر، وعلي، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وأبي هريرة، وعائشة وغيرهم.

وبه قال سعيد بن المسيب، والحسن البصري، وشريح، وإبراهيم النخعي، وقتادة، وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم.

وإليه ذهب ابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وسفيان الثوري، والأوزاعي، وعبدالله بن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق.

قلت: نقل الحافظ في «فتح الباري» (١٨٧/٩) عن ابن المنذر إجماع الصحابة على ذلك؛ فقال: «وذكر ابن المنذر أنه لا يعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك».

٢ - احتج أصحاب الرأي على قولهم: يجوز للمرأة تزويج نفسها بالقياس على البيع، فإنها تستقل به، وحملوا الأحاديث الواردة في اشتراط الولي على الصغيرة.

قلت: إسناده صحيح، وقد اختلف أهل العلم في وصله وإرساله، والراجح وصله؛ كما قرر البخاري والترمذي، والله أعلم.

وله شواهد من حديث: أبي هريرة، وابن عباس، وعلي بن أبي طالب، وابن عمر، وعائشة رضي الله عنهم.

قلت: وهو مردود بحديث معقل بن يسار رضي الله عنه؛ قال: «زوجت أختاً لي من رجل فطلّقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زَوِّجْتُكَ وَأَفْرَشْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ فطلّقتها ثم جئت تخطبها، لا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]؛ فقلت: الآن أفعل يا رسول الله قال: فزوّجها إياه»^(١).

قال البغوي في «شرح السنة» (٤٥/٩): «فيه دليل على أن النكاح لا يصح إلا بعقد ولي، ولو كان لها سبيل إلى تزويج نفسها، لم يكن لعضله معنى، ولا كان المنع يتحقق من جهته لوصولها إلى تزويج نفسها».

وقال الحافظ في «فتح الباري» (١٨٧/٩): «وقد اختلف العلماء في اشتراط الولي في النكاح فذهب الجمهور إلى ذلك وقالوا: لا تزوج المرأة نفسها أصلاً، واحتجوا بالأحاديث المذكورة، ومن أقواها هذا السبب المذكور في نزول الآية المذكورة، وهي أصرح دليل على اعتبار الولي وإلا لما كان لعضله معنى، ولأنها لو كان لها أن تزوج نفسها لم تحتج إلى أخيها، ومن كان أمره إليه لا يقال: إن غيره منعه منه».

قلت: فهذا الحديث رفع القياس ودفعه؛ كما قال الحافظ: «لكن حديث معقل المذكور رفع هذا القياس».

وكذلك أبطل التفريق بين الصغيرة والكبيرة، فإن أخت معقل لم تكن صغيرة، وهكذا يتساقط هذا القياس المعارض للنصوص الشرعية.

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٢٥٨/٦): «ولكنه قياس فاسد الاعتبار لحديث معقل هذا».

وقد رجع صاحباً أبي حنيفة يعقوب أبو يوسف ومحمد بن الحسن إلى ما اتفق عليه أهل العلم من الصحابة رضي الله عنهم وهو القول: لا نكاح إلا بولي.

قال الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١٣/٣): «وقد كان أبو يوسف رحمة الله عليه يقول: إن بضع المرأة إليها الولاء في عقد النكاح عليه لنفسها، دون وليها».

يقول: إنه ليس للولي أن يعترض عليها في نقصان ما تزوجت عليه عن مهر مثلها، ثم رجع عن قوله هذا كله إلى قول من قال: لا نكاح إلا بولي.

وقوله الثاني: هذا، قول محمد بن الحسن رحمة الله تعالى عليه، والله أعلم بالصواب».

٣ - وردت عن مالك رواية: إن كانت المرأة ذنيئة فلها أن تزوج نفسها، أو تأمر من يزوجه، وإن كانت شريفة فلا.

قال البغوي (٤٢/٩): «ولفظ الحديث عام في سلب الولاية عنهن من غير تخصيص».

٤ - قال البغوي (٤٢/٩): «وفي قوله: «فإن أصابها فلها المهر» دليل على أن وطأ الشبهة يوجب مهر المثل، ولا يجب به الحد، ويثبت به النسب».

٥ - وقال (٤٣/٩): وقوله: «فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له» هذا يؤكد ما ذكرنا من أن المرأة لا تبشر العقد بحال، إذ لو

صلحت عبارتها لعقد النكاح، لأطلق لها ذلك عند اختلاف الأولياء ولم يجعله إلى السلطان، وأراد بهذه المشاجرة مشاجرة العضل دون مشاجرة السبق، فإن الولي إذا عَضَلَ ولم يكن في درجته غيره كأن التزويج إلى السلطان لا إلى من هو أبعد من الأولياء.

٦ - قال الحافظ (١٨٨/٩): «وفي حديث معقل أن الولي إذا عَضَلَ لا يزوج السلطان إلا بعد أن يأمره بالرجوع عن العضل، فإن أجاب فذاك، وإن أصر زَوَّج عليه الحاكم، والله أعلم».

٧ - لا ينعقد النكاح حتى يكون شاهدا عدل حالة العقد، والله أعلم.

٨ - لا يجوز للمرأة أن تزوج المرأة كما أنه لا تزوج نفسها، لقوله ﷺ: « لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها، فإن الزانية هي التي تزوج نفسها»^(١).

٤٧١ - باب تغليظ تحريم التحليل

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الْمُحَلَّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ»^(٢).

- (١) صحيح - أخرجه ابن ماجه (١٨٨٢)، والدارقطني (٢٢٧/٣)، والبيهقي (١١٠/٧)، وصححه شيخنا في «إرواء الغليل» (١٨٤١) دون قوله: «فإن الزانية هي التي تزوج نفسها» ورجح وقفها على أبي هريرة البيهقي، والعظيم آبادي، وشيخنا.
- (٢) صحيح - أخرجه الترمذي (١١٢٠)، والنسائي (١٤٩/٦)، والدارمي (١٥٨/٢)، وأحمد (٤٤٨/١) و٤٦٢، والبيهقي (٢٠٨/٧)، وابن أبي شيبه (٢٩٥/٤). من طريق أبي قيس عن هذيل بن عبد الرحمن عنه به.

قلت: إسناده صحيح؛ صححه الترمذي، وابن القطان، وابن دقيق العيد، والحافظ، =

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «هو المحلل؛ لعن الله المحلل والمحلل له»^(١).

● من فقه الباب:

١ - تغليظ تحريم التحليل؛ لأن اللعن إنما يكون على كبيرة.

قال الترمذي: «والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعبدالله بن عمر وغيرهم.

وهو قول الفقهاء من التابعين، وبه يقول سفيان الثوري، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد وإسحاق».

٢ - المطلقة ثلاثاً لا تحل لزوجها الأول حتى تنكح زوجاً غيره فيطأها، وتذوق عسيلته ويذوق عسيلتها نكاح رغبة، فإن طلقها حلّ لزوجها الأول أن ينكحها، وإن أمسكها فلا يحل لزوجها الأول أن يطلب منه طلاقها.

= وغيرهم وهو كما قالوا.

وله شواهد من حديث أبي هريرة، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن عباس، وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم.

(١) حسن - أخرجه ابن ماجه (١٩٣٦)، والحاكم (١٩٨/٢)، والبيهقي (٢٠٨/٧).

من طريق الليث بن سعد قال لي أبو مصعب مشرح بن هاعان به.

قلت: إسناده حسن؛ لأن مشرح بن هاعان حسن الحديث؛ ولذلك حسنه عبدالحق الإشبيلي، وشيخ الإسلام، وهو كما قال.

٣ - من نكح المطلقة ثلاثاً ليحلها لزوجها الأول دخل في اللعن؛ لما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه جاءه رجل فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً، فتزوجها أخ له من غير مؤامرة منه ليحلها لأخيه هل تحل للأول؟ قال: «لا، إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ»^(١).

وسئل ابن عمر رضي الله عنه عن تحليل المرأة لزوجها؟ فقال: «ذلك السفاح، لو أدرككم عمر لنكلكم»^(٢).

وخالف أصحاب الرأي وقالوا: إنما هذا إحسان إلى أخيه المسلم، ورغبة في لمّ شعثه وشعث أولاده وعياله، فهو محسن وما على المحسنين من سبيل، فضلاً عن أن يلحقهم لعن رسول الله ﷺ.

قال بعض أهل العلم كما نقله الترمذي: «ينبغي أن يرمى بهذا الباب من قول أصحاب الرأي».

وقال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٢٧٧/٦): «ولا يخفak أن هذا كله بمعزل عن الصواب بل هو من المجادلة بالباطل البحت، ودفعه لا يخفى على عارف».

٤ - قال بعض أهل العلم إذا تزوج الرجل المرأة ليحللها، ثم بدا له أن يمسكها فلا يحل له أن يمسكها حتى يتزوجها بنكاح جديد.

قلت: والراجح خلافه أنه يمسكها ولا يلزمه عقد جديد؛ كما ثبت عن عمر بن الخطاب أن امرأة أرسلت إلى رجل فزوجته نفسها ليحلها

(١) صحيح - أخرجه الحاكم (١٩٩/٢)، والبيهقي (٢٠٨/٧) بإسناد صحيح.

(٢) صحيح - أخرجه ابن أبي شيبه (٢٩٤/٤)، بإسناد صحيح.

لزوجها فأمره عمر بن الخطاب أن يقيم معها ولا يطلقها وأوعده أن يعاقبه إذا طلقها فصح نكاحه ولم يأمره باستثنائه^(١)، واللّه أعلم.

* فائدة:

يسمى التحليل في بلاد الشام: «التجشيش»، وفي بلاد العجم: «الحلالة».

٤٧٢ - باب تحريم الخطبة على خطبة الرجل المسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد، ولا تناجشوا، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها»^(٢).

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب بعضكم على خطبة بعض»^(٣).

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر»^(٤).

● من فقه الباب:

١ - تحريم الخطبة على الخطبة، وصورتها: أن يطلب فسخ

(١) «نيل الأوطار» ٢٧٦/٦.

(٢) أخرجه البخاري (٢١٤٠)، ومسلم (١٤١٣).

(٣) البخاري (٥١٤٢)، ومسلم (١٤١٢).

(٤) مسلم (١٤١٤).

الخطبة الأولى؛ ليخطبها هو بعدما ركنت إلى الخاطب الأول، ورضيت به.

٢ - تجوز خطبة المرأة المخطوبة في حالتين:

أ - أن يأذن الخاطب الأول في ذلك.

ب - أن يترك الخاطب الأول خطبتها.

٤٧٣ - باب تحریم وطء السبايا حتى يستبرئها والحامل حتى تضع

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال في سبي أوطاس: «لا توطأ حاملٌ حتى تضع، ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة»^(١).

عن رويغ بن ثابت الأنصاري عن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقين ماءه ولد غيره»^(٢).

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه أتى^(٣) بامرأة

(١) صحيح لغيره - أخرجه أبو داود (٢١٥٧)، وأحمد (٦٢/٣)، والدارمي (١٧١/٢)، والحاكم (١٩٥/٢)، والبيهقي (٤٤٩/٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٣٩٤).

من طريق شريك عن قيس بن وهب عن أبي الوداك عنه به.
قلت: إسناده ضعيف؛ فيه شريك بن عبد الله القاضي وهو سيء الحفظ، ولكن له شواهد من حديث ابن عباس، والعرباض بن سارية، وأبي هريرة، وعلي بن أبي طالب، ومرسل الشعبي، وهو بمجموع ذلك صحيح إن شاء الله.

(٢) مضي تخريجه (٢ / ٤٥٣ - ٤٥٤) في كتاب فرض الخمس.

(٣) مر عليها في بعض أسفاره.

مُجَّح^(١) عل باب فسطاط^(٢) فقال: «لعله يريد أن يُلَمَّ بها^(٣)؟» فقالوا: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «لقد هممت أن ألعنه لعناً يدخل معه قبره، كيف يورثه وهو لا يحل له^(٤)؟ كيف يستخدمه وهو لا يحل له^(٥)»^(٦).

● من فقه (الباب).

١ - الزوجان إذا سبيا أو أحدهما رفع النكاح بينهما؛ لأنه أبيح للسابي وطء السبي بعد أن تضع الحمل أو تحيض حيضة من غير فصل وفيهن ذوات أزواج.

٢ - استحداث الملك في الأمة يوجب الاستبراء، فلا يجوز لمن ملكها أن يطأها ما لم يمض زمان الاستبراء.

قال البغوي في «شرح السنة» (٣٢١/٩): «اتفق أهل العلم على تحريم الوطأ على المالك في زمان الاستبراء».

٣ - وطأ الحبالى من السبايا لا يجوز.

٤ - وطأ السبايا الحبالى قد يلحق بالقوم من ليس منهم أو

(١) حامل قد قربت ولادتها.

(٢) بيت الشعر.

(٣) يطؤها.

(٤) يحتمل أن يكون الولد ممن كان قبل السابي، فبالوطء يظن أنه ولده فيتوارثان ولا يحل ذلك بينهما لعدم القرابة، بل له أن يستخدمه؛ لأنه مملوكه.

(٥) يحتمل أن يكون الولد منه فيظن أنه ممن كان قبله فيستخدمه استخدام العبيد مع أنه لا يحل له لكونه ولده، ولذلك يحرم وطؤها خوفاً من هذا المحذور.

(٦) مسلم (١٤٤١).

يجعلوهم يتبرؤون ممن هو منهم، ففيه اختلاط الأنساب وهو محظور.

٥ - استبراء الحامل يكون بوضع الحمل، واستبراء الحائل إذا كانت ممن تحيض بحيضة.

* فائدة: استدل بعض أهل العلم بأن الحامل لا تحيض، ولذلك إذا رأت دمًا لا يكون حيضاً، لأن الشرع جعل براءتها الوضع، والحيض براءة الحائل، ولو كان يجتمع الحيض والحمل لم يصلح أن يكون دليلاً على البراءة. وقالوا: لذلك لا يجوز لها ترك الصلاة والصوم إذا رأت الدم على الحبل كالمستحاضة. قلت: وهو قوي وحسن، والله أعلم.

* فائدة أخرى: صنف ابن قيم الجوزية في المسألة كتاباً أشار إليه في «تهذيب السنن» (٣ / ١٠٩) فقال: «وقد أفردت لمسألة الحامل هل تحيض أم لا؟ مصنفاً مفرداً».

٤٧٤ - باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح»^(١).

وفي رواية: «إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع»^(٢).

وفي أخرى: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى

(١) البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦) (١٢٢).

(٢) البخاري (٥١٩٤)، ومسلم (١٤٣٦).

عنها»^(١).

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذي قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل»^(٢)، يوشك أن يفاركك إلينا»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها ولم يكن بها عذر شرعي؛ لأن أقوى الأمور التي تشوش على الرجل داعية النكاح، ولذلك حصّ الشارع المرأة على مساعدة زوجها في ذلك لغض بصره، وحفظ فرجه.

٢ - صبر الرجل على ترك الجماع أضعف من صبر المرأة، ولذلك فإن امتناع المرأة من فراش زوجها كبيرة يجعلها تستحق غضب الله.

٣ - لا ينبغي للمرأة أن تتعذر بانشغالها في أمور بيتية لتضيع حق زوجها، فإن الأمور تتفاوت في الأهمية، فبعضها فوق بعض، ولذلك روى طلق بن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دعا

(١) مسلم (١٤٣٦) (١٢١).

(٢) ضيف ونزيل.

(٣) صحيح - أخرجه الترمذي (١١٧٤)، وابن ماجه (٢٠١٤)، وأحمد (٢٤٢/٥).

من طريق إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة الحضرمي عنه به.

قلت: إسناده صحيح؛ لأن رواية إسماعيل عن الشاميين صحيحة، وهذه منها؛ فإن بحير بن سعد شامي ثقة، كما نص على ذلك علي بن المديني، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وابن معين، والفسوي، وعثمان بن سعيد الدارمي، وغيرهم.

الرجل زوجته لحاجته^(١) فلتأته وإن كانت على التنور^(٢)»^(٣).

* فائدة: أوّل بعض المبتدعة قوله ﷺ: «الذي في السماء» الوارد في رواية مسلم بالملائكة، وهو تأويل فاسد، والمراد به: الله جل جلاله؛ كما بينت ذلك مفصلاً ومقاتلهم ومبيناً ضلالتهم في كتابي «بهجة الناظرين» (١/٣٦٧ - ٣٦٨)؛ فانظره غير مأمور.

٤٧٥ - باب المحرمات من النساء

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۚ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ۚ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ غَيْرُكُمْ ۚ﴾ [النساء: ٢٢-٢٥].

عن أم حبيبة قالت: قلت: يا رسول الله هل لك في بنت أبي سفيان؟ قال: فأفعل ماذا؟ قلت: تنكح؟ قال: أتحبين؟ قلت: لست لك بمُخْلِية، وأحبُّ من شركني فيك أختي؟ قال: إنها لا تحلّ لي؛ قلت: بلغني أنك تَخْطُبُ؟ قال: ابنة أم سلمة؟ قلت: نعم؛ قال: «لو لم تكن ربيتي ما حلت لي، أَرْضَعْتَنِي وإياها ثوبية، فلا تعرضن عليَّ بناتكن ولا أخواتكن»^(٤).

(١) ما يحتاجه منها مما يجب عليها القيام به، والمراد: الجماع.

(۲) ما یخیز فیہ .

(٣) صحيح - أخرجه الترمذي (١١٦٠)، والنسائي في «الكبرى» (٢٥٤/٤) - تحفة الأشراف) وغيرها. من طرق عن قيس بن طلح عن أبيه به. قلت: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٥١٠٦)، ومسلم (١٤٤٩).

عن علي رضي الله عنه؛ قال: قلت يا رسول الله مالك تنوّق^(١) في قریش وتدعنا؟ فقال: «وعندكم شيء^(٢)؟» قلت: نعم بنت حمزة؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنها لا تحل لي؛ إنها ابنة أخي من الرّضاة»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - حَرْمٌ من النسب سبع وهن: الأم، والبنت، والأخت، والعمة، والخالة، وبنت الأخ، وبنت الأخت.

٢ - حَرْمٌ من الصّهر سبع وهن: أم الزوجة، وبنت الزوجة التي في الحجر، وابنة الابن من الصلب، وزوجة الأب، وأخت الزوجة، وعمتها، وخالتها.

٣ - يحرم من الرّضاة ما يحرم من النسب كالأم من الرضاة، والأخت، والبنت، والعمة، والخالة، وبنت الأخ والأخت.

٤ - كل ذلك على التأييد إلا الجمع بين الأختين، والمرأة وخالتها أو عمتها وامرأة الغير فذلك مؤقت وسيأتي في باب مستقل إن شاء الله.

٥ - قال الحافظ في «فتح الباري» (٩/١٥٤ - ١٥٥): «ويلتحق بمن ذكر موطوءة الجد وإن علا، وأم الأم ولو علت، وكذا أم الأب وبنت الابن ولو سفلت، وكذا بنت البنت، وبنت بنت الأخت ولو

(١) تبالغ في الاختيار.

(٢) هل عندكم امرأة تليق بي، وتحل لي.

(٣) أخرجه مسلم (١٤٤٦).

وله شاهدان من حديث ابن عباس، وأم سلمة.

سفلت، وكذا بنت الأخ وبنت ابن الأخ والأخت، وعمة الأب ولو علت، وكذا عمة الأم وخالة الأم ولو علت، وكذا خالة الأب، وجدة الزوجة ولو علت، وبنت الربية ولو سفلت، وكذا بنت الربيب، وزوجة ابن الابن، وابن البنت».

٦ - واختلف في صفة الربية هل هي بنت الزوجة مطلقاً أم التي تكون في الحجر؟

والآية تدل على تحريم الربية بشرطين:

أ - أن تكون في الحجر.

ب - الدخول بالأم.

ولذلك فهي لا تحرم إلا بشرطين فلا تحرم بوجود أحدهما، والله أعلم.

وهذا مذهب قوي صريح لكنهم ردّوه بدعوى الإجماع؛ قال الحافظ في «فتح الباري» (١٥٨/٩): «ولولا الإجماع الحادث في المسألة ونذرة المخالف لكان الأخذ به أولى».

قلت: لا إجماع وقول الجمهور لا يسمى كذلك فقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٤٨٢/١١): «وهذا هو مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة وجمهور السلف والخلف».

وقد قيل: بأنه لا تحرم الربية إلا إذا كانت في حجر الرجل فإذا لم يكن كذلك فلا تحرم، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أنبأنا هشام: يعني ابن يوسف عن ابن جريج حدثني إبراهيم بن عبيد بن رفاعه أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان قال: كانت عندي امرأة فتوفيت؛ وقد ولدت لي فوجدت عليها، فلقيني علي

ابن أبي طالب؛ فقال مالك: فقلت: توفيت المرأة؛ فقال علي: لها ابنة؟ قلت: نعم، وهي بالطائف؛ قال: كانت في حجرك؟ قلت: لا هي بالطائف؛ قال: فانكحها؛ قلت: فأين قول الله: ﴿وَرَبِّكُمْ أَلْتَقِيَ فِي حُجُورِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]؛ قال: إنها لم تكن في حجرك إنما ذلك إذا كانت في حجرك.

هذا إسناد قوي ثابت إلى أبي طالب على شرط مسلم، وهو قول غريب جداً، وإلى هذا ذهب داود بن علي الظاهري وأصحابه، وحكاه أبو القاسم الرافعي، عن مالك رحمه الله، واختاره ابن حزم.

وحكى لي شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي: أنه عرض هذا على الشيخ الإمام تقي الدين بن تيمية رحمه الله؛ فاستشكله، وتوقف في ذلك، والله أعلم^{أ. هـ}.

٧ - من تزوج بمحرم أو زنى بها ففيه العقوبة المغلظة، وهي: القتل، وأخذ ماله؛ لحديث البراء؛ قال: لقيت خالي أبا بردة، ومعه الراية؛ فقلت: إلى أين؟ قال: «أرسلني رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن أقتله أو أضرب عنقه»^(١).

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٤٥٧)، والترمذي (١٣٦٢)، والنسائي (١٠٩/٦)، وابن ماجه (٢٦٠٧)، وأحمد (٢٩٥/٤)، والحاكم (١٩١/٢)، والبيهقي (١٦٢/٧)، وابن حبان (٤١١٢) وغيرهم.

من طرق عن عدي بن ثابت عنه به.

قلت: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات.

٤٧٦ - باب ما يحرم الجمع بينهن من النساء

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْنَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣].

عن عائشة رضي الله عنها: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمَنِ﴾ [النساء: ٣]، قالت: هي اليتيمة تكون عند الرجل وهو وليها، فيتزوجها على مالها، ويسمى صحبتها، ولا يعدل في مالها، فليتزوج ما طاب له من النساء سواها مثنى وثلاث ورباع^(١).

عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية، فأسلمن معه، فأمره النبي ﷺ أن يتخير منهن أربعاً^(٢)».

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها»^(٣).

عن جابر رضي الله عنه: قال: «نهى رسول الله ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها أو على خالتها»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٨).

(٢) صحيح - أخرجه الترمذي (١١٢٨)، وابن ماجه (١٩٥٣)، وأحمد (١٤/٢) و٤٤ و٨٣)، والدارقطني (٢٦٩/٣) و٢٧٠ و٢٧١، وابن حبان (٤١٥٦)، والحاكم (١٩٢/٢ - ١٩٣)، والبيهقي (١٨٣/٧)، والبغوي (٢٢٨٨)، والطبراني (١٣٢٢١)، وغيرهم من طرق عنه. قلت: وهو صحيح صححه ابن حبان، وابن القطان، والحاكم، والبيهقي وغيرهم.

(٣) أخرجه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨).

(٤) البخاري (٥١٠٨).

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن تزوج المرأة على العمة والخالة؛ قال: «إنكن إذا فعلتن ذلك قطعتن أرحامكن»^(١).

عن فيروز الديلمي قال: أتيت النبي ﷺ؛ فقلت: يا رسول الله إني أسلمت وتحتي أختان؛ قال رسول الله ﷺ: «طَلَّقْ أَيْتَهُمَا شَتَّ»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - يحرم على الرجل المسلم أن يجتمع عنده أكثر من أربع نسوة، فقد أجمعت الأمة المحمدية على ذلك وخالف بعض خبياء الرافضة وهم ليسوا في العير ولا في النفير.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٣٩/٩): «فمعنى الآية: انكحوا اثنتين اثنتين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة، فالمراد الجميع لا

(١) حسن لغيره - أخرجه الترمذي (١١٢٥)، وأحمد (٣٧٢/١)، وابن حبان (٤١١٦)، والطبراني في «الكبير» (١١٩٣١).

من طريق أبي حريز أن عكرمة حدثه عن ابن عباس.
قلت: إسناده ضعيف؛ لكن أبا حريز على ضعفه يصلح للاعتبار.
وقد تابعه خصيف عند أبي داود (٢٠٦٧)، وأحمد (٢١٧/١).

وجابر الجعفي عند الطبراني (١١٨٠٥).

وبالجملة؛ فالحديث حسن بمجموع ذلك، والله أعلم.

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٢٤٣)، والترمذي (١١٣٠)، وابن ماجه (١٩٥١)، وأحمد (٢٣٢/٤)، والدارقطني (٢٧٣/٣)، والبيهقي (١٨٤/٧)، وابن حبان (٤١٥٥) وغيرهم.

قلت: وهو صحيح.

المجموع، ولو أريد مجموع العدد المذكور لكان قوله مثلاً تسعاً أرشق وأبلغ . . . واحتجاجهم بأن الواو للجمع لا يفيد مع وجود القرينة الدالة على عدم الجمع، وبكونه ﷺ جمع بين تسع، معارض بأمره من أسلم على أكثر من أربع بمفارقة ما زاد على الأربع، وقد وقع ذلك لغيلان بن سلمة وغيره؛ كما خرج في كتب السنن؛ فدل على خصوصيته ﷺ بذلك.

قال زين العابدين بن علي بن الحسين رضي الله عنهما: يعني مثني أو ثلاث أو رباع^(١).

قال الحافظ: «وهذا من أحسن الأدلة في الرد على الرافضة؛ لكونه من تفسير زين العابدين، وهو من أئمتهم الذين يرجعون إلى قولهم ويعتقدون عصمتهم».

وقال ابن عباس: «ما زاد على أربع؛ فهو حرام كأمه، وابنته، وأخته»^(٢).

٢ - يحرم الجمع بين الأختين أو المرأة وعمتها أو خالتها لا أعلم خلافاً بين أهل العلم المتبوعين إلا من شذ من الروافض والخوارج ولا يعتد بخلافهم؛ فإنهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

٣ - الحكمة في عدم الجمع بين الأختين أو المرأة وعمتها أو خالتها خشية القطيعة، فإن وقوع التنافس بين الضرائر عادة، وذلك يوجب القطيعة.

(١) علقه البخاري (١٣٩/٩).

(٢) علقه البخاري (١٥٣/٩)؛ وقال الحافظ: «وصله الفريابي، وعبد بن حميد بإسناد

- ٤ - كره بعض أهل العلم الجمع بين القرابة خشية الضغائن، ولكن الحلال ما أحله الله ورسوله، وكذلك الحرام.
- ٥ - من أسلم وتحتة أختان اختار واحدة وطلق الأخرى.

٤٧٧ - باب تحريم نكاح الشغار

عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ نهى عن الشغار. والشغار: أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق»^(١).

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «لا شغار في الإسلام»^(٢).

عن عبدالرحمن بن هرمز الأعرج أن العباس بن عبد الله بن العباس أنكح عبدالرحمن بن الحكم ابنته وأنكحه عبدالرحمن ابنته، وكانا جعلاً صداقاً، فكتب معاوية إلى مروان يأمره بالتفريق بينهما، وقال في كتابه: هذا الشغار الذي نهى عنه رسول الله ﷺ»^(٣).

- (١) أخرجه البخاري (٥١١٢)، ومسلم (١٤١٥). وله شاهد من حديث أبي هريرة عند مسلم (١٤١٦)، وآخر عن جابر بن عبد الله عنده (١٤١٧).
- (٢) صحيح - أخرجه ابن ماجه (١٨٨٥)، والنسائي (١١١/٦)، والبيهقي (٢٠٠/٧)، وابن حبان (٤١٥٤)، من طريقين عنه وهو صحيح.
- (٣) حسن - أخرجه أبو داود (٢٠٧٥١)، وأحمد (٩٤/٤)، والبيهقي (٢٠٠/٧)، وابن حبان (٤١٥٣)، والطبراني (٨٠٣/١٩)، وغيرهم.
- من طريق يعقوب بن إبراهيم حدثني أبي عن ابن إسحاق حدثني عبدالرحمن بن هرمز به.
- قلت: إسناده حسن.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا جلب وجنب ولا شغار، ومن انتهب نهبة فليس منا»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم نكاح الشغار وسمى بذلك؛ لخلوه من الصداق، وقيل مأخوذ من أصله اللغوي فالشغار أصله في اللغة الرفع، يقال شغر الكلب إذا رفع رجله ليبول، وشغرت المرأة إذا رفعت رجلها عند الجماع، كأنه قال: لا ترفع رجل بنتي حتى أرفع رجل بنتك.

والأول هو الصواب حيث ورد تفسيراً في الحديث؛ فإن كان مرفوعاً فهو المقصود، وإن كان موقوفاً فمقبول؛ لأن راوي الحديث أعلم بالمقال، وأقعد بالحال.

٢ - ذكر البنت في تفسير الشغار هو مثال، وقد اتفق أهل العلم على أن غير البنت كالأخت وبنت الأخ وغيرهم كالبنات في ذلك.

٣ - نكاح الشغار باطل، ولذلك يفرق بينهما، كما ثبت عن معاوية رضي الله عنه، وهو قول جمهور أهل العلم.

= رجاله ثقات غير محمد بن إسحاق وهو صدوق، وكان يدلّس، لكنه صرح بالتحديث؛ فزالت شبهة تدليسه.

(١) مضي تخريجه (٢ / ٤٣٨).

٤٧٨ - باب تحريم المتعة وبيان أن إباحتها منسوخة

عن علي رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الإنسية»^(١).

عن الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه: «أن رسول الله ﷺ نهى عن المتعة»، وقال: ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة، ومن كان أعطى شيئاً فلا يأخذه»^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم نكاح المتعة إلى يوم القيامة وما وقع من إباحة ذلك لهم نسخ باتفاق أهل العلم من أهل السنة.

٢ - وفتوى ابن عباس رضي الله عنه بإباحتها مرجوع عنها؛ فقد ثبت رجوعه، وثبت النهي عنها عنه^(٣).

٣ - نكاح المتعة، هو: أن تنكح المرأة بـبِضَاقِ قَلٍّ أو كثر إلى أجل.

٤ - أباح الروافض نكاح المتعة وجعلوه أصلاً في دينهم:

أ - من أركان الإيمان عندهم فيذكرون أن جعفر الصادق قال: «ليس منا من لم يؤمن بِكَرَّتِنَا»^(٤)، ولم يستحل متعتنا»^(٥).

ب - ويزعمون أنها عوض عن المسكرات؛ فعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر قال: «إن الله رأف بكم فجعل المتعة عوضاً لكم من

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٦ و ٥٥٢٣)، ومسلم (١٤٠٧).

(٢) مسلم (١٤٠٦) (٢٨).

(٣) انظر لزماً «نيل الأوطار» (١٦٩/٦ - ١٧٠).

(٤) يقصد الرجعة.

(٥) انظر «من لا يحضره الفقيه» (١٤٨/٢)، و«وسائل الشيعة» (٤٣٨/٤)، و«تفسير الصافي» (٣٤٧/١).

الأشربة»^(١).

ت - ولم يكتفوا بإباحتها بل رتبوا على تركها وعيداً شديداً قالوا:
«من خرج من الدنيا ولم يتمتع جاء يوم القيامة وهو أجدع»^(٢).

ث - وجعلوا لفاعلها أجراً عظيماً حتى زعموا أن من تمتع أربع
مرات كان أجره كرسول الله ﷺ ونسبوا هذه الفرية إلى رسول الله ﷺ:
«من تمتع مرة كان درجته كدرجة الحسين عليه السلام، ومن تمتع مرتين
فدرجته كدرجة الحسن، ومن تمتع ثلاث مرات كان درجته كدرجة
علي، ومن تمتع أربع مرات كانت درجته كدرجتي»^(٣).

ج - وعندهم جواز التمتع بالأبكار دون إذن أوليائهن.
عن زياد بن أبي الحلال قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام
يقول: «لا بأس أن يتمتع بالبكر ما لم يُفَضَّ إليها كراهية العيب على
أهلها»^(٤).

خ - ولا يوجد في مِلَّة من الملل ما يبيح الزواج من المرأة
المتزوجة إلا مذهب مَزْدَك للإباحية الجنسية عنده ... ولكن دين
الشيعة يبيح ذلك.

عن يونس بن عبد الرحمن، عن الرضا عليه السلام قال: قلت له:
المرأة تتزوج متعة فينقضي شرطها، وتتزوج رجلاً آخر قبل أن تنقضي
عدتها؟

(١) «الروضة من الكافي» (ص ١٥١)، و «وسائل الشيعة» (٤٣٨/١٤).

(٢) «منهج الصادقين» فتح الله الكاشاني، (ص ٣٥٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) «الفروع من الكافي» (٤٦/٢)، «وسائل الشيعة» (٤٥٧/١٤).

قال: «وما عليك، إنما إثم ذلك عليها»^(١).

وعن فضل مولى محمد بن راشد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت: إني تزوجت امرأة متعة فوقع في نفسي أن لها زوجاً ففتشت عن ذلك فوجدت لها زوجاً؟ قال: ولم فتشت؟»^(٢).

د - ويجيزون التمتع بالزواني والمومسات.

عن إسحاق بن جرير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن عندنا بالكوفة امرأة معروفة بالفجور أيحل أن أتزوجها متعة؟! قال: فقال: «رفعت راية؟».

قلت: لا، لو رفعت راية أخذها السلطان. قال: «نعم تزوجها متعة!»!

قال: ثم أصغى إلى بعض مواليه، فأسر إليه شيئاً، فلقيت مولاه، فقلت له: ما قال لك؟ فقال: إنما قال لي: «ولو رفعت راية ما كان عليه في تزويجها شيء إنما يخرجها من حرام إلى حلال»^(٣).

وعن الحسن بن ظريف قال: «كتبت إلى أبي محمد عليه السلام: قد تركت التمتع ثلاثين سنة ثم نشطت لذلك وكان في الحي امرأة وُصفت لي بالجمال، فمال قلبي إليها، وكانت عاهراً لا تمنع يد لامس فكرهتها ثم قلت: قد قال الأئمة عليهم السلام: تمتع بالفاجرة فإنك تخرجها من حرام إلى حلال، فكتبت إلى أبي محمد عليه السلام

(١) «من لا يحضره الفقيه» (١٤٩/٢)، «وسائل الشيعة» (٤٥٦/١٤).

(٢) المصدر السابق، (٤٥٧/١٤).

(٣) المصدر السابق نفسه (٤٥٥/١٤).

أشاوره في المتعة وقلت: أيجوز بعد هذه السنين أن أمتع؟ فكتب:
إنما تحيي سنة وتميت بدعة فلا بأس!^(١)

ذ - بل يبيحون إغارة الفروج - عياداً بالله - وقد وردت روايات
في كتبهم المعتمدة منها:

عن الحسن العطار قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن عارية
الفرج فقال: لا بأس به. فقلت: فإن كان منه الولد؟ قال: لصاحب
الجارية إلا أن يشترط عليه»^(٢).

وهكذا يظهر أن المتعة عند الشيعة فوضى سلوكية وإباحة جنسية
تحت ستار التمتع الذي طرحوا عليه صبغة الدين ظلاماً وتدليساً.

وما كنت لأسوق هذا المرويات - المنسوبة كذباً لآل البيت الذين
طهرهم الله من رجس الرافضة وخبثهم - التي تחדش الحياء لولا تبجح
بعض المتسبين لأهل السنة بأن الشيعة تشبه المذاهب الأربعة عند أهل
السنة، وهناك فوارق من الممكن إزالتها؛ كنكاح المتعة^(٣).

٤٧٩ - باب تحريم نكاح الدبر

عن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن
الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في أعجازهن»^(٤).

(١) المصدر السابق نفسه، و «كشف الغمة» (ص ٣٠٧).

(٢) «وسائل الشيعة» (٥٤٠/٧)، و «فروع الكافي» (٤٨/٢)، و «الاستبصار»
(١٤١/٣)، و «التهذيب» (١٨٥/٢).

(٣) انظر لزماً كتابي «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأئمة»
(ص ٢٣٨ - ٢٤٠) الطبعة الشرعية الثالثة.

(٤) صحيح - أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٢٦/٣ - ١٢٧ - تحفة)، وابن ماجه =

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدقه بما قال، أو أتى امرأة حائضاً أو امرأة في دبرها فقد برىء مما أنزل على محمد»^(١).

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ سئل عن الذي يأتي امرأته في دبرها؛ فقال ﷺ: «تلك اللوطية الصغرى»^(٢).

= (١٩٢٤)، وأحمد (٥/٢١٣، ٢١٤، ٢١٥)، وابن حبان (٤١٩٨)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/٤٣، ٤٤)، وابن الجارود (٧٢٨)، والبيهقي (٥/٢١٣ - ١٩٦/٧ و ١٩٧)، والطبراني في «الكبير» (٣٧٣٣، ٣٧٤١ - ٣٧٣٥، ٣٧٤٤)، والخطابي في «غريب الحديث» (١/٣٧٦)، وغيرهم من طرق عنه.

قلت: وهو صحيح، صححه جمع منهم ابن الملقن، والمنذري، وابن حبان، وابن حزم، والحافظ ابن حجر وغيرهم.

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠/١٢٤ - تحفة)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (٢/٤٠٨ و ٤٧٦)، وابن الجارود (١٠٧)، والبيهقي (٧/١٩٨) وغيرهم.

من طريق حكيم الأثرم عن أبي تميم الهجيمي عنه به. قلت: وإسناده صحيح؛ كما بيته في «تحذير أهل الإيمان» (ص ٢٨ - ٢٩) بتحقيقي.

(٢) حسن - أخرجه النسائي في «الكبرى» (٣/١٥١ - تحفة)، وأحمد (٢/١٨٢ و ٢١٠)، والطيالسي (٢٢٦٦)، والبيهقي (٧/١٩٨)، وغيرهم.

من طريق همام عن قتادة عنه به.

قلت: إسناده حسن؛ لأنه من نسخة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقد صرح قتادة بالتحديث عند أحمد في الموطن الثاني.

وقد رجح ابن كثير وابن حجر وقفه، والصواب رفعه؛ لأنه زيادة من ثقة بل من =

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن رسول الله قال: «لعن الله الذين يأتون النساء في محاشهن»^(١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله إلى رجل أتى امرأة في دبرها»^(٢).

وفي الباب عن جمع من الصحابة منهم: عمر، وعلي بن طلق، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم، وفي أسانيدنا مقال.

● من فقه (الباب):

١ - تغليظ تحريم إتيان النساء في الدبر كما هو ظاهر الأحاديث، وقد وردت عن السلف رضي الله عنهم كلمات تدل أنه لا يفعله مسلم؛ فقد أخرج النسائي في «عشرة النساء» والسرقي في «غريب الحديث» بسند صحيح عن سعيد بن يسار؛ قال: قلت لابن عمر: إنا نشترى

= ثقات؛ كما قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في «شرح المسند» (١١/١٦٢ - ١٦٣)؛ فانظره.

(١) صحيح لغيره - أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/١٤٦٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/٨٤)، وغيرهم.

من طريق ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن مشر بن هاعان عنه به.

قلت: إسناده حسن إن شاء الله.

وله شاهد من حديث أبي هريرة عند أبي داود (٢/٢٦٠)، وأحمد (٢/٤٤٤ و٧٩).

(٢) حسن - أخرجه النسائي في «الكبرى» (٥/٢١٠ - تحفة)، والترمذي (١١٦٥)، وابن حبان (٤٢٠٣ و٤٢٠٤) وغيرهم.

قلت: سنده حسن؛ كما قال الترمذي، وصححه إسحاق بن راهويه.

الجواري فنحمض لهن قال: «وما التحميض؟» قال: نأتيهن في أدبارهن. قال: «أف أو يفعل ذلك مسلم».

وأخرج أحمد عن أبي الدرداء: «وهل يفعل ذلك إلا كافر».

ولذلك؛ فإن هذه الموبة من الكبائر العظام.

٢ - وقد اتفق على ذلك أهل العلم لا نعلم بينهم خلافاً إلا ما روي عن الشافعي، وقد ثبت عنه تحريره أيضاً؛ فقد قال رحمه الله عقب حديث خزيمة (٢/٢٩): «فلمست أرخص فيه بل أنهى عنه».

وهذا هو الذي يليق بهذا الإمام الهمام رحمه الله.

وشدت الرافضة؛ فأجازوا ذلك، وهو مخالف للثابت الصريح عن رسول الله ﷺ.

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله في «زاد المعاد» (٤/٢٥٧): «ومن نسب إلى بعض السلف إباحة وطء الزوجة في دبرها فقد غلط عليه، كيف وقد ورد في الباب غير ما حديث عنه».

٣ - وقد ذهب بعض أهل العلم كالقاسمي في تفسيره «محاسن التأويل» (٣/٥٧٢) إلى القول: أن أحاديث النهي عن نكاح الدبر ضعيفة.

وهو قول مردود؛ فقد ثبت من ذلك جملة كثيرة حتى قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٤/١٢٩): «قد تيقنا بطرق لا محيد عنها نهى النبي ﷺ عن أدبار النساء، وجزمنا بتحريره، ولي في ذلك مصنف كبير».

وقال (٥/١٠٠): «وقد أوضحنا المسألة في مصنف مفيد، لا يطالعه عالم إلا ويقطع بتحريم ذلك».

٤ - وفي إتيان أدبار النساء مفسد عظيمة منها: أنه موضع الأذى اللازم، وقطع النسل، وذريعة لانتقال صاحبه إلى أدبار المُرْد.

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٣٥٤/٦) بعد ذلك: «وقد ذكر ابن القيم لذلك مفسد دينية ودنيوية؛ فليراجع، وكفى منادياً على خساسته أنه لا يرضى أحد أن ينسب إليه، ولا إلى إمامه تجويز ذلك».

٥ - يجوز للرجل إتيان زوجته مقبلة أو مدبرة لكن في الفرج الذي هو موضع الولد؛ كما في حديث جابر المتفق على صحته قال: «كانت اليهود تقول إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول، فنزلت ﴿فَسَاوُكُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شَتْمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٣] فقال رسول الله ﷺ: «مقبلة ومدبرة إذا كان ذلك في الفرج».

وفي المسألة عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عمر رضي الله عنهما.

قال البغوي في «شرح السنة» (١٩٦/٩): «اتفق أهل العلم على أنه يجوز للرجل إتيان زوجته في قبلها من جانب دبرها، وعلى أي صفة شاء، وفيه نزلت الآية».

٤٨٠ - باب تحريم نكاح الزانية والزاني

قال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان رجلاً شديداً، وكان يحمل الأسارى من مكة إلى المدينة. قال: فدعوت رجلاً لأحمله، وكان بمكة بَغِيٍّ^(١) يقال لها: عَنَاق، وكانت

(١) مومس وزانية.

صديقته^(١)، خرجت فرأت سوادى^(٢) في ظل الحائط، فقالت: من هذا، مرثد مرحباً وأهلاً يا مرثد، انطلق فبت عندنا في الرَّحْل^(٣). قلت: يا عناق إن رسول الله ﷺ حرّم الزنى قالت: يا أهل الخيام هذا الدُّلُّ^(٤)، هذا الذي يحمل أسراكم من مكة إلى المدينة. فسلكت الخدمة^(٥)، فطلبني ثمانية، فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا، فطار بولهم عليّ وأغماهم الله عني، فجئت إلى صاحبي فحملته، فلما انتهيت به إلى الأراك فككت عنه كبله^(٦) فجئت إلى رسول ﷺ فقلت: يا رسول الله أنكح عناق، فسكت عني، فنزلت: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور: ٣]؛ فدعاني فقرأها علي وقال: «لَا تَنْكِحُهَا»^(٧).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَنْكِحُ الزَّانِي الْمَجْلُودَ إِلَّا مِثْلَهُ»^(٨).

(١) يزني بها قبل الإسلام أو قبل تحريم الزنى.

(٢) شخصي.

(٣) المنزل.

(٤) القنفذ، وشبهته به؛ لأنه يظهر في الليل، ويخفي رأسه في جسده ما استطاع.

(٥) جبل بمكة.

(٦) قيوده الضخمة.

(٧) حسن - أخرجه أبو داود (٢٠٥١)، والترمذي (٣١٧٧)، والنسائي (٦٦/٦ - ٦٧).

والسياق له، والحاكم (١٦٦/٢)، والبيهقي (١٥٣/٧).

من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

قلت: إسناده حسن.

(٨) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٠٥٢)، وأحمد (٣٢٤/٢)، والحاكم (١٦٦/٢) =

● من فقه (الباب):

١ - يحرم على الرجل العفيف أن يتزوج من زانية، وكذلك الحرة العفيفة لا تتزوج من زانٍ.

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٦/٢٨٣): «لا يحل للمرأة أن تتزوج ممن ظهر منه الزنى، وكذلك لا يحل للرجل أن يتزوج بمن ظهر منها الزنى، ويدل على ذلك الآية المذكورة في الكتاب، لأن في آخرها ﴿وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣]؛ فإنه صريح في التحريم».

٢ - حمل بعض أهل العلم الآية وأحاديث الباب على ابتداء نكاح الزانية، وأما إذا زنت تحتها فيجوز له الاستمرار في النكاح واستدلوا بحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي لا تمنع يد لامس قال: «غرّ بها» قال: أخاف أن تتبعها نفسي، قال: «فاستمتع بها»^(١).

قلت: اختلف أهل العلم في تأويل قول الرجل في وصف امرأته: «لا تمنع يد لامس» على وجوه:

أ - مطاوعة لمن أرادها لا تردّ يده.

= و(١٩٣). من طريق عمرو بن شعيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة.

قلت: صححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالوا.

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٠٤٩)، والنسائي (٦٧/٦)، والبيهقي (١٥٤/٧ و ١٥٥). **بلاعيم** بإسناد صحيح.

وله شاهد من حديث جابر عند البغوي (٢٣٨٣)، والبيهقي (١٥٥/٧).

ورجاله ثقات، لكن فيه عننة أبي الزبير.

ب - لا تمتنع ممن يمد يده؛ ليتلذذ بلمسها، ولم يرد الجماع.
 ت - لا تمتنع أحداً طلب منها شيئاً من مال زوجها.
 وأولى هذه الأقوال بالقبول هو الثاني فتكون لا تنفر من الريبة،
 ولا ترد يد من مسّها؛ لسداجتها.

وقد زعم الشوكاني في «نيل الأوطار» (٢٨٤/٦) أن هذا قصر
 للفظ المحتمل على أحد المحتملات بغير دليل.
 قلت: إليك الدليل.

أ - لو أراد زوجها أنها زانية لكان قاذفاً؛ فيلزمه الملاعنة؛
 فالتفريق.

ب - لو أراد رسول الله ﷺ إمساكها على الزنى؛ لكان الرجل
 ديوثاً قواداً، ومحال هذا على رسول الله ﷺ إقرار المعصية.

ت - أمره ﷺ الرجل الذي تحته امرأة سيئة الخلق بطلاقها.
 كل ذلك يؤكد صحة القول الثاني والله أعلم، وقد سألت شيخنا
 حفظه الله عن ذلك، وذكرت له ما تقدم؛ فأكدّه ورجحه.

قال ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٢٧٤/٣): «وقيل:
 المراد إن سجيّتها لا ترد يد لأمس، لا أن المراد أن هذا واقع منها وأنها
 تفعل الفاحشة؛ فإن رسول الله ﷺ لا يأذن في مصاحبة من هذه صفتها
 فإن زوجها والحالة هذه يكون ديوثاً، وقد تقدم الوعيد على ذلك، ولكن
 لما كانت سجيّتها هكذا ليس فيها ممانعة ولا مخالفة لمن أرادها لو خلا
 بها أحد أمره رسول الله ﷺ بفراقها، فلما ذكر له أنه يحبها أباح له

البقاء معها لأن محبته لها محققة، ووقوع الفاحشة منها متوهم فلا يصار إلى الضرر العاجل لتوهم الآجل، والله سبحانه وتعالى أعلم».

وعلى ذلك؛ فقول البغوي في «شرح السنة» (٢٨٨/٩): «وفي قوله فأمسكها دليل على جواز نكاح الفاجرة وإن كان الاختيار غير ذلك، وهو قول أهل العلم. ثم قصر الآية على مناسبتها» فيه نظر لمن فكّر وقدر ونظر.

أ - ليس في قوله: «فأمسكها» دليل على ما ذكر إلا على القول الأول، وقد تبين ضعفه.

ب - قصر الآية على مناسبتها وسبب نزولها مردود؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ كما هو مقرر في الأصول.

٣ - وقد ذهب سعيد بن المسيب رحمه الله أن الآية منسوخة، والنسخ لا يثبت بالدعاوى، وسبب نزول الآية يقوي قول من قال: إنها محكمة لم تنسخ، وهو الصواب. والله أعلم.

٤٨١ - باب الزجر عن كفران العشير

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال في خطبة الكسوف: «ورأيت النار فلم أرَ كالיום منظراً قط، ورأيت أكثر أهلها النساء» قالوا: لم يا رسول الله؟ قال: «بكفرهن»، قيل: يكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير^(١)»، ويكفرن بالإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط^(٢).

(١) الزوج والمخالط، والمراد به هنا: الزوج.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٩٧).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم كفر النعمة والإحسان وإنكار الجميل وبخاصة من المرأة لزوجها.

٢ - الإصرار على المعصية من أسباب العذاب ومضاعفته، ففي قوله ﷺ: «لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأيت منك شيئاً؛ قالت: ما رأيت منك خيراً قط» إشارة إلى الإصرار أو أنها كالمصرة على كفر النعمة.

٣ - الحديث فيه دليل لأهل السنة والجماعة على تقسيم الكفر إلى اعتقادي وعملي كما لا يخفى، وأن الكفر العملي لا يخرج من الملة، والله أعلم.

٤٨٢ - باب الزجر عن أن يتزوج الرجل المرأة العقيم

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أحببت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد؛ أفأتزوجها؟ قال: «لا» ثم أتاه الثانية؛ فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - الزجر عن الزواج من المرأة التي لا تلد كأن يعلم أنها لا

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٦٥/٦ - ٦٦)، وابن حبان (٤٠٥٦) و(٤٠٥٧)، والحاكم (١٦٢/٢)، والبيهقي (٨١/٧)، والطبراني (٥٠٨/٢٠)، وغيرهم.

قلت: وهو صحيح.

تحيض، أو كانت عند زوج آخر فما ولدت.

٢ - الزواج له غايات شرعية منها غرض البصر، وحفظ الفرج، وتكثير سواد الأمة الإسلامية، فكل زواج يعارض غاية من ذلك ينهى عنه.

٤٨٣ - باب الزجر أن تأذن المرأة لأحد في بيتها إلا بإذن زوجها

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة من غير أمره فإنه يؤدي إليه شطره»^(١).

وفي حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه: «فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - تحريم إذن المرأة لأحد في دخول بيت زوجها إلا بإذنه سواء أكان شاهداً أم غائباً وأما قوله: «وهو شاهد»؛ فقد قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢٩٦/٩): «ولهذا القيد لا مفهوم له بل خرج مخرج الغالب، وإلا فغيبية الزوج لا تقتضي الإباحة للمرأة أن تأذن لمن يدخل بيته، بل يتأكد حينئذ المنع لثبوت الأحاديث الواردة في النهي عن الدخول على المغيبات أي من غاب عنها زوجها، ويحتمل أن يكون له مفهوم، وذلك أنه إذا حضر تيسر استئذانه وإذا غاب فلو دعت الضرورة

(١) أخرجه البخاري (٥١٩٥)، ومسلم (١٠٢٦).

(٢) سيأتي تخريجه (٣ / ٥٤ - ٥٥).

إلى الدخول عليها لم تفتقر إلى استئذانه لتعذره.

ثم هذا كله فيما يتعلق بالدخول عليها، أما مطلق دخول البيت بأن تأذن لشخص في دخول موضع من حقوق الدار التي هي فيها أو إلى دار منفردة عن سكنها فالذي يظهر أنه ملتحق بالأول.

٢ - لا بد من إذنه الصريح فيما تقدم كله، واللّه أعلم.

٣ - الإذن في دخول البيت حق للزوج فلا يفتأت عليه فيه.

٤ - وهذا محمول على ما لا تعلم رضا الزوج به، فلو علمت رضاه الصريح فلا ضير عليها لحديث عمرو بن الأحوص: «ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون».

٤٨٤ - باب تحريم أن تهب المرأة نفسها للرجل دون مهر

وبيان أنه من خصائص النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿يَتَّيِّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ النَّبِيُّ هَاجِرٌ مَعَكَ وَامْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٥٠].

عن عروة بن الزبير قال: «كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل، فلما نزلت ﴿تُرْجَى مِنْ شَأْنِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥١].

قلت: يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في

هواك^(١)»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - لا يحل لمرأة أن تهب نفسها لرجل دون مهر وولي وشاهدين؛ لأن ذلك من خصائص رسول الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لِّكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

قال ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٥٠٧ - ٥٠٨): «ويحل لك أيها النبي المرأة المؤمنة إن وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت، وليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر إلا لنبي ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥٠] من حصرهم في أربع نسوة حرائر، وما شاؤا من الإماء، واشترط الولي، والمهر، والشهود عليهم وهم الأمة، وقد رخصنا لك فلم نوجب عليك شيئاً منه ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٠] انتهى بتصرف.

٢ - لا بد في النكاح من مهر وولي وشاهدين ولو عرضت المرأة نفسها للزواج يدل على ذلك حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «أتت النبي ﷺ امرأة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله ﷺ. فقال: «ما لي في النساء من حاجة»، فقال رجل: زوجنيها. قال: «أعطاها ثوباً» قال: لا أجد، قال: «أعطاها ولو خاتماً من حديد»، فاعتل له، فقال: «ما معك من القرآن؟» قال: كذا وكذا. قال: «قد زوجتكها

(١) مرضاتك، وليس المراد: الهوى؛ لأن رسول الله لا ينطق عن الهوى، ولكن قول عائشة هذا سببه الغيرة، والدلال.

(٢) أخرجه البخاري (٥١١٣)، ومسلم (١٤٦٤).

بما معك من القرآن»^(١).

فلو لم يكن المهر والولي والشهود شروط في عقد النكاح لزوجها الرسول له دون مهر؛ كما هو ظاهر من الحال، والله أعلم.

٣ - اختلف أهل العلم في عقد النكاح بلفظ الهبة والبيع والتمليك وألفاظ الكنايات والصواب منعه للوجوه الآتية:

أ - جعلت الآية ذلك خاصاً برسول الله ﷺ.

ب - لقطع المشاركة بين النكاح وغيره من العقود.

ت - لأن لفظ التزويج والنكاح وردا صريحاً في القرآن والسنة في هذا الشأن، والله أعلم.

٤٨٥ - باب لا تنكح البكر والثيب إلا برضاها

عن أبي هريرة رضي الله عنه حدثهم: أن النبي ﷺ قال: «لا تنكح الأيم»^(٢) حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن؛ قالوا: يا رسول الله وكيف إذن؟ قال: «أن تسكت»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - تحريم إجبار الثيب والبكر على الزواج دون رضاها.

٢ - فرق الشرع بين الثيب والبكر في الرضى فلا بد من صريح إذن الثيب، والبكر صماتها رضاها؛ لأن إزالة البكارة تزيل الحياء الذي في

(١) البخاري (٥٠٢٩)، ومسلم (١٤٢٥).

(٢) الثيب.

(٣) أخرجه البخاري (٥١٣٦)، ومسلم (١٤١٩).

البكر.

٣ - استئذان البكر والثيب شرط في صحة العقد لردّه ﷺ نكاح خنساء بنت خدام الأنصارية: أن أباه زوجها وهي ثيب؛ فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ؛ فرد نكاحها^(١).

٤ - جعل الرسول ﷺ إذن النساء دائراً بين القول والسكوت بخلاف الاستثمار؛ فلا بد أن يكون صريحاً في القول.

٤٨٦ - باب تحريم نشر أسرار الجماع

عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود؛ فقال: «لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها؟» فَأَرَمَ^(٢) القوم؛ فقلت: إي والله يا رسول الله إنهن ليفعلن، وإنهم ليفعلون؛ قال: «فلا تفعلوا؛ فإنما ذلك مثل شيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون»^(٣).

● من فقه (الباب):

١ - قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٣٥١/٦): «تحريم إفشاء الزوجين لما يقع بينهما من أمور الجماع، وذلك لأن كون الفاعل لذلك

(١) أخرجه البخاري (٥١٣٨).

(٢) سكتوا ولم يجيبوا.

(٣) حسن لغیره - أخرجه أحمد (٤٥٦/٦ - ٤٥٧) بإسناد فيه شهر بن حوشب وفيه ضعف. وله شاهد من حديث أبي هريرة عند أبي داود وغيره. وآخر من حديث أبي سعيد عند البزار. وثالث من حديث سلمان عند أبي نعيم في حلية الأولياء. وعلى الجملة؛ فالحديث حسن بذلك، والله أعلم.

من شر الناس، وكونه بمنزلة شيطان لقي شيطانة، فقضى حاجته منها والناس ينظرون من أعظم الأدلة الدالة على تحريم نشر أحد الزوجين للأسرار الواقعة بينهما الراجعة إلى الوطاء ومقدماته، فإن مجرد فعل المكروه لا يصير به فاعله من الأشرار فضلاً عن كونه من شرهم، وكذلك الجماع بمرأى من الناس لا شك في تحريمه».

٢ - وقال (٣٥١/٦): «فإن كان إليه حاجة أو ترتبت عليه فائدة فلا كراهة في ذكره، وذلك نحو أن تنكر المرأة نكاح الزوج لها وتدعي عليه العجز في الجماع أو نحو ذلك».

٤٨٧ - باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول على المغيبة

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «ياكم والدخول على النساء»؛ فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمى؟ قال: «الحمى^(١) الموت»^(٢).

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم» فقام رجل فقال: يا رسول الله امرأتي خرجت حاجة، واكتتبت في غزوة كذا وكذا؛ قال: «ارجع فحج مع امرأتك»^(٣).

(١) هو أخو الزوج وما أشبهه من أقاربه؛ كما فسرہ الليث بن سعد عند مسلم. وشبهه ﷺ بالموت؛ لأن الخوف منه أكثر من غيره، والشر يتوقع منه، والفتنة أكبر لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة بها من غير إنكار عليه بخلاف الأجنبي.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٦ و٥٢١٣)، ومسلم (١٣٤١).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا لا يبيتن رجلٌ عند امرأةٍ ثيب^(١) إلا أن يكون ناكحاً أو ذا محرم^(٢)».

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن نفرأ من بني هاشم دخلوا على أسماء بنت عميس، فدخل أبو بكر الصديق، وهي تحته يومئذٍ، فرأهم، فكره ذلك، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ؛ وقال: لم أر إلا خيراً؛ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد برأها من ذلك» ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر؛ فقال: «لا يَدْخُلَنَّ رجلٌ بعد يومي هذا على مغيبةٍ إلا ومعه رجلٌ أو إثنان^(٣)».

عن جابر بن سمرة؛ قال: خطبنا عمر بن الخطاب بالجابية؛ فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي فيكم اليوم؛ فقال: «أحسنوا إلى أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم يفسو الكذب حتى يشهد الرجل على الشهادة لا يُسألها، ويحلف الرجل على اليمين لا يُسألها، فمن أراد منكم بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، ولا يخلون أحدكم بامرأة؛ فإن الشيطان ثالثهما، ومن ساءته سيئته وسرته حسنته فهو مؤمن^(٤)».

(١) وفي رواية «في بيت»، وإنما خص الثيب دون البكر، لأن البكر مصونة عادة، مجانية للرجال أشد المجانية، والثيب يدخل عليها غالباً، ولهذا من باب التنبيه، فإنه إذا اشتد في الثيب التي يتساهل في الدخول عليها عادة، فالبكر أولى.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٧١) وفيه عن عنتة أبي الزبير، ولكن أحاديث الباب تعضده.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٧٣).

(٤) صحيح - أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٥/٨ - تحفة)، والترمذي (٢١٦٥)، وابن ماجه (٢٣٦٣)، وأحمد (١٨/١ و ٢٦)، والحميدي (٣٢)، والحاكم (١١٤/١) =

● من فقه الباب:

١ - تحريم الدخول على النساء المغيبات، والخلوة بالأجنبيات،
فما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما.

٢ - دخول أقرباء الزوج غير المحارم كالأب والابن يشبه الموت
في الاستقباح والمفسدة، وقد بالغ النبي ﷺ في الزجر عنه وشبهه
بالموت؛ لتسامح الناس به من جهة الزوج والزوجة، فنهى على أنه محرم
معلوم التحريم.

٣ - محارم المرأة من حُرِّم عليهم نكاحها على وجه التأيد.

٤ - الخلوة المحرمة هي الاحتجاب بحيث تغيب أشخاصهما عن
الناس بل بحيث لا يسمعون كلامهما.

٤٨٨ - باب الزجر عن دخول المختنين على النساء

عن أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان عندها، وفي
البيت مخنث^(١)؛ فقال المُنْخَثُ لأخي أم سلمة عبد الله بن أبي أمية: إن
فتح الله لكم الطائف غداً أدلك على ابنة غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر
بثمان^(٢)؛ فقال النبي ﷺ: «لا يدخُلن هذا عليكم»^(٣).

= ١١٤ - ١١٥)، وأبو يعلى (١٤١ و ١٤٣)، وابن حبان (٤٥٧٦ و ٥٥٨٦).

قلت: إسناده صحيح.

(١) هو الذي يلين في قوله، وينكسر في مشيته، ويشثني فيها كالنساء ويتشبه في أخلاقه
وعلاماته وحركاته بهن، وقد يكون خلقه، وأخرى بالتكلف.

(٢) مراده ممثلة الجسم، وهو وصف يرغبه الرجال في النساء.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٣٥)، ومسلم (١٨٠).

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: كان يدخل على أزواج النبي ﷺ مُحَنَّثٌ؛ فكانوا يعدونه من غير أولي الأربة^(١)؛ قال: فدخل النبي ﷺ يوماً وهو ينعت امرأة؛ قال: إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان؛ فقال النبي ﷺ: «ألا أرى هذا يعرف ما هاهنا، لا يدخل عليكين»؛ قالت: فحجبه^(٢).

● من فقهه (الباب):

١ - تحريم دخول المخنثين والمتشبهين من الرجال بالنساء على النساء.

٢ - قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٦/٢٤٧): «قال العلماء: إخراج المخنث ونفيه كان بثلاث معان: أحدها: أنه كان يظن أنه من غير أولي الإربة ثم لما وقع منه ذلك الكلام زال الظن.

والثاني: وصفه النساء ومحاسنهن وعوارتهن بحضرة الرجال، وقد نهى أن يصف المرأة زوجها فكيف إذا وصفها غيره من الرجال لسائرهم؟

الثالث: أنه ظهر له منه أنه كان يطلع من النساء وأجسامهن وعوراتهن على ما يطلع عليه كثير من النساء».

٣ - الوصف يقوم مقام الرؤية أحياناً، وقد يكون أبلغ، ولذلك ورد

(١) هم الذين لا حاجة لهم إلى النساء، لكبر، أو تخنيث، أو علة، أو عتة.

(٢) مسلم (٢١٨١).

النهي أن تنعت المرأة للمرأة للرجال كأنهم ينظرون إليها.

٤ - ينبغي تعزيز من تشبه من الرجال بالنساء بالإخراج من البيوت، ونفيه، لردعه وزجره، لأن من تشبه بالنساء مختاراً وقع في الحرام البين.

٤٨٩ - باب لا تباشر المرأة المرأة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تباشر المرأة المرأة فتنتعها»^(١) لزوجها كأنه ينظر إليها»^(٢).

● من فقه (الباب)

١ - هذا الحديث أصل في سد الذرائع؛ فإن الحكمة في النهي - والله أعلم - خشية أن يعجب الزوج الوصف المذكور؛ فيفضي ذلك إلى تطليق الواصفة أو الافتتان بالموصوفة، فالأذن تعشق قبل العين أحياناً.

٢ - هذا الحكم يشمل مباشرة المرأة المرأة، وكذلك الرجل الرجل، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة الثوب الواحد»^(٣).

٣ - لا يجوز للمرأة أن تضطجع مع المرأة متجردتين تحت ثوب

(١) تصفها.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٤٠ و ٥٢٤١).

وعزوه أيضاً لمسلم وهم وقع من بعض أهل العلم.

(٣) أخرجه مسلم (٣٣٨).

واحد، وكذلك الرجال.

٤ - يحرم على المرأة أن تنظر إلى عورة المرأة، وكذلك الرجل إلى عورة الرجل.

٥ - يجب على النساء المسلمات ألا يتكشفن أمام النساء اللاتي لا يتورعن في ذكر محاسنهن للرجال.

٦ - وفي الحديث دليل على تحريم الصور العارية؛ كما بيته في كتابي «بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين» (١/٢٢٣).

٤٩٠ - باب لا يطرق أهله ليلاً

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: «كان النبي ﷺ يكره أن يأتي الرجل أهله طروقاً»^(١).

وفي رواية: «إذا طال أحدكم الغيبة؛ فلا يطرق أهله ليلاً»^(٢).

وفي أخرى: «إذا دخلت ليلاً، فلا تدخل على أهلِكَ حتى تستحد المُغَيِّبة، وتمشط الشعثة»^(٣).

عن أنس رضي الله عنه؛ قال: «كان رسول الله ﷺ لا يطرق أهله ليلاً، كان لا يدخل إلا غدوة أو عشية»^(٤).

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال ﷺ: «لا تطرقوا النساء ليلاً»^(٥).

(١) البخاري (٥٢٤٣).

(٢) البخاري (٥٢٤٤)، ومسلم (٧١٥) (١٨٣).

(٣) البخاري (٥٢٤٦)، ومسلم (٧١٥) (١٨٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٠٠)، ومسلم (١٩٢٨).

(٥) صحيح الجامع الصغير (٧٣٦٢).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم أن يطرق الرجل أهله ليلاً، والطروق هو المجيء بالليل من سفر أو غيره على غفلة.

٢ - وردت حكم شرعية في هذا النهي وهي:

أ - لكي تنهياً المرأة لزوجها إذا أراد جماعها، ولهذا في قوله حتى تستحد المغيبة؛ أي: تحلق عانتها، وتمشط الشعثة.

ب - لكيلا يتبع الرجل عثرات أهله أو يتخونهم فيقع في قلبه ما يدعوه إلى فراقهم، كما في حديث جابر: «نهى نبي الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم، أو يطلب عثراتهم»^(١).

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٣٦٧/٦): «والحكمة في النهي عن الطروق أن المسافر ربما وجد أهله مع الطروق وعدم شعورهم بالقدوم على غير أهبة من التنظيف والتزين المطلوب من المرأة فيكون ذلك سبب الفرة بينهما».

٣ - النهي مقيد بمن أطل الغيبة فهي علة الحكم والعلة تدور مع المعلول وجوداً وعدمًا فمن لم يطل الغيبة، كالذي يخرج نهاراً لحاجته، أو عمله ويعود ليلاً، أو من أعلم أهله بمقدمه لا يناوله النهي، والله أعلم^(٢).

* من دلالات الأحاديث:

(١) أخرجه مسلم (١٥٢٨/٣).

(٢) وانظر «فتح الباري» (٣٤٠/٩)، «نيل الأوطار» (٣٦٧/٦).

أ - قال الحافظ (٣٤٠/٩): «ويؤخذ منه كراهة مباشرة المرأة في الحالة التي تكون فيها غير متأنفة؛ لئلا يطلع منها على ما يكون سبباً لنفرتها منها».

ب - وقال (٣٤١/٩): «وفي الحديث الحث على التواضع والتحاب خصوصاً بين الزوجين؛ لأن الشارع راعى ذلك بين الزوجين على اطلاع كل منهما على ما جرت العادة بستره، حتى أن كل واحد منهما لا يخفى عنه من عيوب الآخر شيء في الغالب، ومع ذلك فنهى عن الطروق؛ لئلا يطلع على ما تنفر نفسه منه؛ فيكون مراعاة ذلك في غير الزوجين بطريق الأولى».

ت - وقال (٣٤١/٩): «وفيه التحريض على ترك التعرض لما يوجب سوء الظن بالمسلم».

٤٩١ - باب تحريم الميل مع إحدى النساء الضرائر

قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ؛ قال: «من كانت له امرأتان، فمال مع إحداهما على الأخرى، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقطاً»^(١).

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٢١٣٣)، والترمذي (١١٤١)، والنسائي (٦٣/٧)، وابن ماجه (١٩٦٩)، وأحمد (١٤٧/٢) و (٤٧١)، وابن حبان (٤٢٠٧)، والحاكم (١٨٦/٢)، والبيهقي (٢٩٧/٧)، وغيرهم.

● من فقه (الباب:

١ - قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٦/٣٧١): «فيه دليل على تحريم الميل إلى إحدى الزوجين دون الأخرى، إذا كان ذلك في أمر يملكه الزوج، كالقسمة، والطعام، والكسوة، ولا يجب على الزوج التسوية بين الزوجات فيما لا يملكه كالمحبة ونحوها».

٢ - العدل المنفي القدرة عليه في الآية؛ هو عدل القلوب، فلا يتبع الرجل هواه في فعله، ولكن يقارب ويسدد، ويسأل الله أن يعينه فيما يملك، وما لا يملك.

٤٩٢ - باب الزجر عن الضرب المبرح

عن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «لا يجلد أحدكم امرأته جلدَ العبد ثم يجامعها في آخر النهار»^(١).

عن عمرو بن الأحوص رضي الله عنه: أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ، فذكر في الحديث قصة؛ فقال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هنَّ عوان»^(٢) عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح؛ فإن أظعنكم فلا تبتغوا عليهن سبيلاً»^(٣). ألا إن لكم على نسائكم حقاً،

= من طرق عن همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عنه به. قلت: إسناده صحيح.

(١) أخرجه البخاري (٥٢٠٤)، ومسلم (٢٨٥٥).

(٢) جمع عانية، وهي: الأسيرة.

(٣) لا تطلبوا طريقاً تحتجون به عليهن وتؤذونهن به.

ولنسائكم عليكم حقاً؛ فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فُرُشكم من تكرهون، ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحفُّهنّ عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»^(١).

عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه؛ قال: قلت يا رسول الله ما حقّ زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت»^(٢).

عن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب رضي الله عنه؛ قال رسول

(١) حسن لغيره - أخرجه الترمذي (١١٦٣)، وابن ماجه (١٨٥١).

من طريق الحسين بن علي الجعفي عن زائدة عن شبيب بن غرقدة البارقى عن سليمان بن عمرو بن الأحوص حدثني أبي (وذكره).
قلت: فيه سليمان بن عمرو بن الأحوص فيه جهالة، ولكن روى عنه ثقتان فيصلح للاعتبار.

وللحديث شاهد أخرجه أحمد (٧٢/٥ - ٧٣).

من طريق حماد بن سلمة أنا علي بن زيد عن أبي حرة الرقاشي عن عمه بنحوه.
قلت: فيه علي بن زيد وفيه ضعف لكن لا بأس به في الشواهد؛ فالحديث حسن لغيره.

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٢١٤٢)، وابن ماجه (١٨٥٠)، وأحمد (٤٤٦/٤ - ٤٤٧ و٣/٥).

من طريق أبي فرعة الباهلي عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه وذكره.
قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

وأخرجه أحمد (٣/٥)، وأبو داود (٢١٤٤) مختصراً. من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

قلت: إسناده حسن.

وبالجملة؛ فالحديث صحيح.

اللَّهُ ﷺ: «لا تضربوا إماء الله»؛ فجاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ؛ فقال: ذَرْنِ^(١) النساء على أزواجهن، فرَخَّصَ في ضربهن، فأطاف^(٢) بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن؛ فقال رسول الله ﷺ: «لقد أطاف بآل بيت محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم»^(٣).

وفي حديث جابر رضي الله عنه الطويل؛ قال رسول الله ﷺ: «فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرِّح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»^(٤).

(١) اجترأ ونشزن.

(٢) أحاط.

(٣) صحيح - أخرجه أبو داود (٢١٤٦)، والنسائي في «الكبرى» (١٠/٢) - تحفة الأشراف، وابن ماجه (١٩٨٥)، وعبد الرزاق (١٧٩٤٥)، والطبراني (٧٨٤)، والحاكم (١٨٨/٢) و (١٩١)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٣٤٦)، والبيهقي (٣٠٥/٧)، والدارمي (١٤٧/٢)، وابن حبان (٤١٨٩)، وغيرهم.

من طريق الزهري عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عنه به.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات لكنهم اختلفوا في صحة إياس، والراجح عندي إثباتها؛ كما بيته في كتابي «بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين» (١/٣٦٣) - (٣٦٤).

وللحديث شواهد من حديث ابن عباس عند ابن حبان (٤١٨٦).

وآخر عن أم كلثوم بنت أبي بكر عند البيهقي (٣٠٤/٧).

(٤) أخرجه مسلم (١٢١٨).

● من فقه (الباب):

١ - إذا أظهرت المرأة نشوزاً، فينبغي على الرجل تأديبها ضمن المراحل الآتية:

أ - الوعظ والتذكير والترهيب والترغيب .

ب - الهجر في المضاجع .

ث - الضرب غير المبرح .

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَخَافُونَ فَضْلَهُمْ فَغُطُّوا مِنْهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا بُعْثَ أَعْلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

قال البغوي في «شرح السنة» (١٨٥/٩): «إذا نشزت المرأة، وعظها الزوج، فإن لم تنته، هجرها في المضجع، ولا تخرج من البيت، فإن أصرت عليه، ضربها ضرباً غير مُبرح ويتقي الوجه في الضرب».

٢ - الضرب وسيلة تأديب تربوية للمرأة الناشز، وهو منهي عنه في الجملة، ولكن يباح بشروط:

أ - أن يكون غير مبرح .

ب - أن يتجنب الوجه ولا يقبح .

ت - أن يكون بعد الوعظ والهجر .

ث - أن يكون تأديباً لا ضراراً واعتداءً .

٣ - من حكمة تحريم الضرب المبرح ما أوما إليه رسول الله ﷺ

في الحديث الأول: أن لا يبالغ الرجل في ضرب امرأته ثم يجامعها من بقية يومه، فإن المجامعة أو المضاجعة إنما تستحسن مع ميل النفس والرغبة في ذلك، والمجلود ينفر ممن جلده، ولا شك أن الضرب المبرح لا يقع من عاقل كريم من خيار المؤمنين، لأن الرجل راع في أهله، فينبغي أن يسير بهم سيراً هنيئاً ويؤدبهم، ويهذبهم ويربيهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال الحافظ في «فتح الباري» (٣٠٤/٩): «ومحل ذلك أن يضربها تأديباً إذا رأى منها ما يكره فيما يجب عليها فيه طاعته، فإن اكتفى بالتهديد ونحوه كان أفضل، ومهما أمكن الوصول إلى الغرض بالإيهام لا يعدل إلى الفعل، لما في وقوع ذلك من النفرة المضادة لحسن المعاشرة المطلوبة في الزوجية، إلا إذا كان في أمر يتعلق بمعصية الله».

٤٩٣ - باب تحريم مصافحة النساء

عن معقل بن يسار رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يُطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»^(١).

عن أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني لا أصافح النساء؛ إنما قلتي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة»^(٢).

(١) حسن - أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/١٧٤/٤٨٦ و ٤٨٧)، والرويان في «مسنده» (١٢٨٣).

من طريق شداد بن سعيد الراسبي قال: سمعت يزيد بن عبد الله بن الشَّخَر يقول: سمعت معقل بن يسار وذكره.

قلت: إسناده حسن، وجوّد إسناده شيخنا في «الصحيح» (٢٢٦).

(٢) صحيح - أخرجه مالك (٢/٩٨٢)، والنسائي (٧/١٤٩)، والترمذي (١٥٩٧)، وابن =

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ كان لا يصفح النساء في البيعة»^(١).

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: «ولا والله ما مست يده ﷺ يد امرأة قط في المبايعة، ما بايعهن إلا بقوله: قد بايعتك على ذلك»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - تحريم مس النساء اللاتي لا تحل للرجل، وهذا الوعد الشديد يستلزم التحريم لا ريب في ذلك.

٢ - تحريم مصافحة النساء، لأنها تشمل المس، وقد ثبت أن الرسول لم يصفح النساء في المبايعة فضلاً عند الملاقاة.

٣ - روي أن رسول الله ﷺ كان يصفح النساء على يده الثوب،

= ماجه (٢٨٧٤)، وأحمد (٣٥٧/٦)، وابن حبان (٤٥٥٣)، والحميدي (٣٤١)، والطبراني (٤٨٦/٤) و٤٧٠/٤٧٢ - ٤٧٦)، والحاكم (٧١/٤) وغيرهم. من طريق محمد بن المنكدر عنها.

قلت: إسناده صحيح.

(١) صحيح لغيره - أخرجه أحمد (٢١٣/٢) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

قلت: إسناده حسن.

وله شاهد من حديث أسماء بنت يزيد عند الحميدي (٣٦٨)، وأحمد (٤٥٤/٦) و٤٥٩) وغيرهم، وفيه شهر بن حوشب، وهو ضعيف لكن يعتبر به؛ فالحديث صحيح بشواهده، والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٩١).

وهي كلها مراسيل لا تقوم الحجة بها، ولا تنهض لمعارضة الثابت الصريح من قوله وفعله ﷺ.

٤ - وقد ابتلى جمهور المسلمين بهذا المنكر، وبخاصة أنهم يرون بعض أصحاب العمام يفعلون ذلك، وظهرت بعض الأحزاب تدعو إلى ذلك، وفرضت على أتباعها تبني ذلك^(١).

٤٩٤ - باب لا تطيع امرأة زوجها في معصية

عن عائشة رضي الله عنها: أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها، فتمعط^(٢) شعر رأسها، فجاءت إلى النبي ﷺ؛ فذكرت ذلك له؛ فقالت: إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها؛ فقال: «لا، إنه قد لعن الموصّلات»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - إذا دعا الزوج امرأته إلى معصية فعلها أن تمتنع؛ لأن الطاعة في المعروف.

٢ - زعم بعض المتطفلين على العلم من متفقهة هذا العصر: أن الزوج إذا أذن لزوجته في بعض ما نهى عنه الشرع مثل الوصل والتمص جاز لها أن تفعل ذلك، وهذا الحديث يبطل ما استحسّنوه دون دليل.

(١) انظر لزماً كتابي: «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة» (ص ٣٢٧).

(٢) انجرد وتساقط من داء أو غيره.

(٣) البخاري (٥٢٠٥).

٤٩٥ - باب تحريم التبرج والسفور

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَحَقِّظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَحَقِّظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴿إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ يَأْتِجِلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَقُوْهُنَّ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾﴾ [النور: ٣٠، ٣١]. وقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(١).

عن أبي أذينة الصدفي: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «خير نسائكم الودود الولود، المواتية، المواسية، إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات، وهن المنافقات، لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم»^(٢)»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - المرأة كلها عورة؛ فلا يجوز أن تظهر شيئاً من جسمها أو مفاتها أو زينتها أو ريحها إلا ما استثناه الشرع كالوجه والكفين على

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨).

(٢) هو الغراب أحمر المنقار والرجلين، وهذا الوصف في الغراب قليل، وهذا يدل على قلة من يدخل الجنة من النساء.

(٣) صحيح لغيره - أخرجه البيهقي (٨٢/٧)، وصححه شيخنا في «الصحيحة» (١٨٤٩).

خلاف بين أهل العلم والراجح عندي أنه مستثنى لحديث أسماء رضي الله عنها مع التنبيه على أن الستر أولى وأحب إلى الله وأفضل^(١).

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٦/٢٤٤): «والحاصل، أن المرأة تبدي من مواضع الزينة ما تدعو الحاجة إليه عند مزاولة الأشياء والبيع والشراء والشهادة، فيكون ذلك مستثنى من عموم النهي عن إبداء مواضع الزينة وهذا على فرض عدم ورود تفسير مرفوع وسيأتي في الباب الذي بعد هذا ما يدل على أن الوجه والكفين مما يستثنى».

٢ - يحرم على المرأة أن تكتسي ما لا يسترها فهي كاسية وفي الحقيقة عارية، مثل أن تكتسي الثوب الشفوف أو الضيق الذي يصف بشرتها أو يبدي تقاطيع خلقها مثل عجيزتها وساعدها ويصف عظامها، وإنما كسوة المرأة ما تسترها فلا تبدي جسمها، ولا حجم أعضائها لكونه كثيفاً واسعاً فضفاضاً.

٣ - حديث الباب صاعقة على رؤوس المتبرجات السافرات وبخاصة ما يسمى عارضات الأزياء عياداً بالله من فتنتهن وشرهن.

٤٩٦ - باب لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء

عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها رجل، فكأنه تغَيَّرَ وجهه، كأنه كَرِهَ ذلك؛ فقالت: إنه أخي؛ فقال: «انظرون ما إخوانكن، فإنما الرضاعة من المجاعة»^(٢).

وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تحرم

(١) وانظر لزماً: «جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة» لشيخنا حفظه الله.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٠٢)، ومسلم (١٤٥٥).

المصّة^(١) والمصتان^(٢).

عن أم الفضل رضي الله عنها؛ قالت: دخل أعرابي على نبي الله ﷺ وهو في بيتي؛ فقال: يا نبي الله إني كنت لي امرأة فتزوجت عليها أخرى، فزعمت امرأتي الأولى أنها أرضعت امرأتي الحديثي^(٣) رضعة أو رضعتين؛ فقال نبي الله: «لا تحرم الإملاجة^(٤) والإملاجتان^(٥)».

● من فقه الباب:

١ - الرضاعة التي تثبت بها الحرمة وتحل بها الخلوة هي:

أ - أن يكون الرضيع طفلاً يسد اللبن جوعته، وينشز عظمه، وينبت لحمه.

ب - أن يكون خمس رضعات معلومات، فلا تحرم المصّة ولا المصتان؛ لأن الثابت من الأحاديث حديث عائشة في الخمس^(٦).

٢ - اختلف أهل العلم في الرضاعة بعد الحولين، والصواب: أنه لا يحرم بل هو ممنوع؛ لأن الرضاعة تمت؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وأما الاحتجاج بحديث سالم مولى أبي حذيفة، فهو رخصة لسالم

(١) المرة الواحدة من المص.

(٢) مسلم (١٤٥٠).

(٣) الجديدة.

(٤) المصّة.

(٥) مسلم (١٤٥١).

(٦) مسلم (١٤٥٢).

ولمن كان مثله لا يتعدى إلى غيرهم، والله أعلم.

(٤٧) كتاب الطلاق

٤٩٧ - باب النهي عن الطلاق في الحيض

﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ يَفْحَشَةً مُبِينَةً وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ فَاَتَمَّسَكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ١، ٢].

عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: طلقت امرأتي وهي حائض، فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ؛ فتعيط رسول الله ﷺ ثم قال: «مره فليراجعها حتى تحيض حيضة أخرى مستقبلة سوى حيضتها التي طلقها فيها، فإن بدا له أن يطلقها، فليطلقها طاهراً من حيضتها قبل أن يمسه، فذلك الطلاق للعدة كما أمر الله»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٨)، ومسلم (١٤٧١) (٤) واللفظ له.

● من فقه (الباب:

١ - تحريم الطلاق في الحيض يدل على ذلك أمور:

أ - تغيب النبي ﷺ من فعل ابن عمر، وفيه إشعار بأن الطلاق في الحيض تقدم النهي عنه، وإلا لم يقع التغيب على أمر لم يسبق النهي عنه، والله أعلم.

فإن قيل: لو عُلِمَ النهي عنه لما بادر عمر رضي الله عنه بالسؤال عن ذلك.

فالجواب: أن مبادرة عمر رضي الله عنه بالسؤال لا تعكر على ذلك، لأنه يكون عرف حكم الطلاق في الحيض، وأنه منهي عنه، ولم يعرف ماذا يصنع من وقع منه ذلك، والله أعلم.

ب - أمره ﷺ ابن عمر بمراجعة امرأته ثم طلاقها طلاقاً سنياً إن عزم على ذلك.

ت - فتوى ابن عمر رضي الله عنهما صاحب القصة لمن سأل عن رجل طلق امرأته ثلاثاً وهي حائض: «أما أنت ثلاثاً فقد عصيت ربك فيما أمرك به من طلاق امرأتك وبانت منك»^(١).

وهذا صريح في أن من طلق في الحيض فقد عصى ربه؛ لأنه تعدى حدود الله، ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه.

٢ - يحرم الطلاق في طهر جامعها فيه لقوله ﷺ: «فليطلقها طاهراً من حيضتها قبل أن يمسه».

٣ - اتفق روايات حديث الباب على أن الطلاق البدعي وإن كان حراماً فإنه يقع، وتحتسب تطليقة، ففي رواية عن ابن سيرين: «طلق ابن عمر امرأته وهي حائض فذكر عمر للنبي ﷺ؛ فقال: «ليراجعها»؛ قلت: تحتسب؟ قال: فَمَهْ^(١).

فقول ابن عمر: فمه للزجر عن هذا القول، ومعناه: لا شك في وقوع الطلاق وأجزم به.

وفي رواية عن سعيد بن جبير عن ابن عمر؛ قال: حُسِبَتْ عليّ بتطليقة^(٢).

٤ - قال الحافظ في «فتح الباري» (٣٤٦/٩ - ٣٤٧): «ويستثنى من تحريم طلاق الحائض صور: منها ما لو كانت حاملاً ورأت الدم، وقلنا الحامل تحيض فلا يكون طلاقها بدعياً ولا سيما إن وقع بقرب الولادة.

ومنها إذا طلق الحاكم على المولى واتفق وقوع ذلك في الحيض، وكذا في صورة الحكمين إذا تعين ذلك طريقاً لرفع الشقاق، وكذلك الخلع، والله أعلم».

٥ - وجوب مراجعة المطلقة طلاقاً بدعياً؛ لأن الأمر النبوي صريح في ذلك؛ وهو قوله ﷺ لعمر رضي الله عنه: «مُرّه فليراجعها» والأمر بالأمر هنا أمر؛ لأن الأمر الأول وهو رسول الله ﷺ يسوغ له الحكم على المأمور الثاني، والشارع حاكم على الأمر والمأمور؛

(١) البخاري (٥٢٥٢)، ومسلم (١٤٧١) (١٢).

(٢) البخاري (٥٢٥٣).

فالتكليف وارد على الفريقين.

فإن قيل: إن ابتداء النكاح لا يجب؛ فاستدامته كذلك.

فالجواب: لما كان الطلاق في الحيض محرماً كانت استدامة النكاح فيه واجبة، والله أعلم.

٤٩٨ - باب تحريم سؤال المرأة زوجها الطلاق دون بأس

عن ثوبان رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «المختلعات والمتزعات هنّ المنافقات»^(٢).

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٧)، وابن ماجه (٢٠٥٥)، وأحمد (٢٧٧/٥ و ٢٨٣)، والدارمي (١٦٢/٢)، وابن الجارود (٧٤٨)، والطبري في «جامع البيان» (٤٨٤٣ و ٢٤٨٤٤)، وابن حبان (٤١٨٤)، وابن أبي شيبه (٢٧٢/٥)، والحاكم (٢٠٠/٢)، والبيهقي (٣١٦/٧).
من طرق عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عنه به.
صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
قلت: لا؛ إسناده صحيح على شرط مسلم؛ لأن البخاري لم يخرج لأبي أسماء الرحي، وهو: عمرو بن مرثد؛ فهو من رجال مسلم.
وللحديث شاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن ماجه (٢٠٥٤).
وإسناده ضعيف فيه مجهولان: جعفر بن يحيى، وعمه عمارة بن ثوبان، والله أعلم.

(٢) صحيح - أخرجه النسائي (١٦٨/٦)، وأحمد (٤١٤/٢)، والبيهقي (٣١٦/٧).

● من فقه (الباب):

١ - تغليظ تحريم أن تطلب المرأة من زوجها طلاقها من غير ما بأس، أو تخالغ نفسها إذا لم يكن سبب يقتضيه، ويدل على التحريم أمور منها:

أ - تحريم رائحة الجنة على من طلبت ذلك.

ب - هذا صفة المنافقات.

٢ - الخلع طلاق وليس فسخاً، ولذلك أخرج أهل العلم حديث ثوبان تحت أبواب الخلع كأبي داود، والترمذي، وابن ماجه ولذلك جمع بعض أهل العلم بين حديثي الباب كالبيهقي.

ويدل على أن الخلع طلاق قول رسول الله ﷺ لثابت بن قيس رضي الله عنه عندما طلبت امرأته الخلع: «أقبل الحديقة، وطلقها تطليقة»^(١).

٤٩٩ - باب تحريم تخييب المرأة على زوجها

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من

= قال النسائي: «قال الحسن: لم أسمعه من غير أبي هريرة».

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات أثبات، وقول الحسن الذي ساقه النسائي نص عزيز يثبت سماعه من أبي هريرة، فهو ثقة ثبت، والإسناد إليه صحيح، ولذلك قال الحافظ في «التهذيب» في ترجمة الحسن: «وهذا إسناد لا مطعن في أحد رواته، وهو يؤيد أنه سمع من أبي هريرة في الجملة».

ولذلك لا يلتفت إلى إعلال النسائي له بالانقطاع ولا إلى قول الشوكاني في «نيل الأوطار» (٤١/٧)، وهو من رواية الحسن عنه وفي سماعه منه نظر.

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧٣).

خَبَّبَ^(١) خادماً على أهله فليس منا، ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا^(٢).

عن بريدة بن الحبيب رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من حلف بالأمانة، ومن خبب على امرئ زوجته أو مملوكه فليس منا»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - إفساد امرأة الرجل أو أمته أو عبده من أكبر الكبائر، لأن ظلم

(١) خادع وأفسد.

(٢) صحيح - أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣٩٦/١)، وأبو داود (٢١٧٥) و (٥١٧٠)، وأحمد (٣٩٧/٢) واللفظ له، والحاكم (١٩٦/٢)، والبيهقي (١٣/٨)، وفي «الآداب» (٨٠)، وابن حبان (٥٦٨ و ٥٥٦٠).

من طرق عن عمار بن زريق عن عبد الله بن عيسى عن عكرمة عن يحيى بن معمر عنه به.

قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٣) صحيح - أخرجه أحمد (٣٥٢/٥)، والحاكم (٢٩٨/٤)، وابن حبان (٤٣٦٣)، والبيهقي (٣/١٠)، والبخاري (١٥٠٠).

من طريق الوليد بن ثعلبة الطائي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعاً.

قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وصححه الحاكم، والمنذري، والذهبي، وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣٩٦/١)، وأبو يعلى (٢٤١٣). وإسناده لا بأس به في المتابعات.

وآخر من حديث ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال الهيثمي في «مجمع الزوائد

(٣٣٢/٤): «وفيه محمد بن عبد الله الرازي لم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا»؛ وقال

في (٧٧/٥): «فيه أبو طيبة عبد الله بن مسلم، وثقة ابن حبان، وقال يخطيء ويخالف وبقية رجاله ثقات».

الزوج بإفساد حليلته، والجناية على بيته، وتهديم أسرته أعظم ظلماً من أخذ ماله بل كسفك دمه - عياداً بالله .

٢ - صيانة الأسرة المسلمة واجب على الجماعة المسلمة .

٥٠٠ - باب لا طلاق إلا فيما يملك

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ؛ قال: «لا طلاق إلا فيما تملك، ولا عتق إلا فيما تملك، ولا بيع إلا فيما تملك، ولا وفاء نذر إلا فيما تملك»^(١).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا طلاق لمن لم ينكح، ولا عتاق لمن لم يملك»^(٢).

وفي الباب عن علي بن أبي طالب، والمسور بن مخرمة، وأبي بكر بن محمد بن حزم عن أبيه عن جده، وعائشة، ومعاذ بن جبل، وابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهم.

● من فقه (الباب):

١ - لا يقع الطلاق الناجز على الأجنبية؛ قال البغوي في «شرح

(١) حسن - أخرجه أبو داود (٢١٩٠ - ٢١٩٢)، والترمذي (١١٨١)، وابن ماجه (٢٠٤٧)، وأحمد (١٨٩/٢، ١٩٠، ٢٠٧)، والدارقطني (١٤/٤ - ١٥)، والطيالسي (٢٢٦٥)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٦٥٩ و ٦٦٠)، وابن الجارود (٧٤٣)، وأبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (٢٩٥/١)، والحاكم (٢٠٥/٢)، والبيهقي (٣١٨/٧).

من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. قلت: إسناده حسن.

(٢) صحيح - أخرجه الطيالسي (١٦٨٢)، والحاكم (٢٠٤/٢ و ٤٢٠)، والبيهقي (٣١٩/٧).

قلت: صححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

السنة» (١٩٩/٩): «اتفق أهل العلم على أنه لو نجز طلاق امرأة قبل النكاح أو عتق عبد قبل الملك أنه لغو».

٢ - اختلف العلماء في تعليق الطلاق كأن يقول: إذا تزوجت فلانة فهي طالق، أو: إن تزوجت من مدينة كذا فهي طالق؛ فذهب جمهور الصحابة والتابعين ومن بعدهم أنه لا يقع.

قال الترمذي (٤٨٦/٣): «وهو قول أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم».

وهذا هو الحق؛ قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣٨٦/٩): «هذه الآثار تدل على أن معظم الصحابة والتابعين فهموا من الأخبار أن الطلاق أو العتاق الذي علّق قبل النكاح والملك لا يعمل بعد وقوعهما. وإن تأويل المخالف في حمله عدم الوقوع على ما إذا وقع قبل الملك، والوقوع فيما إذا وقع بعده ليس بشيء؛ لأن كل أحد يعلم بعدم الوقوع قبل وجود عقدة النكاح أو الملك فلا ينفي في الأخبار فائدة، بخلاف ما إذا حملناه على ظاهره فإن فيه فائدة وهو الإعلام بعدم الوقوع ولو بعد وجود العقد، فهذا يرجح ما ذهبنا إليه من حمل الأخبار على ظاهرها، والله أعلم».

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٢٨/٧): «وهذا التفصيل لا وجه له إلا مجرد الاستحسان كما أنه لا وجه للقول بإطلاق الصحة والحق أنه لا يصح الطلاق قبل النكاح مطلقاً».

٣ - حمل قوم أحاديث الباب على من يقول: امرأة فلان طالق وفيه بُعد لا يخفى، والله أعلم.

٥٠١ - باب لا تسأل المرأة طلاق أختها

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال: «لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها، وإنما لها ما قدر لها»^(١).
وفي رواية فيها زيادة: «فإن المسلمة أخت المسلمة»^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم أن تسأل المرأة طلاق الأخرى وأن يتزوجها؛ فيصير لها من نفقته ومعروفه ومعاشرته ما كان للمطلقة.

٢ - ليس المراد بـ «أختها» أخوة النسب، وإنما هي إخوة الدين؛ كما بينته الرواية الأخرى، ولذلك من قال يلحق بذلك الكافرة في الحكم وإن لم تكن أختاً في الدين فليس بشيء، والله أعلم.

٣ - لا يحل للضررة أن تسأل زوجها أن يطلق ضررتها لتنفرد به.

٤ - لا يجوز لامرأة مسلمة أن تتعرض لهذا المحذور الذي لا يقع منه شيء لمجرد إرادتها فلا يقع إلا ما قدره الله، وهذا مراد قوله ﷺ كما في رواية مسلم: «وَلْتَنْكِحْ فَإِنَّمَا لَهَا مَا كُتِبَ لَهَا».

٥٠٢ - باب تحريم أخذ مهر المرأة

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

(١) أخرجه البخاري (٥١٥٢)، ومسلم (١٤٠٨).

(٢) صحيح - أخرجه ابن حبان (٤٠٧٠)، وأحمد (٣١١/٢).

قلت: إسناده صحيح.

فَلَا تَعْتَدُوها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿البقرة: ٢٢٩﴾.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ أَيْحُمُّهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا * وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٩].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَعْظَمَ الذَّنْبُ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَزَوَّجَ امْرَأَةً فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ مِنْهَا طَلَّقَهَا وَذَهَبَ بِمَهْرِهَا، وَرَجُلٌ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا فَذَهَبَ بِأَجْرَتِهِ، وَآخِرُ يَقْتُلُ دَابَّةً عَبَثًا»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - لا يحل للرجل أن يأخذ من مهر المرأة شيئاً إن أراد طلاقها، ولو أعطاها مالا كثيراً، ولذلك فلا يجوز له أن يقهرها ويضرها لتفتدي به.

٢ - إذا أتت المرأة بفاحشة مبينة كالزنى والعصيان والنشوز وبذاءة اللسان، فله أن يسترجع منها الصداق الذي أعطاها ويضاجرها حتى تتركه له وتخالعه.

(١) حسن - أخرجه الحاكم (٢٨٢/٢) بإسناد حسن.

٥٠٣ - باب طلاق الهازل

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث جدّهن جدّ وهزلهن جدّ: النكاح، والطلاق، والرجعة»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - لا يجوز اللعب بالطلاق والهزل فإن فعل ذلك وقع.

قال البغوي في «شرح السنة» (٢٢٠/٩): «اتفق أهل العلم على أن طلاق الهازل يقع، وإذا جرى صريح لفظ الطلاق على لسان العاقل لا ينفعه أن يقول: كنت فيه لاعباً أو هازلاً؛ لأنه لو قبل ذلك منه؛ لتعطلت الأحكام، ولم يشأ مطلق أو ناكح أو معتق أن يقول: كنت في قلبي هازلاً إلا قال، فيكون في ذلك إبطال أحكام الله تعالى، فمن تكلم بشيء مما ذكر في هذا الحديث، لزمه حكمه، وخص هذه الثلاث بالذكر؛ لتأكيد أمر الفرج، والله أعلم.

قال ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٢٠٤/٥): «وتضمنت أن المكلف إذا هزل بالطلاق أو النكاح أو الرجعة لزمه ما هزل به، فدلّ

(١) حسن - أخرجه أبو داود (٢١٩٤)، والترمذي (١١٨٤)، وابن ماجه (٢٠٣٩)، وابن الجارود (٧١٢)، والبغوي (٢٣٥٦)، والحاكم (١٩٨/٢) وغيرهم.

من طريق عبدالرحمن بن حبيب عن عطاء بن أبي رباح عن ابن مائه عنه به. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن عبدالرحمن بن حبيب وهو ابن أدرك المدني ضعيف قال فيه النسائي: منكر الحديث.

وللحديث طرق وشواهد ذكرها الزيلعي في «نصب الراية» (٢٩٣/٣ - ٢٩٤)، وابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢٠٩/٣)، وشيخنا في «إرواء الغليل» (٢٢٤/٦) - (٢٢٨) وبعضها يصلح شاهداً له؛ ولذلك حسنه شيخنا حفظه الله.

ذلك على أن كلام الهازل معتبر وإن لم يعتبر كلام النائم والناسي، وزائل العقل والمكره.

والفرق بينهما أن الهازل قاصد للفظ غير مرید لحكمه، وذلك ليس إليه، فإنما إلى المكلف الأسباب، وأما ترتب مسبباتها وأحكامها فهو إلى الشارع قصده المكلف أو لم يقصده، والعبرة بقصده السبب اختياراً في حال عقله وتكليفه، فإذا قصده رتب الشارع عليه حكمه جدّ به أو هزل، ولهذا بخلاف النائم والمُبْرَسَم والمجنون والسكران وزائل العقل، فإنهم ليس لهم قصد صحيح، وليسوا مكلفين، فألفاظهم لغو بمنزلة ألفاظ الطفل الذي لا يعقل معناها، ولا يقصده. وسر المسألة الفرق بين من قصد اللفظ، وهو عالم به ولم يُرد حكمه وبين من لم يقصد اللفظ ولم يعلم معناه.

٢ - قال بعض أهل العلم: أن طلاق الهازل لا يقع، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ [البقرة: ٢٢٧] ولا حجة لهم في ذلك.

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٢١/٧): «والحديث يدل على أن من تلفظ هازلاً بلفظ نكاح أو طلاق أو رجعة أو عتاق كما في الأحاديث التي ذكرناها وقع ذلك منه ذلك.

أما في الطلاق فقد قال بذلك بعض الشافعية والحنفية وغيرهم وخالف في ذلك أحمد ومالك؛ فقال: إنه يفتقر اللفظ الصريح إلى النية وبه قال جماعة من الأئمة منهم الصادق والباقر والناصر واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ [البقرة: ٢٢٧]؛ فدلّت على اعتبار العزم والهازل لا عزم منه.

وأجاب صاحب «البحر» بالجمع بين الآية والحديث؛ فقال يعتبر

العزم في غير الصريح لا في الصريح فلا يعتبر .

والاستدلال بالآية على تلك الدعوى غير صحيح من أصله ؛ فلا يحتاج إلى الجمع فإنها نزلت في حق المولي .

٥٠٤ - باب لا طلاق في إغلاق

عن عائشة رضي الله عنها ؛ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« لا طلاق ولا عتاق في إغلاق »^(١) .

● من فقه الباب :

١ - فسر أبو داود الغلاق بقوله : أظنه الغضب ، لكن جمهور أهل الغريب فسروه بالإكراه ، وكان المكروه أغلق عليه الباب حتى يفعل ، ولا تناقض إذا حملنا الإغلاق على شدة الغضب حيث يصبح الأمر الناهي

(١) حسن بطرقه - أخرجه أبو داود (٢١٩٣) ، وابن ماجه (٢٠٤٦) ، وأحمد (٢٧٦/٦) ، وابن أبي شيبة (٤٩/٥) ، والدارقطني (٣٦/٤) ، والحاكم (١٩٨/٢) ، والبيهقي (٣٥٧/٧) .

قلت : إسناده ضعيف ؛ لأن فيه محمد بن عبيد بن أبي صالح المكي وهو ضعيف .
وأخرجه البيهقي (٣٥٧/٧) ، والدارقطني (٣٦/٤) .
من طريق آخر عن صفية بنت شيبة عن عائشة به .
قلت : وفيه قرعة بن سويد وهو ضعيف .

وأخرجه الحاكم (١٩٨/٢) من طريق ثالث عن صفية بنت شيبة عن عائشة به .
قال الذهبي : نعيم صاحب مناكير .
قلت : وهو كما قال فالإسناد ضعيف .
وبالجملة ، فهذه الطرق وإن كانت لا تخلو من مقال ، فإنها تشد بعضها بعضاً ،
فالحديث بمجموعها حسن ، والله أعلم .

على صاحبه فيصبح مغلقاً عليه لا يدري ما يفعل.

٢ - وأحسن من فصل في طلاق الإغلاق ابن قيم الجوزية رحمه الله؛ فقال في «زاد المعاد» (٥/٢١٥): «قال شيخنا: وحقيقة الإغلاق: أن يغلق على الرجل قلبه، فلا يقصد الكلام، أو لا يعلم به، كأنه انغلق عليه قصده وإرادته.

قلت: قال أبو العباس المبرّد: الغلق: ضيق الصدر، وقلة الصبر بحيث لا يجد مخلصاً.

قال شيخنا: ويدخل في ذلك طلاق المكره والمجنون، ومن زال عقله بسكر أو غضب، وكل من لا قصد له ولا معرفة له بما قال. والغضب على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يزيل العقل، فلا يشعر صاحبه بما قال، وهذا لا يقع طلاقه بلا نزاع.

الثاني: ما يكون في مبادئه بحيث لا يمنع صاحبه من تصور ما يقول وقصده، فهذا يقع طلاقه.

الثالث: أن يستحكم ويشد به، فلا يزيل عقله بالكلية، ولكن يحول بينه وبين نيته بحيث يندم على ما فرط منه إذا زال، فهذا محل نظر، وعدم الوقوع في هذه الحالة قوي متجه.

٥٠٥ - باب النهي عن الإيلاء فوق أربعة أشهر

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلَوْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦، ٢٢٧].

عن نافع: أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يقول في الإيلاء الذي سَمَّى الله تعالى: «لا يحل لأحد بعد الأجل إلا أن يمسه بالمعروف أو يعزم بالطلاق كما أمر الله عز وجل»^(١).

● من نقه (الباب):

١ - الإيلاء هو الحلف أن لا يجامع الرجل زوجته، وهذا لا يخلو أن يكون أقل من أربعة أشهر أو أكثر، فإن كانت أقل من أربعة أشهر فله أن ينتظر ثم يجامع امرأته، وعليها أن تصبر، وليس لها مطالبة بالفيئة، وإن زادت المدة عن أربعة أشهر فللزوجة مطالبة زوجها أن يفيء وإما أن يطلق وهذا لثلا يضر بها.

ولذلك فإن الإيلاء فوق أربعة أشهر دون الرجوع أو الطلاق حرام؛ لأنه محض الضرر بالزوجات.

٢ - لا يقع الطلاق بمجرد مضي الأربعة أشهر وهو مروي عن جمهور الصحابة.

عن نافع عن ابن عمر: «إذا مضت أربعة أشهر يوقف حتى يطلق، ولا يقع الطلاق حتى يطلق».

ويذكر ذلك عن عثمان، وعلي، وأبي الدرداء، وعائشة، وإثني عشر رجلاً من أصحاب النبي ﷺ^(٢).

وهذا هو الصواب إن شاء الله للوجوه الآتية:

(١) أخرجه البخاري (٥٢٩٠).

(٢) البخاري (٥٢٩١).

أ - دلالة قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ الصريحة أن انتهاء الأربعة أشهر لا يعد طلاقاً، حتى يعزم المولى المولى أو يفيء، وقد جعل الله عز وجل الطلاق والقيء معلقين بفعل المولى بعد المدة ولذلك فلا يتجه قول من قال: إن الطلاق يقع بمجرد مضي المدة، ولأنه لا يوجد في شيء من الأدلة أن العزم على الطلاق يكون طلاقاً، وإلا لكان العزم على الفيء يكون فيثاً دون الفعل ولا قائل بذلك.

ب - ما ثبت عن الصحابة في هذه المسألة يعد مرفوعاً حكماً كما قال الحافظ في «فتح الباري» (٤٢٨/٩): «وهذا تفسير للآية من ابن عمر، وتفسير الصحابة في مثل هذا له حكم الرفع عند الشيخين البخاري ومسلم كما نقله الحاكم، فيكون فيه ترجيح لمن قال يوقف».

ت - أنه قول أكثر الصحابة وموافق لظاهر القرآن؛ قال الحافظ في «فتح الباري» (٤٢٩/٩): «والترجيح قد يقع بالأكثر مع موافقة ظاهر القرآن».

٣ - ومن المدة التي ضربها الله للمولى استنبط بعض الفقهاء أنه لا يجوز للرجل ترك امرأته أكثر من أربعة أشهر وإن لم يكن مولياً، لأن ذلك الإجل يدل على أن المرأة ينذر أن تصبر عن زوجها أكثر من ذلك، والله أعلم.

٤ - يوقف المولى بعد انقضاء الأربعة أشهر، فإن لم يفيء ألزم بالطلاق، فإن لم يطلق طلق عليه الحاكم، والله أعلم.

٥٠٦ - باب تغليظ تحريم الظهار

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ

أَمَهُتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ
 * وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ
 تَوْعِظَةٌ يَهَىٰ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ * فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ
 يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَذَلِكَ حُدُودُ
 اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ [المجادلة: ٢ - ٤].

عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة رضي الله عنها؛ قالت: ظاهر مني
 زوجي أوس بن الصامت، فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه، ورسول
 الله ﷺ يجادلني فيه؛ ويقول: «اتق الله فإنه ابن عمك» فما برحت حتى
 نزل القرآن: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى الفرض فقال:
 «يعتق رقبة» قالت: لا يجد؛ قال: «فيصوم شهرين متتابعين»؛ قالت:
 يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به من صيام؛ قال: «فليطعم ستين
 مسكيناً»؛ قالت: ما عنده شيء يتصدق به؛ قالت: فأُتِيَ سَاعِتُذُ
 بَعْرَق^(١) من تمر، قلت: يا رسول الله، فإني أعينه بعرق آخر؛ قال:
 «أحسن، إذهي فأطعمي بها عنه ستين مسكيناً، وارجعي إلى ابن
 عمك»^(٢).

(١) مكتل، وهو: زنبيل يسع خمسة عشر صاعاً؛ كما صح عن أبي سلمة بن
 عبدالرحمن عند أبي داود (٢٢١٦)، وأما من قال: إنه يسع ستين صاعاً أو ثلاثين
 فأنكره العلماء؛ لأن الأسانيد إلى ذلك لا تصح، فقد تفرد بها معمر بن عبدالله بن
 حنظلة وهو مجهول.

(٢) حسن بشواهده - أخرجه أبو داود (٢٢١٤، ٢٢١٥)، وأحمد (٣٩١/٦ - ٣٩٢)،
 وابن حبان (٤٢٧٩)، وابن الجارود (٧٤٦)، والبيهقي (٣٩١/٧ - ٣٩٢) وغيرهم.
 من طريق ابن إسحاق عن معمر بن عبدالله بن حنظلة عن يوسف بن عبدالله بن
 سلام عنها به.

- = قلت: رجاله ثقات غير معمر بن عبدالله بن حنظلة، وهو مجهول؛ فالإسناد ضعيف، وأما ابن إسحاق فصريح بالتحديث عند أحمد وابن حبان. ولكن له شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن، منها:
- ١ - مرسل صالح بن كيسان عند ابن سعد في «الطبقات» (٣٧٨/٨ - ٣٧٩) وإسناده صحيح.
- ٢ - مرسل عطاء بن يسار عند البيهقي (٣٨٩/٧ - ٣٩٠) وإسناده صحيح، وقال البيهقي بإثره: «وهو شاهد للموصول قبله».
- ٣ - حديث عائشة عند أبي داود (٢٢٢٠)، والحاكم (٤٨١/٢).
- ٤ - حديث ابن عباس عند البزار (١٥١٣ - كشف الأستار)، والبيهقي (٣٩٢/٧).
- وفي الباب عن سلمة بن صخر عند أبي داود (٢٢١٣)، والترمذي (١١٩٨) و(٣٢٩٩)، وابن ماجه (٢٠٦٢)، وأحمد (٣٧/٤)، والدارمي (١٦٣/٢ - ١٦٤)، وابن الجارود (٧٤٤)، والحاكم (٢٠٣/٢)، والبيهقي (٣٩٠/٧).
- من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر.
- قلت: وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس، وقد عنعنه.
- وله طريق آخر عند أبي داود (٢٢١٧)، وابن الجارود (٧٤٥).
- من طريق ابن وهب أخبرهم قال: أخبرني ابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن بكير الأشج عن سليمان بن يسار وذكره مرسلًا.
- وهو إسناد صحيح مرسل.
- وله طريق ثالث أخرجه الترمذي (١٢٠٠)، والحاكم (٢٠٤/٢)، والبيهقي (٣٩٠/٧). من طريق يحيى بن أبي كثير أنبأنا أبو سلمة ومحمد بن عبدالرحمن بن ثوبان أن سلمة بن صخر البياضي ذكره.
- قلت: إسناده مرسل ورجالہ ثقات.
- وبالجملة، فالحديث حسن بطرقه وشواهد، والله أعلم.

● من فقه (الباب):

١ - الظهار حرام يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مَنَّكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾، وصورته: أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي.

٢ - من عاد لزمته الكفارة وهي تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

واختلف أهل العلم في العود، فذهب قوم أن المراد إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من تكرير لفظ الظهار؛ وقال آخرون هو الوطء؛ وقال آخرون: هو أن يمسكها عقب الظهار زماناً يمكنه أن يفارقها فلم يفعل. وظاهر القرآن يدل على أنه الوطء، والله أعلم.

٣ - تجب الكفارة على المظاهر قبل أن يمس زوجته أي يطأها، وهي على الترتيب لا التخيير؛ كما هو صريح الكتاب والسنة.

٥٠٧ - باب نهى المطلقة أن تكتم حملها أو حيضها

قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَیَصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

● من فقه (الباب):

١ - يحرم على المطلقة أن تكتم حيضها أو حملها أو تخبر بغير الواقع.

٢ - قال ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (١/٢٧٨): «تهديد

لهن على خلاف الحق، ودل هذا على أن المرجع في هذا إليهن؛ لأنه أمر لا يعلم إلا من جهتهن، ويتعذر إقامة البينة غالباً على ذلك، فرد الأمر إليهن، وتوعدن فيه لثلا يخبرن بغير الحق إما استعجالاً منها لانقضاء العدة أو رغبة منها في تطويلها لما لها في ذلك من المقاصد، فأمرت أن تخبر بالحق في ذلك من غير زيادة ولا نقصان.

٥٠٨ - باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره

قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِنْ سَاكُنَا بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَرَيجٍ يَأْخُذْ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْنَاهُمْ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩، ٢٣٠].

عن عائشة رضي الله عنها: أن رفاعة القرظي تزوج امرأة ثم طلقها فتزوجت آخر، فأنت النبي ﷺ فذكرت له أنه لا يأتيها، وأنه ليس معه إلا مثل هذبة^(١)؛ فقال: «لا حتى تذوقي عُسَيْلَتَهُ^(٢)» ويذوق عُسَيْلَتَكَ^(٣).

● من نكح (الباب).

١ - من بانث بينونة كبرى لا تحل لزوجها الأول حتى تنكح زوجاً غيره.

٢ - لا يجوز أن يكون في ذلك مخادعة من الزوج الثاني، ولا إرادة تحليلها للأول؛ فإن ذلك حرام، وهو ما يسمى في بلاد الشام

(١) طرف الثوب الذي لم ينسج، وأرادت أن متاعه يشبه الهدية في الاسترخاء وعدم الانتشار.

(٢) حلالة الجماع ولذته، وهو: أن تغيب الحشفة في الفرج.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣١٧)، ومسلم (١٤٣٣).

«التجحيشة» وفي بلاد العجم «الحلالة» كما سبق بيانه في كتاب النكاح.

٣ - لا بد أن يطأها الزوج الثاني؛ فتذوق عسيلته ويذوق عسيلتها، ولذلك فإن جامعها وهي نائمة أو مغمى عليها لا يجزىء.

٤ - فإن كان عنيماً فطلقها فلا يحق لها الرجوع إلى الزوج الأول؛ كما هو ظاهر حديث الباب.

(٤٨) كتاب النفقات

٥٠٩ - باب لا نفقة للمبتوتة ولا سكنى

عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: أن أبا عمرو بن حفص طلقها ألبتة وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير، فسخطته؛ فقال: والله ما لك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك؛ فقال: «ليس لك عليه نفقة» فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى، تضعين ثيابك فإذا حللت فأذيني» الحديث^(١).

● من فقه الباب:

١ - المطلقة ثلاثاً التي لا يخل لزوجها أن ينكحها إلا أن تنكح زوجاً غيره ليس لها نفقة ولا سكنى.

٢ - يستثنى من ذلك أن تكون حاملاً فلها النفقة لقوله ﷺ: «لا نفقة لك إلا أن تكوني حاملاً»^(٢).

٣ - وقد اعترض على حديث فاطمة بنت قيس وإنه مخالف لظاهر

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٢٩٠) بإسناد صحيح.

القرآن، وقد رد ذلك كله ابن قيم الجوزية رحمه الله في بحث ماتع في كتابه الفذ «زاد المعاد» (٥/٥٢٢ - ٥٤٢)، ولولا طوله لنقلته، ولكن يرجع إليه؛ فإنه نفيس.

٤٩ كتاب الأطعمة

٥١٠ - باب تحريم الأكل بالشمال

عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ؛ قال: «لا تأكلوا بالشمال، فإن الشيطان يأكل بالشمال»^(١).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يأكلن أحد منكم بشماله، ولا يشربن بها؛ فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها»^(٢).

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: «كل بيمينك» قال: لا أستطيع. قال: «لا استطعت» ما منعه إلا الكبير، قال: فما رفعها إلى فيه^(٣).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم الأكل بالشمال، لأن ذلك من فعل الشيطان، فينبغي مخالفته وعدم التشبه به.

(١) أخرجه مسلم (٢٠١٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢٠) (١٠٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

٢ - الإثم يلحق بمن ليس له عذر من مرض أو جراحة، فإن كان فلا إثم، وهذا صريح في الحديث الأخير، والله أعلم.

٥١١ - باب الزجر عن الأكل من رأس الطعام

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا من حواليلها، ودعوا ذروتها يبارك فيها»^(١).

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم طعاماً، فلا يأكل من أعلى الصّحفة، ولكن ليأكل من أسفلها، فإن البركة تنزل من أعلاها»^(٢).

عن سلمى: «كان يكره أن يؤخذ من رأس الطعام»^(٣).

● من نقه (الباب)

١ - تحريم ابتداء الأكل من ذروة الطعام بل من جوانبه.

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٧٧٣)، وابن ماجه (٣٢٦٣ و ٣٢٧٥)، والبيهقي (٢٨٣/٧) وغيرهم.

قلت: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٧٧٢)، والترمذي (١٨٠٥)، وابن ماجه (٣٢٧٧)، وأحمد (٢٧٠/١ و ٣٠٠ و ٣٤٥ و ٣٦٤)، والحاكم (١١٦/٤)، والبيهقي في «السنن» (٢٧٨/٧)، و«الأدب» (٦٣٢)، والبعث في «شرح السنة» (٢٨٧٣) وغيرهم.

من طرق عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه به.

قلت: إسناده صحيح. وقد أعله بعض أهل العلم بعطاء؛ لأنه كان اختلط، وخفي عليه أن شعبة وسفيان من الرواة عنه عند أبي داود وأحمد وقد سمعا منه قبل الاختلاط، فالإسناد صحيح لا ريب.

(٣) حسن - «صحيح الجامع الصغير» (٥٠٠٨)، وحسنه العراقي والهيتمي ووافقهم المناوي كما في «فيض القدير» (٥ / ٢٤٤).

٢ - البركة تنزل وسط الطعام ثم تفيض من أعلى الصفحة على جوانبها.

٥١٢ - باب الزجر عن التفرق على الطعام

عن وحشي بن حرب قال: إن رجلاً قال: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع؟ قال: «فلعلكم تأكلون متفرقين؟ اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله تعالى عليه يبارك لكم فيه»^(١).
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا جميعاً ولا تتفرقوا؛ فإن البركة مع الجماعة»^(٢).
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا جميعاً ولا تتفرقوا؛ فإن طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة»^(٣).

وأحاديث الباب يقوي بعضها بعضاً:

● من فقه الباب:

- ١ - تحريم التفرق على الطعام؛ لأنه يمحق البركة.
- ٢ - الاجتماع على الطعام مراعاة للتآلف والمواساة.

(١) حسن لغيره - أخرجه أبو داود (٣٧٦٤)، وابن ماجه (٣٢٨٦)، وأحمد (٥٠١/٣)، وابن حبان (٥٢٢٤)، والحاكم (١٠٣/٢).
قلت: إسناده فيه ضعف، لأن وحشي بن حرب وأباه حرب بن وحشي مقبولان، ولكن يشهد له ما بعده.
(٢) حسن لغيره - أخرجه ابن ماجه (٣٢٨٧).
قلت: إسناده فيه ضعف؛ لأن عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير ضعيف.
(٣) حسن لغيره - «الصحيحة» (٢٦٩١).

٥١٣ - باب تحريم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة

عن ابن أبي ليلى قال: كان حذيفة بالمدائن، فاستسقى فأتاه دِهْقَانٌ^(١) بقدر فضة، فرماه به فقال: إني لم أرميه إلا إني نهيته فلم يته، وإن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة وقال: «هن لهم في الدنيا، وهن لكم في الآخرة»^(٢).

عن أم سلمة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر»^(٣) في بطنه نار جهنم»^(٤).

وفي رواية: «إن الذي يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب»^(٥).

وفي الباب عن البراء بن عازب، وأنس ابن مالك رضي الله عنهما.

● من فقهه (الباب):

١ - تحريم الشرب والأكل في آنية الذهب والفضة، ومن فعل ذلك فقد تشبه بقوم غضب الله عليهم ممن حرفوا شرعه.

٢ - الشرب والأكل في أواني الذهب والفضة للكفار في الدنيا، ولنا - إن شاء الله - في الآخرة.

(١) هو زعيم فلاحى المعجم.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٣٢)، ومسلم (٢٠٦٧).

(٣) صوت يردده البعير من حنجرته إذا هاج نحو صوت اللجام في فك الفرس، والمراد: تصوت النار في بطنه.

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٣٤)، ومسلم (٢٠٦٥).

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٦٥).

- ٣ - من استعمل آنية الذهب والفضة استحق عذاب جهنم .
 ٤ - يلحق بالأكل والشرب ما في معناهما مثل التطيب والتكحل .
 ٥ - هذا الحكم يشترك فيه الرجال والنساء عدا الحلي للنساء فإنه مباح لهن ، وكذلك اتخاذ خاتم الفضة للرجال .

٥١٤ - باب تحريم تخصيص الأغنياء بالدعوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه كان يقول : «بئس الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء ، ويترك المساكين ، فمن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله»^(١) .

وفي رواية أن النبي ﷺ قال : «شر الطعام طعام الوليمة ، يمنعها من يأتيها ، ويدعى إليها من يأبأها ، ومن لم يجِب الدعوة فقد عصى الله ورسوله»^(٢) .

● من فقه (الباب):

١ - تحريم تخصيص الأغنياء بالدعوة في الولائم دون الفقراء ؛ لأن ذلك يجعلها شر الطعام .

٢ - الحديث خرج عل سبيل الإخبار بما يقع فيه الناس عادة من مراعاة الأغنياء في الولائم ، وتخصيصهم بالدعوة ، وإيثارهم بطيب الطعام ، وصدر المجالس وتقديمهم على الفقراء .

(١) أخرجه البخاري (٥١٧٧) ، ومسلم (١٤٣٢) موقوفاً وهو مرفوع حكماً ؛ كما بينه الحافظ في «فتح الباري» (٩/ ٢٤٤ - ٢٤٥) .

(٢) أخرجه مسلم (١٤٣٢) (١١٠) .

وليس معناه: أن طعام الوليمة شر، فلو كان كذلك لما أوجب تلبية الدعوة، وجعل رفضها عصياناً لله ورسوله؛ لأن العصيان لا يطلق إلا على ترك الواجب، فتدبر.

٥١٥ - باب الزجر عن القرآن بين تمرتين إذا أكل جماعة^(١)

عن جبلة: كنا بالمدينة في بعض أهل العراق فأصابنا سنة، فكان ابن الزبير يرزقنا الثمر، فكان ابن عمر رضي الله عنهما يمرُّ بنا فيقول: «إن رسول الله ﷺ نهى عن القرآن، إلا أن يستأذن الرجل منكم أخاه»^(٢).

● من فقه الباب

١ - تحريم القرآن في الطعام من غير إذن لمن يؤاكلهم لما فيه من الغبن لرفيقه وشريكه.

٢ - علق بعض أهل العلم النهي في حالة الضيق وقلة الطعام وسوء العيش، والصواب: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ناهيك أن سبب ورود الحديث ليس علة في وجود الحكم حتى يدور معها وجوداً وعدمًا، فمن حكم تحريم القرآن: منع الظلم والغبن، وتطيب نفوس الآكلين، وعدم الشره والأثرة.

٥١٦ - باب الزجر عن الأكل متكئين

عن أبي جحيفة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «إني

(١) وقد مضى بسط مسألة الباب في كتاب الشركة باب النهي عن القرآن في التمر بين الشركاء (٣٤٣/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٥)، ومسلم (٢٠٤٥).

لا آكل متكئاً»^(١).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ قال: «ما رُئي رسول الله ﷺ يأكل متكئاً قط، ولا يطأ عقبه رجلاً»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - قال الخطابي في «معالم السنن» (٢٤٢/٤) ونقله البغوي في «شرح السنة» (٢٨٦/١١): «يحسب أكثر العامة أن المتكىء هو المائل المعتمد على أحد شقيه، وليس معنى الحديث ما ذهبوا إليه، وإنما المتكىء ها هنا هو المعتمد على الوطاء الذي تحته، وكل من استوى قاعداً على وطاء فهو متكىء».

قلت: ما رده الخطابي هو الراجح، ويشهد له قول الصحابة رضي الله عنهم في الحديث الصحيح: «وكان متكئاً فجلس»؛ أي: مائلاً إلى جنبه فجلس، وقد جزم به ابن الجوزي.

٢ - حرمة الأكل متكئاً، وقوله ﷺ وفعله دالٌّ على ذلك، لأنه ينبغي التقلل من الطعام ويتواضع فلا يتشبه بالعجم.

٣ - الأكل متكئاً يؤذي؛ لأن الطعام لا ينحدر في مجاريه سهلاً ولا يسيغه هنيئاً.

٤ - الاعتماد على اليد عند الأكل فيه نوع اتكاء؛ لأنه يؤدي إلى الميل، ولهذا لا يخفى، وقد ورد في الزجر عنه حديث لا يصح؛ كما قال

(١) أخرجه البخاري (٥٣٩٨ و ٥٣٩٩).

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٧٧٠)، وابن ماجه (٢٤٤)، والبغوي في «شرح السنة»

(٢٨٤٠)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (ص ٢١٣) وغيرهم.

قلت: إسناده صحيح.

الحافظ في «فتح الباري» (٥٤١/٩).

٥١٧ - باب النهي عن مسح اليد قبل لعقها

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ؛ قال: «إذا أكل أحدكم فلا يمسح يده حتى يَلْعَقَهَا أو يُلْعِقَهَا»^(١).

عن جابر رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها، فليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان، ولا يمسح يده بالمنديل حتى يَلْعَقَ أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه البركة»^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - النهي عن مسح اليد بالمنديل المعد لإزالة ما يبقى من طعام على اليد من قبل لَحْسِهَا اغتناماً للبركة وحرصاً عليها، أو يُلْحِسَهَا غيره ممن لا يقدر من ذلك.

٢ - النهي عن ترك اللقمة التي سقطت، بل عليه إمالة الأذى ثم أكلها، ولا يدعها للشيطان.

٥١٨ - باب كراهة البيتوتة وفي يده غمر

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من نام وفي يده غَمْرٌ»^(٣) ولم يَغْسِلْهُ فأصابه شيء فلا يلومن إلا

(١) أخرجه البخاري (٥٤٥٦)، ومسلم (٢٠٣١).

(٢) مسلم (٢٠٣٣) (١١٤) و(١٣٥).

(٣) ربح اللحم وزنخه، وما يعلق باليد من دسمه.

نفسه»^(١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «من نام وبيده غمر قبل أن يغسله، فأصابه شيء، فلا يلومن إلا نفسه»^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - كراهة البيوتة ولم يغسل الأكل يده من الدسم.

٢ - ترك ريح اللحم وزنخه على اليد يستجلب الحشرات السامة، ويفضي إلى بعض الأمراض الجلدية؛ كما هو مشاهد ومُجَرَّب.

٥١٩ - باب النهي عن التكلف للضيف

عن شقيق قال: دخلت أنا وصاحب لي على سلمان رضي الله عنه، فقرب إلينا خبزاً وملحاً؛ فقال: «لولا أن رسول الله ﷺ نهانا عن التكلف، لتكلفنا لكم».

فقال صاحبي: فلو كان في ملحنا سعترا، فبعث بمطهرته إلى البقال، فرهنها، فجاء بسعترا، فألقاه فيه، فلما أكلنا قال صاحبي:

(١) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٢٠)، وأبو داود (٣٨٥٢)، والترمذي (١٨٦٠)، وابن ماجه (٣٢٩٧)، وأحمد (٢٦٣/٢ و ٥٣٧)، والبخاري في «شرح السنة» (٢٨٧٨)، والبيهقي (٢٧٦/٧)، وابن حبان (٥٥٢١) وغيرهم.

قلت: إسناده صحيح.

(٢) صحيح لغيره - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢١٩)، والطبراني في «الأوسط» (٥٠٢)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٣٤٨/٢)، والبزار (٢٨٨٦) وغيرهم من طرق عنه.

قلت: وهو صحيح بمجموع ذلك.

الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة عند البقال^(١).

● من نقه (الباب)

١ - النهي عن التكلف للضيف ما لا يقدر عليه، فإن ذلك يدور بين الإحراج والرياء وكلاهما شر عياداً بالله.

٢ - ينبغي على الضيف أن يقنع بما قدم له ولا يحرص مضيفه.

٣ - لا يجوز للضيف أن يثوي عند مضيفه حتى يُخرجَه لحديث أبي شريح الكعبي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم

(١) حسن - أخرجه الحاكم (٤/١٢٣)، وابن عدي في «الكامل» (٣/١١٠٥).

من طريق سليمان بن قرم عنه به والسياق للحاكم.

صححه الحاكم ووافقه الذهبي وإسناده حسن إن شاء الله؛ لأن سليمان من رجال مسلم، وفيه ضعف، وحديثه حسن إن شاء الله.

وتابعه قيس بن الربيع ثنا عثمان بن شاذان رجل من بني أسد عن شقيق وذكره بنحوه.

أخرجه أحمد (٥/٤٤١) بإسناد ضعيف فيه قيس بن الربيع سيء الحفظ، وعثمان فيه جهالة.

وله طريق آخر عند أبي نعيم في «أخبار أصبهان» (١/٥٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/٢٠٥)، والحاكم (٤/١٢٣).

من طريق حسين بن الدماس قال: سمعت عبدالرحمن بن مسعود وسليم بن رباح وزكريا بن إسحاق يحدثون عن سلمان عن النبي ﷺ: «لا يتكلفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه».

قلت: هذا إسناد فيه جهالة.

والحديث بمجموع ذلك ثابت قوي إن شاء الله.

الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته^(١) يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام فما كان بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي^(٢) عنده حتى يخرجه^(٣)»^(٤).

وفي رواية لمسلم: «ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه» قالوا: يا رسول الله وكيف يؤثمه؟ قال: «يقيم عنده ولا شيء له يقره به».

٥٢٠ - باب تحريم الأكل منبطحاً

عن ابن عمر رضي الله عنه؛ قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه»^(٥).

عن علي رضي الله عنه؛ قال: «نهاني رسول الله ﷺ عن صلاتين، وقراءتين، وأكلتين، ولبستين: نهاني أن أصلي بعد الصبح حتى ترتفع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب، وأن أكل وأنا منبطح على بطني، ونهاني أن أليس الصماء، وأحتبي في ثوب واحد ليس بين فرجي وبين السماء ساتر»^(٦).

● من فقه (الباب):

١ - لا يجوز الأكل منبطحاً على وجهه.

(١) منحته وعطيته.

(٢) يقيم.

(٣) يضيق عليه.

(٤) أخرجه البخاري (٦١٣٥)، ومسلم (٤٨) (١٥) (١٣٥٣/٣).

(٥) حسن لغیره - أخرجه أبو داود (٣٧٧٤)، وابن ماجه (٣٧٧٠)، والحاكم (١٢٩/٤).

قلت: إسناده ضعيف لكن يشهد له ما بعده.

(٦) حسن بما قبله - أخرجه الحاكم (١١٩/٤) وضعفه ووافقه الذهبي.

٥٢١ - باب الزجر عن الجلوس على مائدة عليها منكر

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر»^(١).

عن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «يا أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدن على مائدة يدار عليها الخمر»^(٢).

عن جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير إزار، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر»^(٣).

(١) حسن لغيره - أخرجه أبو داود (٣٧٧٤)، والحاكم (١٢٩/٤).

قلت: إسناده فيه ضعف، ولكن للحديث شواهد عن عمر بن الخطاب، وجابر بن عبد الله، وابن عباس رضي الله عنهم، وبالجمل؛ فالحديث بها ثابت.

(٢) حسن لغيره - أخرجه أحمد (٢٠/١)، والبيهقي (٢٦٦/٧) بإسناد فيه جهالة لكن يشهد له أحاديث الباب.

(٣) حسن بطرقه - أخرجه الترمذي (٢٨٠١)، وأبو يعلى (١٩٢٥).

من طريق ليث بن أبي سليم عن طاووس به.

قلت: إسناده ضعيف؛ لضعف ليث.

وأخرجه أحمد (٣٣٩/٣)، والحاكم (١٦٢/١) و (٢٨٨/٤) وغيرهما.

من طريق أبي الزبير عنه به.

قلت: فيه عنعنة أبي الزبير؛ فإنه مدلس معزوف.

والحديث بطريقه حسن.

وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما.

● من فقه (الباب):

١ - تحريم الجلوس على مائدة يدار عليها الخمر، أو يوضع عليها مأكول محرم، أو يحدث عليها منكر من القول أو الفعل.

٥٢٢ - باب النهي عن الأكل في آنية المشركين

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنا بأرض قوم من أهل الكتاب نأكل في آنيهم، وأرض صيد أصيد بقوسي، وأصيد بكلمي الذي ليس بمُعَلَّم، فأخبرني ما الذي يحل لنا من ذلك؟ قال: «أما ما ذكرت أنكم بأرض قوم من أهل الكتاب، تأكلون في آنيهم، فإن وجدتم غير آنيهم فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا، فاغسلوها، ثم كلوا فيها، وأما ما ذكرت أنك بأرض صيد، فما أصبت بقوسك فاذكر اسم الله ثم كُلْ، وما أصبت بكلمك المُعَلَّم فاذكر اسم الله ثم كُلْ، وما أصبت بكلمك الذي ليس بِمُعَلَّم فأدركت ذكاته فَكُلْ»^(١).

وفي رواية: «لا تطبخوا في قدور المشركين، فإن لم تجدوا غيرها، فارحضوها»^(٢) رَحَضاً حسناً، ثم اطبخوا وكلوا»^(٣).

وفي الباب عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

● من فقه (الباب):

١ - دلت أحاديث الباب على نجاسة آنية المشركين من أهل

(١) أخرجه البخاري (٥٤٧٨) ومسلم (١٩٣٠).

(٢) اغسلوها.

(٣) ابن ماجه (٢٨٣١).

الكتاب والمجوس وأهل الأوثان وغيرهم؛ لكثرة استعمالهم النجاسة كالخنزير وغيره، بل منهم من يتدين بملامستها.

٢ - تحريم استعمال آنيّتهم للأكل والطبخ مع القدرة على غيرها.

٣ - إذا اضطر إلى آنيّتهم فتغسل غسلًا حسنًا.

٥٢٣ - باب النهي عن السؤال عن طعام وشراب المسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم، فأطعمه من طعامه فليأكل ولا يسأله عنه، وإن سقاه من شرابه فليشرب من شرابه ولا يسأله عنه»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - النهي عن السؤال عن طعام وشراب المسلم.

٢ - هذا النهي محمول على من غلب على ماله الحلال ويتقي الشبهات والمحرمات، وهو المسلم الذي لا يتهم، وهذا ما ثبت عن أنس بن مالك حيث قال: «إذا دخلت على مسلم لا يُتَّهم فكل من

(١) صحيح بطرقه - أخرجه أحمد (٣/٣٩٩)، والحاكم (٤/١٢٦)، وأبو يعلى (٦٣٥٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢٤٦١)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/٨٧).

من طزيق مسلم بن خالد عن زيد بن أسلم عن سُمي عن أبي صالح عنه به مرفوعاً. قلت: إسناده ضعيف رجاله ثقات غير مسلم بن خالد الزنجي؛ فهو ضعيف. وساق الحاكم له طريقاً آخر عن ابن عجلان عن سعيد عنه؛ لكنه قال على شرط مسلم. قلت: وفيه تساهل؛ لأن ابن عجلان أخرج له مسلم متابعه ولكنه حسن الحديث، فالحديث بمجموعهما صحيح؛ والله أعلم.

طعامه واشرب من شرابه»^(١).

قال الحافظ في «فتح الباري» (٥٨٤/٩): «وعلى هذا القيد يحمل مطلق حديث أبي هريرة، والله أعلم».

٣ - قد يجب السؤال أحياناً وبخاصة بعض المسلمين الذين يعيشون في بلاد الكفر؛ فإن اللحم الذبيح هناك أندر من الكبريت الأحمر، ولا يهتم بهذا الشأن إلا كل حريص على دينه كما رأينا ذلك عياناً.

٥٢٤ - باب الزجر عن الأكل حتى الشبع

عن مقدم بن معدي كرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكلاث يُقمن صُلْبُهُ، فإن كان لا مَحَالَةَ فثُلُثَ لَطْعَامِهِ وَثُلُثَ لَشْرَابِهِ، وَثُلُثَ لِنَفْسِهِ»^(٢).

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون قوم يأكلون بألستهم كما تأكل البقرة من

(١) علقه البخاري (٥٨٣/٩ - فتح)، ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٠/٨).
(٢) صحيح - أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، والنسائي في «الكبرى» (٥١٢/٨ - تحفة)، وأحمد (١٢١/٤)، وابن المبارك في «الزهد» (٦٠٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/٦٤٤ و ٦٤٥)، و«الأوسط» (٤٥٨ - مجمع البحرين)، «مسند الشاميين» (١٣٧٥) و (١٣٧٦)، والحاكم (١٢١/٤ و ٣٣١ و ٣٣٢)، والقضاعي في «الشهاب» (١٤٣٠) وغيرهم.

من طريق يحيى بن جابر عنه.

قلت: إسناده صحيح متصل.

وله طرق أخرى عنه ذكرتها في «إيقاظ الهمم» (ص ٦١١ - ٦١٢).

الأرض»^(١)

● من فقه الباب:

١ - هذا الباب وبخاصة ما ورد في حديث المقدام أصل جامع لأصول الطب كلها، فلو استعمله الناس لسلموا من الأمراض والأسقام بإذن الله، لأنَّ الشَّعْ أصل كل داء، فالمعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء.

٢ - كان هدي رسول الله ﷺ وأصحابه التقلل من الأكل والشراب، ولذلك أخير رسول الله ﷺ أن السَّمَن يظهر بعد القرون المفضلة المشهود لها بالخيرية: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي قوم يشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السَّمَن»^(٢).

ولا شك إن حال النبي وأصحابه أكمل الأحوال وأفضلها.

٣ - حديث سعد الذي أورده في هذا الباب وضعه من خرجه في باب «التشديق في الكلام» وهو الذي يدل عليه ديباجته.

(١) صحيح - أخرجه أحمد (١٧٥/١ - ١٧٦ و ١٨٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٩٧٦)، وهناد في «الزهد» (١١٥٤) من طرق عنه.

قلت: وهو بها صحيح.

وله شاهد من حديث عبدالله بن عمرو، وآخر من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنهم.

(٢) ورد عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، فلذلك هو متواتر كما نص على ذلك الحافظ في «الإصابة» (١٢/١) فقال: «وتواتر عنه ﷺ قوله: خير الناس قرني ثم الذين يلونهم».

عن مجمع قال: كان لعمر بن سعد إلى أبيه حاجة، فقدم بين يدي حاجته كلاماً مما يحدث الناس يوصلون. لم يكن يسمعه، فلما فرغ قال: يا بني قد فرغت من كلامك؟ قال: نعم. قال: ما كنت من حاجتك أبعد ولا كنت قبل أزهد مني منذ سمعت كلامك هذا (وذكره).

ولإنما وضعته في هذا الباب للوجوه الآتية:

أ - أن ظاهر الحديث يحتمله.

ب - العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ت - تلازم الشره في الأكل مع التشدق في الكلام يدل عليه حديث فاطمة بنت الحسين وعروة بن رويم مرسلاً: «إن من شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم، الذين يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب، يتشدقون بالكلام»^(١)، وحديث أبي أمامة مرفوعاً: «سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون في الكلام، فأولئك شرار أمتي»^(٢).

وهذا مما لم أر أحداً سبقني إليه، فإن أصبت فبفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأعوذ بالله من الحرمان والخذلان.

٥٢٥ - باب تحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه

وما ذبح على النصب

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّكُمْ لَفَاسِقٌ وَلَئِن الشَّيْطَانِ لَيَوْحُونَ إِلَىٰ أُولِيَائِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾

(١) «الصحيحة» (١٨٩١).

(٢) المرجع السابق.

[الأنعام: ١٢١]. وقال: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]. وقال: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]. وقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَيسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخِصَّةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

● من فقه (الباب):

١ - تحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، ولو كان الذابح مسلماً إن ترك التسمية عمداً.

٢ - تحريم ما ذبح على النصب ولو ذكر اسم الله عليه.

٥٢٦ - باب تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ... عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

وقال: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ

مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ
أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَحِيمٌ [الأنعام: ١٤٥].

● من فقه (الباب):

١ - تحريم أكل الميتة «وهي ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد، وما ذاك إلا لما فيها من المضرّة لما فيها من الدّم المتحقن، فهي ضارة للدين والبدن؛ فلهذا حرّمها الله عز وجل»^(١).

وهي أنواع:

أ - المنخنقة: وهي التي تموت بالخنق إما قصداً أو اتفاقاً بأن تتخبل في وثاقها فتموت، ومن ذلك ما يأكله كلب الصيد.

ب - الموقوذة: وهي التي تموت بضرب شيء ثقيل غير محدد، أو تصعق بالكهرباء ومن ذلك ما رمي بالمعراض ولم يخزق بل أصابه بعرضه.

ت - المتردية: وهي التي تموت بسبب سقوطها من علٍ أو في بئر.

ث - النطيحة: وهي التي تموت من النطاح.

٢ - يستثنى من الميتة السمك والجراد لحديث أبي هريرة رضي الله عنه الصحيح أن رسول الله ﷺ سئل عن ماء البحر فقال: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما الصحيح: «أحلت لنا ميتتان ودمان؛ فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدّمان

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٨/٢).

فالكبد والطحال».

٣ - تحريم الدم، وهو الدم المسفوح، ويستثنى من ذلك الكبد والطحال وما بقي في الذبيحة.

٣ - تحريم أكل لحم الخنزير إنسيه ووحشيه واللحم يعم جميع أجزائه حتى الشحم، ولا يحتاج إلى تحذلق الظاهرية في جمودهم ها هنا وتعسفهم في الاحتجاج بقوله: ﴿فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فَسَقٌ﴾ يعنون قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ﴾ أعادوا الضمير فيما فهموه على الخنزير حتى يعم جميع أجزائه، وهذا بعيد من حيث اللغة فإنه لا يعود الضمير إلا على المضاف دون المضاف إليه، والأظهر أن اللحم يعم جميع الأجزاء كما هو المفهوم من لغة العرب ومن العرف المطرد، وفي صحيح مسلم عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه». فإذا كان هذا التنفير لمجرد اللبس فكيف يكون التهديد والوعيد الأكيد على أكله والتغذي به؟ وفيه دلالة على شمول اللحم لجميع الأجزاء من الشحم وغيره»^(١).

٥ - «ما عدا عليها السبع من أسد أو فهد أو نمر أو ذئب أو كلب فأكل بعضها فماتت بذلك فهي حرام، وإن كان قد سال منها الدم ولو من مذبحتها فلا تحل بالإجماع»^(٢).

٦ - الموقوذة والمنخقة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إذا

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٩/٢).

(٢) المصدر السابق (٩/٢).

أدرکتُم منها شيئاً فيه روح؛ كأن تحرك يداً أو رجلاً أو فيه نفس وذكيتموه؛ فكلوه؛ فهو ذكي لأنه بعد الذبح حلال.

٥٢٧ - باب تحريم أكل كل ذي ناب ومخلب

عن أبي ثعلبة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كل ذي ناب من السباع فأكله حرام»^(٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير»^(٣).

● من نقه (الباب):

١ - قال البغوي في «شرح السنة» (١١/٢٣٤): «أراد بذي الناب: ما يعدو بنابه على الناس وأموالهم مثل الذئب، والأسد، والكلب، والفهد، والنمر، والبير، والدب، والقرد ونحوها، فهي وأمثالها حرام، وكذلك كل ذي مخلب من الطير كالنسر، والصقر، والبازي ونحوها».

٢ - اختلف أهل العلم في الضبع، والصواب إباحته لحديث جابر رضي الله عنه أنه سئل عن الضبع أصيد هي؟ فقال: «نعم». فقلت: أيؤكل؟ قال: «نعم». فقلت: سمعته من رسول الله ﷺ فقال: «نعم»^(٤).

(١) البخاري (٥٥٣٠)، ومسلم (١٩٣٢).

(٢) مسلم (١٩٣٣).

(٣) مسلم (١٩٣٤).

(٤) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٨٠١)، والترمذي (٨٥١) واللفظ له، والنسائي =

قال الحافظ في «فتح الباري» (٦٥٨/٩): وقد ورد في حل الضبع أحاديث لا بأس بها.

ولذلك فأحاديث الباب عامة وحديث جابر خاص فلا تعارض.

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٢٩١/٨): «وذهب الجمهور إلى التحريم واستدلوا بما تقدم في تحريم كل ذي ناب من السباع، ويجاب بأن حديث الباب خاص فيقدم على حديث كل ذي ناب».

ثم قال: «قال ابن رسلان: وقد قيل: إن الضبع ليس لها ناب، وسمعت من يذكر أن جميع أسنانها عظم واحد كصفحة نعل الفرس فعلى هذا لا يدخل في عموم النهي».

٥٢٨ - باب تحريم الحمر الأهلية

عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن أكل الثوم وعن لحوم الحمر الأهلية»^(١).

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الإنسية»^(٢).

عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر، ورخص في الخيل»^(٣).

= (١٩١/٥) وغيرهم وضححه البخاري وابن حبان والحاكم.

(١) البخاري (٤٢١٥)، ومسلم (٥٦١) (٢٤).

(٢) البخاري (٤٢١٦)، ومسلم (١٤٠٧).

(٣) البخاري (٤٢١٩)، ومسلم (١٤٤١).

وفي رواية: «إنهم ذبحوا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير، فنهى رسول الله ﷺ عن البغال والحمير، ولم ينه عن الخيل»^(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: صَبَّحْنَا خَيْبَرَ بِكَرَّةٍ، فَخَرَجَ أَهْلُهَا بِالمَسَاحِي، فَلَمَّا بَصَرُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ.

فقال النبي ﷺ: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» فأصبنا من لحوم الحمر، فنادى منادى النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَسُولُهُ يَنْهِيكُمْ عَنْ لَحُومِ الْحَمْرِ، فَإِنَّهَا رَجَسٌ»^(٢).

وفي الباب عن عبدالله بن أبي أوفى، والبراء بن عازب، وابن عباس، وسلمة بن الأكوع، وأبي ثعلبة وكلها في الصحيحين أو أحدهما.

● من فقه الباب:

١- تحريم أكل لحوم الحمر الإنسية لتواتر ذلك عن رسول الله ﷺ.

وهذا هو قول جماهير أهل العلم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم.

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٧٨٩)، والنسائي (٢٠١/٧)، وأحمد (٣٥٦/٣)، وابن حبان (٥٢٧٢)، والدارقطني (٢٨٨/٤) و٢٨٩، والبيهقي (٣٢٧/٩)، والبخاري (٢٨١١) من طريقين عنه.

قلت: وهو صحيح.

(٢) البخاري (٤١٩٨ و٤١٩٩)، ومسلم (١٩٤٠).

٢ - وردت علل كثيرة في سبب تحريمها، وهي لا تقدم في الحكم، لأن لحوم الحمر الأهلية رجس كما نص على ذلك رسول الله ﷺ.

وأكد ذلك بقلب القدور وغسلها، فإذا زالت علة من هذه العلل فبقي العلة الأصلية وهي نجاستها؛ والله أعلم.

٣ - يلحق بالحمير البغال، فإن أكل لحومها حرام.

٤ - لحم الخيل يجوز أكله لثبوت ذلك من حديث أسماء وجابر ابن عبدالله رضي الله عنهما.

٥٢٩ - باب النهي عن أكل طعام المتباريين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «المتباريان لا يجابان ولا يؤكل طعامهما»^(١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ نهى عن طعام المتباريين أن يؤكل»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - المتباريان هما المتفاخران بالضيافة رياء وسمعة وفخراً كما

(١) صحيح - أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٠٦٨)، وابن السماك في «جزئه» (١/٦٤).

من طريق سعيد بن عثمان عن معاذ بن أسد نا علي بن الحسن عن أبي حمزة السكري عن الأعمش عن أبي صالح عنه به مرفوعاً.
قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٧٥٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٠٦٧). وإسناده صحيح.

لكنهم اختلفوا في وصله وإرساله، وصحح أبو داود وغيره إرساله.

جاء مفسراً عن الإمام أحمد في «شعب الإيمان» ويؤكد هذا المعنى أن رواية ابن السماك في جزئه جاءت بلفظ: «المتراثيان».

٢ - يحرم إجابة دعوة المتراثيين في صنع الطعام أو أكل طعامهما.

٥٣٠ - باب النهي عن أكل المجثمة

عن أبي الدرداء رضي الله عنه: «نهى رسول الله ﷺ عن المُجَثَّمَة، وهي التي تصبر بالنبل»^(١).

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الخطفة، والمجثمة، والنهبة، وعن أكل كل ذي ناب من السباع»^(٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن لبن الجلالة، وعن أكل المجثمة، وعن الشرب من في السقاء»^(٣).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حديث تحريم الحمر

(١) صحيح لغيره - أخرجه الترمذي (١٤٧٣) بإسناد حسن رجاله ثقات غير أبي أيوب الإفريقي وهو عبد الله بن علي بن الأزرق وهو صدوق وقد يخطئ. وله طريق آخر عند أحمد (٥٤٤/٦) وفيه ضعف. فالحديث بهما صحيح إن شاء الله.

(٢) صحيح لغيره - أخرجه الدارمي (٨٥/٢)، والبيهقي (٣٣٤/٩) بإسناد حسن. وله طريق آخر عند أحمد (١٩٤/٤)؛ فالحديث بهما صحيح.

(٣) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٧١٩)، والترمذي (١٨٢٥)، وأحمد (١٢٦/١)، ٢٤١، ٢٩٣، ٣٢١، ٣٣٩، والدارمي (٨٣/٢)، والحاكم (٤٤٥/١)، والبيهقي (٣٣٤/٩) وغيرهم بإسناد صحيح على شرط البخاري.

وفيه: «وحرّم المجثمة»^(١).

وفي الباب عن العرياض وأبي هريرة وسمرة رضي الله عنهم.

● من نفعه (الباب):

١ - تحريم أكل المجثمة وهي البهيمة المصبورة التي ترمى بالنبل حتى تقتل.

٢ - هذا محمول على المصبورة التي تموت بذلك ولا تُدَكَّى، ولا تقاس على الصيد؛ لأن هذه مقدور على ذكاتها بخلاف الصيد والله أعلم.

٥٣١ - باب النهي عن أكل الثوم والبصل والكراث

عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن أكل الثوم وعن لحوم الحمر الأهلية»^(٢).

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الثوم والبصل والكراث».

قلنا: يا أبا سعيد أحرام هو؟ قال: لا^(٣).

(١) صحيح - أخرجه أحمد (٣٢٣/٣) بإسناد صحيح على شرط مسلم.

وله شاهد نحوه من حديث أبي هريرة عند أحمد (٣٦٦/٢) بإسناد حسن.

وآخر عن العرياض بن سارية عند أحمد (١٢٧/٤) بإسناد فيه ضعف؛ لأن أم حبيبة بنت العرياض مقبولة، ولكنها تصلح للاعتبار.

(٢) سبق تخريجه (ص ١١٠).

(٣) حسن - أخرجه الطيالسي (٢١٧١) بإسناد حسن رجاله ثقات غير بشر بن حرب الندي؛ فإنه صدوق.

عن جابر بن عبد الله قال: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكراث»^(١).

وفي الباب عن عقبة بن عامر، وأبي الدرداء رضي الله عنهما.

● من فقه الباب:

١ - النهي عن أكل الثوم والبصل والكراث النيء وبخاصة عند حضور الجمعة والجماعات وقد مضى ما يتعلق بذلك في كتاب «المساجد».

٢ - النهي للكراهة وليس للتحريم بدلالة قول أبي سعيد عندما سئل: أحرام هو. قال: لا.

٣ - قال الحافظ في «فتح الباري» (٤٨٢/٧): «ويستفاد من الجمع بين النهي عن أكل الثوم ولحوم الحمر استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، لأن أكل الحمر حرام وأكل الثوم مكروه، وقد جمع بينهما بلفظ النهي فاستعمله في حقيقته وهو التحريم، وفي مجازه وهو الكراهة».

٥٣٢ - باب النهي عن الجلالة^(٢)

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الجلالة في الإبل أن يركب عليها»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٥٦٤).

(٢) هي الدابة التي تأكل العذرة من الأنعام.

(٣) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٥٥٨) بإسناد صحيح.

وفي رواية: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة والبانها»^(١).
 عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «نهى رسول الله ﷺ
 عن لحوم الحمر الأهلية، وعن الجلالة، وعن ركوبها، وأكل
 لحومها»^(٢).

وفي الباب عن ابن عباس، وأبي هريرة، وجابر رضي الله عنهم.
 ● من فقه (الباب):

- ١ - يحرم من الجلالة ثلاث هي:
 - أ - ركوبها.
 - ب - شرب البانها.
 - ت - أكل لحومها.
- ٢ - إذا أراد المرء أكل الجلالة، فإنه يحبسها حتى يتغير طعمها،
 لأن ابن عمر كان يحبس الدجاجة الجلالة ثلاثاً^(٣).
- ٣ - ادعى بعض أهل العلم أن الجلالة تختص بدوات الأربع،
 والصواب تعميمها على كل دابة تقتات بالجلّة وهي العذرة.

(١) صحيح لغيره - أخرجه أبو داود (٣٧٨٥)، والترمذي (١٨٢٤)، وابن ماجه (٣١٨٩) وغيرهم.

قلت: في إسناده محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه، لكن له طرق أخرى عند أبي داود (٣٧٨٧) وغيره وإسناده حسن.
 فالحديث بمجموع ذلك صحيح.

(٢) حسن - أخرجه أحمد (٢١٩/٢) بإسناد حسن؛ كما قال الحافظ في «فتح الباري» (٦٤٨/٩).

(٣) قال الحافظ في «فتح الباري» (٦٤٨/٩): «أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح».

٥٣٣ - باب النهي عن أكل الضب^(١)

عن عبدالرحمن بن شبل رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله عن أكل لحم الضب»^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - وردت أحاديث في «الصحيحين» تدل على إباحة الضب، وأنه أكل على مائدة رسول الله ﷺ فلو كان حراماً لما حدث ذلك، منها:
أ - حديث ابن عمر مرفوعاً: «الضب لست آكله ولست أحرمه».

ب - عن ابن عباس عن خالد بن الوليد أنه دخل مع رسول الله ﷺ بيت ميمونة، فأتى بضب محنوذ^(٣)، فأهوى إليه رسول الله ﷺ بيده، فقال بعض النسوة: أخبروا رسول الله ﷺ بما يريد أن يأكل، فقبالوا: هو ضب يا رسول الله، فرفع يده، فقلت: أحرام هو يا رسول الله؟ فقال: «لا، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجذني أعافه» قال خالد:

(١) هو دويبة تشبه الجرفون، لكنه أكبر، وكنيته أبو حسل، وبه ضربت العرب أمثالاً كثيرة.

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٧٩٦)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣١٨/٢)، والبيهقي (٣٢٦/٩) وغيرهم.

من طريق إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي راشد الحبراني عنه به مرفوعاً.

قلت: إسناده صحيح، وإسماعيل بن عياش ثقة في الشاميين، وهذا الحديث رواه كلهم شاميون، فلا يلتفت إلى تضعيف من أعلاه به؛ لأنه لم يتبته لهذا التفريق الذي جرى عليه أئمة الفن؛ كأحمد، والبخاري، وابن معين، ويعقوب بن شيبه، وابن عدي، وابن حجر، والذهبي. وهذا الذي حط عليه قول الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦٦٥/٩).

(٣) مشوي.

فاجتررتة فأكلته، ورسول الله ﷺ ينظر.

وهذا لا يعارض حديث الباب وإن كانت أصح منه وأصرح في الإباحة لأنه يمكن الجمع بينها.

قال الحافظ في «فتح الباري» (٦٦٦/٩) بعدما حسن إسناد حديث الباب ورد على من ضعفه: «والأحاديث الماضية وإن دلت على الحل تصريحاً وتلويحاً نصاً وتقريراً، فالجمع بينها وبين هذا حمل النهي فيه على أول الحال عند تجويز أن يكون مما مسخ وحيثُ أمر بإكفاء القدور، ثم توقف فلم يأمر به ولم ينه عنه، وحمل الإذن فيه على ثاني الحال لما علم أن الممسوخ لا نسل له، ثم بعد ذلك كان يستقذره فلا يأكله ولا يحرمه. وأكل على مائدته فدل على الإباحة. وتكون الكراهة للتنزيه في حق من يتقذره، وتحمل أحاديث الإباحة على من لا يتقذره، ولا يلزم من ذلك أن يكره مطلقاً».

٥٠ كتاب العقيدة

٥٢٤ - باب لا فرع ولا عتيرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا فرع ولا عتيرة»^(١).

● من نقه (الباب):

١ - الفرع هو: أول نتاج الناقة كانوا يذبحونه لطواغيتهم وآلهتهم في الجاهلية.

والعتيرة: ذبيحة تسمى الرجبية يذبحونها في رجب تعظيماً له؛ لأنه أول الأشهر الحرم.

٢ - النفي هنا بمعنى النهي؛ لأنه جاء صريحاً بلفظ: «نهى رسول الله ﷺ عن الفرع والعتيرة»^(٢).

٣ - والنهي الذي يفيد التحريم هو فعل الفرع والعتيرة على وجه ما كانت تفعله الجاهلية، ولذلك قال رسول الله ﷺ في رواية: «لا فرع ولا عتيرة في الإسلام»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٥٤٧٣ و ٥٤٧٤)، ومسلم (١٩٧٦).

(٢) صحيح - أخرجه النسائي (١٦٧/٧)، وأحمد (٤٠٩/٢) وغيرهما.

قلت: إسناده صحيح.

(٣) صحيح - أخرجه أحمد (٢٢٩/٢).

٤ - وقد وردت أحاديث تدل على مشروعية الفرع والعتيرة منها:
أ - عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال. وسئل [يعني رسول الله ﷺ] عن الفرع؟

قال: «الفرع حق، وأن تتركوه حتى يكون بكرةً شُغُرباً»^(١) ابن مخاض أو ابن لبون، فتعطيه أرملة، أو تحمل عليه في سبيل الله خير من أن تذبحه، فيلزم لحمه بوبره^(٢)، وتكفأ إناءك^(٣)، وتولّه ناقتك^(٤).
وزاد في رواية: «وسئل عن العتيرة؟ فقال: «العتيرة حق» قال بعض القوم لعمرو بن شعيب: ما العتيرة؟ قال: «كانوا يذبحون في رجب شاةً فيطبخون ويأكلون ويطعمون»^(٥).

ب - عن نبيشة الهذلي رضي الله عنه: نادى رجل رسول الله ﷺ: إنا كنا نعتز عتيرةً في الجاهلية في رجب فما تأمرنا؟ قال: «اذبحوا لله في كل شهر كان، وبرّوا الله عز وجل، وأطعموا» قال: إنا كنا نُفَرِّع فرعاً في الجاهلية فما تأمرنا؟

قال: «في كل سائمة فرع تغذوه ماشيتك حتى إذا استحملك للحجيج ذبحته، فتصدقت بلحمه على ابن السبيل فذلك خير»^(٦).

(١) غليظاً، وقد أبدل في بعض الروايات إبدالاً عجيباً فقليل: زُخْرُباً.

(٢) لكونه قليلاً غير سمين.

(٣) إذا ذبحته حين يولد يذهب اللبن، فصار كأنك كفأت المحلب.

(٤) تفجعها بولدها.

(٥) حسن - أخرجه أبو داود (٢٨٤٢)، والنسائي (١٦٨/٧)، وأحمد (١٨٢/٢ - ١٨٣).

والزيادة له، والحاكم (٢٣٦/٤)، والبيهقي (٣١٢/٩).

قلت: إسناده حسن.

(٦) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٨٣٠)، والنسائي (١٦٩/٧ - ١٧٠)، وابن ماجه =

ت - عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ من كل خمسين شاة شاة»^(١).

وفي الباب حديث مَخْنَف بن سليم وحديث الحارث بن عمرو وفي أسانيدھا مقال، لكنها تدل على مشروعية الفرع والعتيرة.

وهذه الأحاديث تدل على ما يأتي:

أ - مشروعية الفرع، وهو الذبح أول التاج.

ب - بشرط أن يكون لله عز وجل.

ت - الأولى تركه حتى يسمن، ويتصدق به على الأرملة وابن السبيل، أو يحمل عليه في سبيل الله.

ث - مشروعية العتيرة بدون تمييز لرجب على ما سواه من الأشهر.

٥ - فلا تعارض إذن بين حديث الباب وهذه الأحاديث حيث تبين أن النهي عن الفرع والعتيرة هو لإبطال أمر الجاهلية في الذبح لآلهتهم

= (٣١٦٧)، وأحمد (٥/٧٥ و٧٦)، والحاكم (٤/٢٣٥)، والبيهقي (٩/٣١١ - ٣١٢) وغيرهم.

قلت: صححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو صحيح على شرط الشيخين.

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٨٣٣)، وأحمد (٦/٨٢)، والحاكم (٤/٢٣٥ - ٢٣٦) وغيرهم.

قلت: صححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالوا.

تنبيه: اضطرب في متنه فروي: «من الغنم من الخمسة واحدة» والصواب «خمسین» والله أعلم.

وطواغيثهم، أو تعظيم رجب على غيره من الأشهر، والله أعلم.

٥١) كتاب الذبائح والصيد

٥٣٥ - باب النهي عن تعذيب الذبيحة

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ رسولُ الله ﷺ على رجل واضع رجله على صفحة شاة، وهو يُحِدُّ شفرته، وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال: «أفلا قبل هذا؟ أتريد أن تميتها موتين»^(١).

وفي رواية: «أتريد أن تميتها موتان؟ هلا حددت شفرتك قبل أن تُضَجَّعَهَا؟»^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - النهي عن تعذيب الذبيحة بأن تُحَدَّ الشِّفْرَةُ وهي تنظر إليك، أو ذبحها وهي تنظر إلى أخرى:

٢ - من ذبح فليحسن الذبح، وليحد شفرته قبل أن يضطجع ذبيحته، وليريح ذبيحته.

(١) صحيح - أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٩١٦)، و«الأوسط» (٣٦١٤)، والبيهقي (٢٨٠/٩).

قلت: إسناده صحيح.

(٢) صحيح - أخرجه الحاكم (٢٣١/٤) و (٢٣٣).

قلت: إسناده صحيح.

٥٣٦ - باب النهي عن ذبح الشاة الحلوب

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب»^(١)»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - النهي عن ذبح الحلوب ذات الدّر واللبن.

٥٣٧ - باب ما يحرم قتله من الحيوانات

عن أبي زهير النميري قال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوا الجراد؛ فإنه جند من جنود الله الأعظم»^(٣).

عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «لا تقتلوا الضفادع»^(٤).

عن عبدالرحمن بن عثمان رضي الله عنه: نهى عن قتل الضفدع للدواء»^(٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه: «نهى عن قتل الصّرد، والضفدع، والنملة، والهدهد»^(٦).

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «نهى عن قتل أربع من الدواب:

(١) ذات اللبّن.

(٢) مسلم (٢٠٣٨).

(٣) حسن، «الصحيحة» (٢٤٢٨).

(٤) صحيح، «صحيح الجامع الصغير» (٧٣٩٠).

(٥) صحيح، «صحيح جامع الصغير» (٦٩٧١).

(٦) صحيح، «صحيح الجامع الصغير» (٦٩٧٠).

النملة، والنحلة، والهدهد، والصَّرد^(١).

● من فقه (الباب):

١ - يحرم قتل الجراد إلا للأكل، فإنه حلال، أو لدفع ضرر مؤكد؛ كغزوه للمزروعات وإهلاكها.

٢ - لا يجوز قتل الضفادع والتداوي بها.

٣ - لا يجوز قتل النمل أو النحل أو الهدهد.

٤ - لا يجوز قتل الصَّرد، وهو: طائر أكبر من العصفور ضخم الرأس والمنقار يصيد صغار الحشرات، وربما صاد العصفور، فكانوا يتشاءمون به.

٥٣٨ - باب الزجر عن خصاء البهائم

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ نهى عن صبر الروح، وخصاء البهائم»^(٢).

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن إخصاء الخيل والبهائم».

وقال ابن عمر: فيها نماء الخلق^(٣).

(١) صحيح، «صحيح الجامع الصغير» (٦٩٦٨)، و«الإرواء» (٢٤٩٠).

(٢) صحيح - أخرجه البيهقي (١٠ / ٢٤) بإسناد رجاله ثقات رجال الشيخين.

وله طريق آخر عنده فيه ابن لهيعة والمقدام بن داود، وهما ضعيفان.

(٣) حسن - أخرجه أحمد (٢/ ٢٤)، والبيهقي (١٠/ ٢٤) وابن عدي في «الكامل»

(٢/ ٦٠٢ - ٦٠٣) من طرق عن نافع عنه به.

● من فقه (الباب):

١ - تحريم خصاء البهائم؛ لأن النماء في الذكور، فإذا خصيت الذكور انقطع الخلق حسب سنن الله الجارية في الخلق، وهو ما أشار إليه ابن عمر بقوله: «فيها نماء الخلق».

وهذا مذهب ابن عمر، فقد أخرج مالك في «الموطأ» (٩٤٨/٢) عن نافع عن ابن عمر أنه كان يكره الإخصاء، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

٢ - إذا كان الإخصاء لعلّة من خوف عراض أو سوء خلقه من الذكور؛ فتساهل في ذلك بعض أهل العلم كابن سيرين وعطاء.

قال البيهقي (٢٥/١٠): «ومتابعة قول ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما مع ما فيه من السنة المروية أولى وبالله التوفيق».

ويحتمل جواز ذلك إذا اتصل به غرض صحيح كما حكينا عن التابعين، وروينا في كتاب الضحايا توضيحاً للنبي ﷺ بكشين موجئين لما فيه من تطيب اللحم.

٥٣٩ - باب الزجر عن تتبع الصيد

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتن»^(١).

= قلت: وجميع هذه الطرق لا تخلو من ضعف، ولكنها بمجموعها تقوى، والحديث بذلك حسن.

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٨٥٩)، والترمذي (٢٢٥٦)، والنسائي (١٩٥/٧) -

= (١٩٦)، وأحمد (٣٥٧/١)، والطبراني في «الكبير» (١١٠٣٠).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «من بدأ^(١) جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن، وما ازداد عبد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً»^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - تتبع الصيد يورث في قلبه محبته، فيستولى عليه حتى يصير غافلاً.

٢ - الإغراق في المباحات يصد عن غيرها من الواجبات.

٥٤٠ - باب ما لا يجوز أكله من صيد الكلاب

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ قلت: إنا قوم نصيد بهذه الكلاب. قال: «إذا أرسلت كلابك المعلّمة،

= من طرق عن سفيان عن أبي موسى عن وهب بن منبه عنه به.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات، وأبو موسى: هو إسرائيل بن موسى البصري نزيل الهند ثقة.

(١) سكن البادية.

(٢) حسن - أخرجه أحمد (٣٧١/٢ و ٤٤٠)، وابن عدي في «الكامل» (٣١٢/١).

من طريق إسماعيل بن زكريا عن الحسن بن الحكم عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عنه به.

قلت: إسناده حسن، رجاله ثقات غير إسماعيل بن زكريا فهو حسن الحديث كما قال ابن عدي، وقال الحافظ «صدوق يخطئ قليلاً».

وقد تابعه محمد بن عبيد عن الحسن بن الحكم عن عدي بن ثابت عن شيخ من الأنصار عن أبي هريرة.

أخرجه أبو داود (٢٨٦٠).

وذكرت اسم الله فكل مما أمسك عليك وإن قتلن، إلا أن يأكل الكلب، فإني أخاف أن يكون إنما أمسكه على نفسه، وإن خالطها كلاب من غيرها فلا تأكل»^(١).

وعنه قلت: يا رسول الله إني أرسل كلبني وأسمي. فقال النبي ﷺ: «إذا أرسلت كلبك وسَمَّيت، فأخذ، فقتل، فأكل، فلا تأكل، فإنما أمسك على نفسه» قلت: إني أرسل كلبني أجد معه كلباً آخر لا أدري أيهما أخذه، فقال: «لا تأكل، فإنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره». وسألته عن صيد المعراض^(٢) فقال: «إذا أصبت بحدّه فكل، وإذا أصبت بعرضه فقتل فإنه وقيد^(٣) فلا تأكل»^(٤).

وعنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أرسلت كلبك وسميت فأمسك وقتل فكل، وإن أكل فلا تأكل، فإنما أمسك على نفسه، وإذا خالط كلاباً لم يذكر اسم الله عليها فأمسكن فقتلن فلا تأكل، فإنك لا تدري أيها قتل، وإن رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلا أثر سهمك فكل، وإن وقع في الماء فلا تأكل»^(٥).

عن أبي ثعلبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا رميت بسهمك فغاب عنك فأدرکته فكله ما لم يتن»^(٦).

(١) أخرجه البخاري (٥٤٨٣)، ومسلم (١٩٢٩) (٢).

(٢) خشبة ثقيلة تكون في طرفيها حديدة، وقد تكون بغير حديدة.

(٣) هو الذي قُتل بغير محدد من عَصَا أو حجر أو غيرهما.

(٤) أخرجه البخاري (٥٤٨٦)، ومسلم (١٩٢٩).

(٥) أخرجه البخاري (٥٤٨٤)، ومسلم (١٩٢٩) (٦).

(٦) مسلم (١٩٣١).

● من فقه (الباب):

١ - لا يجوز صيد كلب إلا كلب مُعَلَّم لقوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبُتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ^(١) تُعَلِّمُوهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

٢ - يجوز صيد الكلب غير المعلم إذا أدركته فذبحته وذكّيته لقوله ﷺ في حديث أبي ثعلبة رضي الله عنه: «وما أصبت بكلبك المُعَلَّم فاذكر اسم الله ثم كُلْ، وما أصبت بكلبك الذي ليس بمعلم فأدركت ذكاته فَكُلْ»^(٢).

٣ - الكلب المعلم إذا أكل من الصيد، فلا يحل أكله، لأنه يكون أمسك بنفسه فيكون منخنقة.

٤ - إذا خالط الكلب المعلم كلب آخر، فلا يحل أكله، لأنك لا تدري أيهما قتل، وأنت إنما سميت على كلبك ولم تسم على الآخر، فإن علم أن مرسله سمى فيجوز.

٥ - إذا رميت الصيد بالمعراض فنفذ منه وأصابه بِحَدِّهِ فَكُلْ، وإن أصابه بعرضه كان وقيداً فلا يحل.

٦ - إذا غاب عنك الصيد ورأيت أثر سهمك فيه فكل، إلا في حالتين:

(١) مؤدبين ومعلمين ومعوّدين الكلاب الصوائد الكواسب.

(٢) البخاري (٥٤٧٨)، ومسلم (١٩٣٠).

أ - أن يكون وقع في ماء، فإنك لا تدري أقتله سهمك أم الماء ويكون حينئذٍ متردية.

ب - أن يزيد عن ثلاث أيام فيتن وتظهر رائحته.

٥٤١ - باب الزجر عن صبر البهائم واتخاذها غرضاً

عن هشام بن زيد بن أنس بن مالك قال: دخلت مع جدي أنس ابن مالك دار الحكم بن أيوب، فإذا قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها.

فقال أنس: «نهى رسول الله ﷺ أن تُصبر البهائم»^(١).

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً»^(٢).

عن سعيد بن جبير قال: مر ابن عمر بنفر قد نصبوا دجاجة يترامونها، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها، فقال ابن عمر: «من فعل هذا؟ إن رسول الله ﷺ لعن من فعل هذا»^(٣).

عن جابر بن عبدالله قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يقتل شيء من الدواب صبراً»^(٤).

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أنه دخل يحيى بن سعيد وغلّام من بني يحيى رابطاً دجاجة يرميها، فمشى إليها ابن عمر حتى

(١) أخرجه البخاري (٥٥١٣)، ومسلم (١٩٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٥١٥)، ومسلم (١٩٥٨).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٥٩).

حلّها، ثم أقبل بها وبالغلام معه فقال: «ازجروا غلامكم عن أن يصبر هذا الطير للقتل، فإني سمعت النبي ﷺ نهى أن تصبر بهيمة أو غيرها للقتل»^(١).

عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن قتل الصبر، فوالذي نفسي بيده لو كانت دجاجة ما صبرتها»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - تحريم صبر البهائم وذلك بحبسها وهي حية؛ لتقتل بالرمي ونحوه.

يدل على ذلك النهي الصريح المستوجب للعن من فعل هذا.

٢ - تحريم اتخاذ شيء فيه الروح هدفاً للعبث، ورمي النبل، وغيره.

٣ - يشمل هذا التحريم كل ذي روح ولو كان عصفوراً لحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عز وجل عنها».

(١) أخرجه البخاري (٥٥١٤).

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٦٨٧).

قلت: إسناده صحيح، وقواه الحافظ في «الفتح» (٦٤٤/٩)، وصححه شيخنا في «صحيح الجامع الصغير» (٦٩٦٩)، لكنه ذكره في «ضعيف أبي داود» (٥٧٦).

قيل يا رسول الله وما حقها؟ قال: «يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها ويرمي بها»^(١).

(١) حسن - أخرجه النسائي (٢٣٩/٧)، وأحمد (١٦٦/٢ و ١٩٧)، والطيالسي (٢٢٧٩)، والحميدي (٥٨٧)، والبغوي (٢٧٨٧)، والحاكم (٢٣٣/٤)، والبيهقي (٢٧٩ و ٨٦/٩).

قلت: إسناده فيه صهيب مولى ابن عامر وهو مقبول.

وله شاهد من حديث عمرو بن الشريد رضي الله عنه، أخرجه النسائي (٢٣٩/٧)، وأحمد (٣٨٩/٤)، والطبراني (٧٢٤٥)، وابن حبان (٥٨٩٤).

قلت: إسناده لا بأس به؛ فالحديث بمجموع ذلك حسن.

٥٢) كتاب الأضاحي

٥٤٢ - باب نهى من دخل عليه عشر ذي الحجة

وهو مريد التضحية أن يأخذ من شعره أو أظفاره شيئاً

عن أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحى؛ فلا يمس من شعره وبشره شيئاً»^(١).

● من فقه الباب:

١ - من وجبت عليه الأضحية، ورأى هلال ذي الحجة؛ فيحرم عليه أن يزيل شيئاً من شعره بحلق، أو تقصير، أو نتف، أو إحراق، أو أخذ بنوره، أو غير ذلك. ويحرم إزالة الظفر بقلم، أو كسر، أو غيره.

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٢٠١/٥): «ويكون الظاهر مع من قال بالتحريم».

٢ - يستوى في ذلك كل شعر البدن سواء: شعر الإبط، أو الشارب، أو العانة، أو الرأس.

٣ - قال بعض أهل العلم: الحكمة في النهي أن يبقى كامل

الأجزاء ليعتق من النار، وقيل: للتشبه بالمحرم.

والأول أقرب، والله اعلم.

٤ - هذا نسك ينبغي إحياءه والعمل به؛ فإنه من السنن المهجورة، وفي ذلك ما رواه عمرو بن مسلم بن عمار الليثي قال: كنا في الحَمَّام^(١) قبيل الأضحى، فأطلى^(٢) فيه ناس، فقال بعض أهل الحمام: إن سعيد بن المسيب يكره هذا^(٣)، أو ينهى عنه، فلقيت سعيد بن المسيب فذكرت ذلك له فقال: يا ابن أخي هذا حديث قد نسي وترك (وذكره).

٥ - احتج بعض أهل العلم بقوله ﷺ: «وأراد أحدكم أن يضحي» على عدم وجوب الأضحية، وفيه نظر لا يخفى.

٥٤٣ - باب الزجر عن أن يضحي المرء بأنواع من الضحايا

عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يضحي بالعرجاء بَيْنَ ظَلْعَيْهَا^(٤)، ولا بالعوراء بَيْنَ عَوْرَيْهَا، ولا بالمریضة بَيْنَ مَرَضُهَا، ولا بالعجفاء^(٥) التي لا تنقي^(٦)»^(٧).

(١) مكان الاستحمام بالماء الحار.

(٢) أزالوا شعر العانة بالنورة.

(٣) قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٤٠/١٣): «يعني يكره إزالة الشعر في عشر ذي الحجة لمن يريد التضحية لا أن يكره مجرد الإطلاء، ودليل ما ذكرناه احتجاجة إباحة أم سلمة وليس فيه ذكر الإطلاء إنما فيه النهي عن إزالة الشعر».

(٤) عَرَجَهَا.

(٥) الهزيلة.

(٦) التي لا تَقِيْ لعظامها، وهو: المخ، من الضعف والهزل.

(٧) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٨٠٢)، والترمذي (١٤٩٧)، والنسائي (٢١٥/٧) - =

عن علي رضي الله عنه قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن تستشرف العين والأذنين، ولا نضحى بعوراء، ولا مُقَابَلَةً^(١)، ولا مُدَابِرَةً^(٢)، ولا خرقاء^(٣)، ولا شرقاء^(٤)»^(٥).

= (٢١٦)، وابن ماجه (٣١٤٤)، وأحمد (٢٨٤/٤) و٢٨٩ و٣٠٠ و٣٠١)، ومالك (٤٨٢/٢)، وابن الجارود (٩٠٧)، وابن حبان (٥٩١٩)، والحاكم (٢٢٣/٤)، والبيهقي (٢٧٤/٩) وغيرهم من طرق عنه.

قلت: وهو صحيح.

(١) ما قطع طرف أذنها.

(٢) ما قطع من جانب الأذن.

(٣) المثقوبة الأذن.

(٤) المشقوقة الأذن.

(٥) صحيح لغيره - أخرجه أبو داود (٢٨٠٤)، والنسائي (٢١٦/٧) و٢١٦ - (٢١٧)، والترمذي (١٤٩٨)، وابن ماجه (٣١٤٢)، وأحمد (٨٠/١)، و١٠٨، ١٢٨، ١٤٩)، والحاكم (٢٢٤/٤)، والبيهقي (٢٧٥/٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١١٢١)، وابن الجارود (٩٠٦) وغيرهم.

من طرق عن أبي إسحاق عن شريح عنه.

قلت: فيه أبو إسحاق وهو مختلط ومُدلس.

وله طريق آخر أخرجه الترمذي (١٥٠٣)، والنسائي (٢١٧/٧)، وابن ماجه (٣١٤٣)، وأحمد (١٠٥/١) و١٢٥ و١٥٢)، والحاكم (٤٦٨/١) و٢٢٤/٤ - ٢٢٥ و٢٢٥)، والبيهقي (٢٧٥/٩)، والطيلوسي (١٦٠)، وابن حبان (٥٩٢٠)، وابن خزيمة (٢٩١٤ و٢٩١٥) وغيرهم.

من طريق سلمة بن كهيل عن حجية بن عدي عنه به.

قلت: فيه حجية، وهو من كبار أصحاب علي، وهو صدوق إن شاء الله؛ فالإسناد حسن.

وعلى الجملة؛ فالحديث صحيح بمجموع الطريقين، والله أعلم.

● من فقه (الباب:

١ - لا يجوز التضحية بالعرجاء أو العوراء أو المريضة أو الهزيلة أو مشوهة الأذن بثقب أو قطع أو شرم.

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٢٠٧/٥): «وهذه الأحاديث تدل على أنه لا يجزىء في الأضحية ما كان فيه أحد العيوب المذكورة، ومن ادعى أنه يجزىء مطلقاً أو يجزىء مع الكراهة احتاج إلى إقامة دليل يصرف النهي عن معناه الحقيقي وهو التحريم المستلزم لعدم الإجزاء، ولا سيما بعد التصريح في حديث البراء بعدم الجواز».

٢ - يجوز التضحية بالأغضب: وهو مكسور القرنين، ولا يصح في النهي عنه حديث، ووروده في حديث علي السابق منكر، وحديث عتبة بن عبد الرحمن ضعيف، ولذلك قال البغوي في «شرح السنة» (٣٣٨/٤): «وتجوز مكسورة القرنين عند أكثرهم».

٣ - قال البغوي في «شرح السنة» (٣٤٠/٤) معلقاً على حديث البراء: «وفيه دليل على أن العيب الخفيف في الضحايا معفو عنه، ألا تراه يقول: «البيّن عَوْرَهَا، والبيّن ظَلْعُهَا».

٤ - الخصي ومقطوع الألية يجزىء التضحية به، لأن ذلك تسمين للدابة. والله أعلم.

٥٤٤ - باب النهي عن ذبح الأضحية قبل صلاة العيد

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، فلا يذبح حتى

ينصرف»^(١).

عن أنس رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم أضحى. قال فوجد ريح لحم فنهامهم أن يذبحوا. قال: «من كان ضحى فَلْيُعِدْ»^(٢).

● من فقهه (الباب):

- ١ - النهي عن ذبح الأضاحي قبل صلاة العيد.
 - ٢ - من ذبح قبل الصلاة؛ فإنها شاة لحم.
 - ٣ - من ذبح قبل الصلاة فعليه الإعادة لأحاديث الباب وحديث جندب بن سفيان البجلي قال: شهدت النبي ﷺ يوم النحر قال: «من ذبح قبل أن يصلي فليعد مكانها أخرى، ومن لم يذبح فليذبح».
- ٥٤٥ - باب النهي عن الأكل من الأضحية فوق ثلاث

وبيان أنه منسوخ

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: أنه قال: «لا يأكل أحدكم من لحم أضحيته فوق ثلاث»^(٣).

عن علي رضي الله عنه: أنه صلى قبل الخطبة ثم خطب الناس فقال: «إن رسول الله ﷺ نهاكم أن تأكلوا لحوم نسككم فوق ثلاث»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٥٥٦٣)، ومسلم (١٩٦١) (٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٦١)، ومسلم (١٩٦٢) (١٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٧٠).

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٧٣)، ومسلم (١٩٦٩).

● من فقه الباب:

١ - النهي عن أكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث، وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخ.

وفي ذلك جملة أحاديث منها:

أ - حديث عبدالله بن واقد قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الضحايا بعد ثلاث. قال عبدالله بن أبي بكر: فذكرت ذلك لعمره فقالت: صدق، سمعت عائشة تقول: دفّ^(١) أهل أبيات من البادية حَصْرَةَ الأضحى زمن رسول الله ﷺ فقال: «ادخروا ثلاثاً ثم تصدقوا بما بقي» فلما كان بعد ذلك قالوا: يا رسول الله إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم، ويجمعون منها الودك^(٢). فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قالوا: نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا بعد ثلاث. فقال: «إنما نهيتكم من أجل الدّافة التي دفت، فكلوا وادخروا وتصدقوا»^(٣).

ب - حديث جابر رضي الله عنه قال: «كنا لا نأكل من لحوم بدننا فوق ثلاث منى، فأرخص لنا رسول الله ﷺ فقال: «كلوا وتزودوا»^(٤).

(١) السير ليناً لضعف.

(٢) دسم اللحم.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٧١).

(٤) مسلم (١٩٧٢) (٣٠).

ت - عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وبقي في بيته منه شيء» فلما كان العام المقبل قالوا: يا رسول الله نفعل كما فعلنا العام الماضي. قال: «كلوا، وأطعموا، وادخروا؛ فإن ذلك العام كان بالناس جهد، فأردت أن تعينوا فيها»^(١).

وفي المسألة عن أبي سعيد الخدري، وبريدة، وثوبان، وكلها صحيحة في الصحيحين أو أحدهما.

٢ - النهي كان مؤقتاً؛ لأن الناس أصابهم جهد وبلاء في ذلك العام، عن عابس قال: «قلت لعائشة: أنهى النبي ﷺ أن تؤكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث؟ قالت: ما فعله إلا في عام جاع الناس فيه، فأراد أن يطعم الغني الفقير، وإن كنا لنرفع الكراع فنأكله بعد خمس عشرة، قيل: ما اضطرركم إليه؟ فضحكت قالت: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز بُرٍّ مآدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله»^(٢).

٣ - وورد عن علي بن أبي طالب وابن عمر والزبير وعبدالله بن واقد بن عبدالله ابن عمر أنهم قالوا: «يحرم الإمساك للحوم الأضاحي بعد ثلاث وأن حكم التحريم باق».

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٥/٤١٩): «ولعلهم لم يعلموا بالناسخ، ومن علم حجة على من لم يعلم، وقد أجمع على جواز الأكل والإدخار بعد الثلاث وبعد عصر المخالفين ولا أعلم أحداً بعدهم ذهب إلى ما ذهبوا إليه».

(١) أخرجه البخاري (٥٥٦٩)، ومسلم (١٩٧٤).

(٢) البخاري (٥٤٢٣ و ٥٤٣٨ و ٦٦٨٧).

٥٤٦ - باب النهي عن بيع شيء من الأضحية

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من باع جلد أضحيته؛ فلا أضحية له»^(١).

عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه؛ قال رسول الله ﷺ: «لا تبيعوا لحوم الهدي والأضاحي، فكلوا، وتصدقوا، واستمتعوا بجلودها، ولا تبيعوها، وإن أطعتم من لحمها؛ فكلوا إن شئتم»^(٢).

● من نقه (الباب):

- ١ - تحريم بيع لحوم الأضاحي وجلودها وشيء منها.
- ٢ - وجود الانتفاع من الأضاحي في الأكل والتصدق والادخار.
- ٣ - لا يعطى الجازر شيئاً منها؛ لأنه قد يقع مسامحة منه في الأجرة لأجل ما يعطاه من اللحم على وجه الصدقة أو الهدية.
- ٤ - يجوز لمن أطعمه غيره من لحم الأضحية أن يأكل كيف شاء.

* * *

(١) حسن - أخرجه الحاكم (٣٩٠/٢)، والبيهقي (٢٩٤/٩).

قلت: إسناده حسن

(٢) حسن بما قبله - أخرجه أحمد (١٥/٤) وفيه عن عنة ابن جريج.

٥٣) كتاب الأشربة

٥٤٧ - باب النهي عن التنفس في الإناء

عن أبي قتادة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء»^(١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «نهى رسول الله ﷺ أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه»^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، فإذا أراد أن يعود، فلينع الإناء ثم ليعد، إن كان يريد»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (١٥٣)، ومسلم (٢٦٧) (٦٥).

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٧٢٨)، والترمذي (١٨٨٨)، وابن ماجه (٣٤٢٩)، وأحمد (١/٢٢٠، ٣٠٩، ٣٥٧)، والبيهقي (٧/٢٨٤) وغيرهم.

من طريق عبد الكريم الجزري عن عكرمة عنه به.

قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

تنبيه: ليس عند ابن ماجه الجملة الأولى، وإنما رواها خالد الحذاء عن عكرمة به عند ابن ماجه (٢٤٢٨) وغيره.

(٣) حسن - أخرجه ابن ماجه (٣٤٢٧)، والحاكم (٤/١٣٩) وغيرهم.

● من فقه (الباب):

١ - الزجر عن التنفس في الإناء؛ لأنه ربما جعل له تغير من النَّفْس، إذ قد يخرج مع النفس بصاق أو بخار رديء أو مخاط فيكسبه رائحة كريهة، وهذا مختص بحالة الشرب كما تدل عليه أحاديث الباب.

٢ - السنة إذا أراد التنفس إبانة الإناء ثم التنفس والعودة إن أراد، كما دل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وعليه يحمل حديث أنس رضي الله عنه: «كان يتنفس في الإناء»^(١).

ولذلك جمع الحافظ بينه وبين حديث أبي قتادة بقوله في «فتح الباري» (٩٣/١٠): «... فكأنه أراد أن يجمع بين حديث الباب والذي قبله، لأن ظاهرهما التعارض، إذ الأول صريح في النهي عن التنفس في الإناء، والثاني يثبت التنفس، فحملها على حالتين: فحالة النهي على التنفس داخل الإناء، وحالة الفعل على من تنفس خارجه، فالأول على ظاهره من النهي، والثاني تقديره وكان يتنفس في حالة الشرب من الإناء».

قلت: يؤكد أيضاً ما رواه المثنى الجهني، قال: كنت عند مروان

= من طريق الحارث بن أبي ذباب عن عمه عنه به.

قلت: إسناده حسن، فإن الحارث هو ابن عبدالرحمن بن عبدالله بن سعد بن أبي ذباب ليس به بأس؛ كما قال أبو زرعة، وعمه سماه ابن منده عياًضاً، وسماه البوصيري عبدالله وهو ثقة، فالإسناد حسن، وصححه البوصيري، والحاكم، ووافقه الذهبي.

(١) البخاري (٥٦٣١)، ومسلم (٢٠٢٨).

ابن الحكم فدخل عليه أبو سعيد الخدري، فقال له مروان بن الحكم: أسمعت رسول الله ﷺ، أنه نهى عن النفخ في الشراب؟ فقال له أبو سعيد: نعم. فقال له رجل: يا رسول الله إني لا أروى من نفس واحد. فقال له رسول الله ﷺ: «فأبْنِ القَدَحَ عن فيك، ثم تنفس». قال: إني أرى القذاة فيه. قال: «فأهرقها»^(١).

٣ - دل حديث أبي هريرة في الباب وحديث أبي سعيد الأنفي على إباحة الشرب من نفس واحد، لأن النبي ﷺ لم ينكر على الرجل حين قال: إني لا أروى من نفس واحد. بل قال له ما معناه: إن كنت لا تروى من واحد فأبْنِ القَدَحَ، فلو كان الشرب من نفس واحد لا يجوز لقال له مثلاً: وهل يجوز الشرب من نفس واحد، فدل على الجواز، ولكنه إذا أراد أن يتنفس تنفس خارج الإناء وهو أصرح وأوضح في حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الحافظ في «فتح الباري» (٩٣/١٠): «واستدل به لمالك على جواز الشرب بنفس واحد، وأخرج ابن أبي شيبة الجواز عن سعيد ابن المسيب وطائفة، وقال عمر بن عبدالعزيز: إنما نهى عن التنفس داخل الإناء، فأما من لم يتنفس فإن شاء فليشرب بنفس واحد. قلت: وهو تفصيل حسن».

(١) صحيح - أخرجه مالك (٩٢٥/٢)، ومن طريقه الترمذي (١٨٨٧)، وأحمد (٢٦/٣) و(٣٢٢)، وابن حبان (٥٣٢٧)، وابن أبي شيبة (٢٢٠/٨)، والبغوي (٣٠٣٦)، والحاكم (١٣٩/٤) وغيرهم.

قلت: إسنادة صحيح رجاله ثقات، وأبو المثني؛ فإن لم يعرفه ابن المديني، فقد عرفه غيره ووثقه كابين معين وابن حبان والذهبي.

قال ابن عبد البر في «التمهيد» (١/٣٩٣): «وقد رويت آثار عن بعض السلف، فيها كراهة الشرب في نفس واحد، وليس منها شيء تجب به حجة».

٤ - جواز الشرب بنفس واحد لا ينافي أن السنة أن يشرب بثلاثة أنفاس؛ فإن الأول جائز، والثاني أفضل لحديث أنس ابن مالك رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يتنفس في الشراب ثلاثاً، ويقول: «إنه أروى وأبرأ وأمرأ»^(١).

٥٤٨ - باب النهي عن النفخ في الطعام والشراب

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «نهى رسول الله ﷺ أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه»^(٢).

عن أبي المشنى الجهني قال: «كنت عند مروان بن الحكم، فدخل عليه أبو سعيد الخدري، فقال له مروان بن الحكم: أسمعت رسول الله ﷺ أنه نهى عن النفخ في الشراب؟ فقال له أبو سعيد: نعم»^(٣).

عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ: «نهى أن ينفخ في الشراب، وأن يشرب من ثلثة القدح»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٨) (١٢٣)

(٢) مضى تخريجه (ص ١٤١).

(٣) مضى تخريجه (ص ١٤٣).

(٤) حسن لغیره - أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٧٢٢) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧٨/٥): «وفيه عبدالمهيمن بن عباس بن سهل وهو ضعيف».

قلت: يشهد للجملة الأولى له ما قبله، والثانية لها شواهد ستأتي في الذي يليه إن شاء الله.

● من فقه (الباب):

- ١ - النفخ أشد من التنفس، ولذلك فرق بينهما.
- ٢ - تحريم النفخ في الإناء لما يحدث عند الآخرين من نفور عن الماء والشراب.

٥٤٩ - باب النهي عن الشرب من فم السقاء

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن اختناث^(١) الأسقية^(٢)»^(٣).

عن عكرمة قال: ألا أخبركم بأشياء قصار حدثنا بها أبو هريرة؟ «نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من فم القربة أو السقاء، وأن يمنع جاره أن يغرز خشبة في داره»^(٤).

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: «نهى النبي ﷺ عن الشرب من في السقاء»^(٥).

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: «نهى أن يشرب من في السقاء؛ لأن ذلك يَنْتُنُهُ»^(٦).

(١) الانطواء والتكسير والانشاء، ومنه سمي الرجل المتشبه بالنساء في طبعه وكلامه وحركاته مُخَنَّثًا.

والمراد: أن يقلب رأس السقاء حتى يشرب منه.

(٢) جمع سقاء، وهو المتخذ من الجلد صغيراً كان أو كبيراً.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٢٥)، ومسلم (٢٠٢٣) (١١١).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٢٧).

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٢٩).

(٦) صحيح - أخرجه الحاكم (١٤٠/٤) وصححه ووافقه الحافظ ابن حجر.

● من فقه الباب:

١ - النهي عن الشرب من أفواه الأسقية، وقد علل الشرع ذلك من وجوه:

أ - خشية اختلاف رائحة الماء أو القربة، فتعاف النفوس استخدامها فيهدر الماء، وإليه يشير حديث عائشة: «لأن ذلك يبتنه».

ب - خشية أن يكون دخل في السقاء بعض الهوام، كالأفاعي، يدل عليه حديث أبي هريرة مرفوعاً: «نهى أن يشرب من في السقاء». قال أيوب: «أنبت أن رجلاً شرب من في السقاء؛ فخرجت حية»^(١).

ت - الذي يشرب على هذه الحال قد يغلبه الماء من فم القربة أو السقاء؛ فينصب عليه أكثر من حاجته، فلا يأمن من الشرق.

٢ - النهي يقتضي التحريم، وبتعاضد هذه الأمور المقتضية للنهي يتأكد التحريم.

قال الحافظ في «فتح الباري» (٩١/١٠): «وقال النووي: اتفقوا على أن النهي هنا للتنزيه لا للتحريم كذا قال، وفي نقل الاتفاق نظر. قال النووي: ويؤيد كون هذا النهي للتنزيه أحاديث الرخصة في ذلك.

قلت - ابن حجر -: لم أر في شيء من الأحاديث المرفوعة ما يدل على الجواز إلا من فعله ﷺ، وأحاديث النهي كلها من قوله، فهي أرجح إذا نظرنا إلى علة النهي عن ذلك، فإن جميع ما ذكره العلماء في

(١) صحيح - أخرجه أحمد (٤/٢٣٠ و ٤٨٧) بإسناد صحيح على شرط البخاري، وأصله في الصحيح.

ذلك فرسول الله مأمون منه، إما لعصمته، أو طيب نكهته، أو لرفقه في صب الماء، وهذا ليس لغيره.

والذي يقتضيه الفقه أنه لا يبعد أن يكون النهي بمجموع هذه الأمور وفيها ما يقتضي الكراهة، وفيها ما يقتضي التحريم، والقاعدة في مثل ذلك ترجيح القول بالتحريم» أ. هـ مختصراً.

٣ - النهي خاص بمن باشر بفمه باطن السقاء، أما من صب من القربة داخل إناء ثم شرب فلا يلحقه بأس.

٤ - ما ثبت من فعله ﷺ أنه شرب من فم القربة؛ كحديث أم ثابت كبشة بنت ثابت رضي الله عنها؛ قالت: «دخل عليّ رسول الله ﷺ؛ فشرب من في قربة معلقة قائماً، فقمّت إلى فيها فقطعته»^(١).

لا يعارض ما تقدم من أحاديث النهي للوجوه الآتية:

أ - أن أحاديث النهي قولية وأحاديث الرخصة فعلية، والقول مقدم على الفعل.

ب - أحاديث الجواز كلها فيها أن القربة كانت معلقة، وهذا أخص من الشرب من مطلق القربة، ولذلك فلا دلالة في أخبار الجواز على الإباحة بل على تلك الصورة وحدها، ولذا ينبغي حملها على حال الضرورة جمعاً بين الخبرين النهي والجواز.

٥ - ولذلك ما ذهب إليه بعض أهل العلم من القول بأن أحاديث النهي ناسخة للإباحة مرجوح؛ لأن النسخ لا يثبت بالاحتمال، ولأنه يمكن الجمع فلا يصار إلى النسخ.

(١) صحيح - أخرجه الترمذي (١٨٩٢)، وابن ماجه (٢٤٢٣).

قلت: إسناده صحيح.

٥٥٠ - باب النهي عن الشرب من ثلثة القدح

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه قال: «نهى عن الشرب من ثلثة»^(١) القدح، وأن ينفخ في الشراب»^(٢).

عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ: «نهى أن ينفخ في الإناء أو يشرب من ثلثة القدح»^(٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: «نهى أن يشرب من كسر القدح»^(٤).

عن عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم قالوا: «يكره أن يشرب من ثلثة القدح وأذن القدح»^(٥).

● من فقه (الباب):

١ - النهي عن الشرب من ثلثة القدح أو أذنه.

٢ - قال الخطابي في «معالم السنن» (٢٨٤/٥): «إنما نهى عن

(١) الكسر في حرف الإناء.

(٢) حسن - أخرجه أبو داود (٣٧٢٢)، وأحمد وابنه عبدالله (٨٠/٣)، وابن حبان (٥٣١٥).

قلت: إسناده حسن، رجاله ثقات غير قرة بن عبد الرحمن، ففيه كلام يدل على أن حديثه لا ينزل عن رتبة الحسن.

(٣) مضى تخريجه (ص ١٤٤).

(٤) صحيح - أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤١٣١ - مجمع البحرين).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧٨/٥): «ورجاله ثقات رجال الصحيح».

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٠٥٥).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «رجالهم رجال الصحيح».

الشراب من ثلثة القدح؛ لأنه إذا شرب منها تصبب الماء، وسال قطره على وجهه وثوبه، لأن الثلثة لا تتماسك عليها شفة الشارب كما تتماسك على الموضع الصحيح في الكوز والقدح.

وقيل: إنه مقعد الشيطان.

فيحتمل أن يكون المعنى في ذلك: أن موضع الثلثة لا يناله التنظيف التام إذا غسل الإناء، فيكون شربه على غير نظافة، وذلك من فعل الشيطان وتسويله، وكذلك إذا خرج الماء فسال من الثلثة، فأصاب وجهه وثوبه، فإنما هو من أعنات الشيطان وإيذائه إياه، والله أعلم.

٥٥١ - باب تحريم الشرب قائماً

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً»^(١).

قال قتادة: فقلنا: فالأكل؟ فقال: ذاك أشر^(٢) أو أخبث.

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٤) (١١٣).

(٢) قال النووي: «هكذا وقع في الأصول: أشر بالألف، والمعروف في العربية بغير ألف، وكذلك خير، ولكن هذه اللفظة وقعت هنا على الشك، فإنه قال: أشر أو أخبث، فشك قتادة في أن أنساً قال: أشر، أو قال: أخبث، فلا يثبت عن أنس أشر بهذه الرواية، فإن جاءت هذه اللفظة بلا شك وثبتت عن أنس فهو عربي فصيح، فهي لغة وإن كانت قليلة الاستعمال، ولهذا نظائر مما لا يكون معروفاً عند النحويين وجارياً على قواعدهم، وقد صحت به الأحاديث فلا ينبغي رده إذا ثبت بل يقال: هذه لغة قليلة الاستعمال، ونحو هذا من العبارات، وسببه أن النحويين لم يحيطوا إحاطة قطعية بجميع كلام العرب، ولهذا يمنع بعضهم ما ينقله غيره عن العرب كما هو معروف».

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ زجر عن الشرب قائماً»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يشربن أحد منكم قائماً، فمن نسي فليستقي»^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - ثبت في الصحيحين وغيرهما عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب وابن عمر رضي الله عنهم أنهم شربوا وهم قيام، ورفعوا ذلك للنبي ﷺ فعلاً.

٢ - ولذلك أشكلت أحاديث النهي على بعض العلماء وبعضهم تجاسر فضعفها، وليس فيها إشكال ولا ضعيف، وقد سلك أهل العلم فيها طرائق متنوعة:

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢٦)، وفي سنده عمر بن حمزة العمري وهو ضعيف.

ولكنه أخرجه أحمد (٧٩٩٠ - شاكراً)، والدارمي (١٢١/٢).

من طريق شعبة عن أبي زياد الطحان؛ قال: سمعت أبا هريرة يقول عن النبي ﷺ، أنه رأى رجلاً يشرب قائماً. فقال له: «قَهْ» قال: لِمَه؟ قال: «أيسرك أن يشرب معك الهر؟» قال: لا. قال: «فإنه قد شرب معك من هو شر منه؛ الشيطان».

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات، وأبو زياد وثقه ابن معين.

وتابعه الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً: «لو يعلم الذي يشرب وهو قائم ما في بطنه؛ لاستقاه».

أخرجه أحمد (٧٧٩٦) وهي متابعة صحيحة، فالحديث بمجموع ذلك صحيح؛ كما جزم الحافظ في «فتح الباري» (٨٣/١٠).

أ - الترجيح: وأن أحاديث الجواز أثبت من أحاديث النهي.

ب - النسخ: ادّعى بعضهم إن أحاديث النهي منسوخة بأحاديث الجواز بقرينة عمل الخلفاء الراشدين، ومعظم الصحابة والتابعين بالجواز.

وعكس ابن حزم المسألة؛ فزعم: أن أحاديث الجواز منسوخة بأحاديث النهي، متمسكاً بأن الجواز على وفق الأصل وأحاديث النهي مقررّة لحكم الشرع، فمن ادّعى الجواز بعد النهي فعليه البيان.

ت - التأويل: حمل فريق من أهل العلم القيام على المشي، وقال آخرون: النهي محمول على من لم يسم عند شربه.

ث - الجمع: سلك فريق طريق الجمع، فحمل أحاديث النهي على كراهة التنزيه وأحاديث الجواز على بيانه.

قلت: طريق الجمع أولى وأحسن؛ لأن فيها إعمال كل الأدلة، لكن يمكن الجمع بين هذه الأحاديث بطريقة مثلى وهي: أن أحاديث النهي على ظاهرها تفيد التحريم، وبخاصة إذا نظرنا إلى القرائن لوجدنا أنه لا محيص عن القول بالتحريم:

* النهي عن الشرب في حالة القيام.

* تأكيد النهي بلفظ الزجر، وهو أشد من النهي كما لا يخفى.

* بيان أن الشيطان يشرب مع القائم.

* أمر من شرب قائماً بالاستقاء.

وأما أحاديث الجواز فكلها من فعله ﷺ، والقول مقدم على

الفعل؛ لأن الفعل مظنة الخصوصية، ولكن حمل الجواز على العذر كضيق المكان أو كون القرية معلقة أولى.

وأما المسالك الأخرى فظاهرة التكلف والتعسف، وبخاصة دعوى النسخ؛ فإنه لا يصار إليه مع القدرة على الجمع، والفعل لا ينسخ القول، والله أعلم.

٥٥٢ - باب تحريم الخمر وبيان عقوبة شاربها

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصْهَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿[المائدة: ٩٠، ٩١].

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة»^(١).

وفي رواية: «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها؛ لم يتب، لم يشربها في الآخرة»^(٢).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رجلاً قدم من جيشان - وجيشان من اليمن - فسأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الدرة يقال له: المِزْرُ؟ فقال النبي ﷺ: «أو مسكر هو؟» قال: نعم. قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام، إن على الله عز وجل عهداً لمن

(١) أخرجه البخاري (٥٥٧٥)، ومسلم (٢٠٠٣) (٧٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٠٣).

يشرب المُسكر أن يَسْقِيهِ من طينة الخبال» قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار أو عصارة أهل النار»^(١).

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد في الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب لم يتب الله عليه، وسقاه من نهر الخبال» قيل: يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار»^(٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل فقال: يا محمد، إن الله عز وجل لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وساقها، ومستقيها»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠٢).

(٢) صحيح - أخرجه الترمذي (١٨٦٢)، وأحمد (٣٥/٢) مختصراً.

وقال الترمذي: حسن.

وله شاهد من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أخرجه النسائي (٣١٤/٨) و٣١٦ و٣١٧، وابن ماجه (٣٣٧٧)، وأحمد (١٧٦/٢ و ١٨٩ و ١٩٧)، وابن حبان (٥٣٥٧)، والحاكم (٣١٠٣٠/٤ و ١٤٦)، والبزار (٣٩٣٦ - كشف الأستار).

قلت: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

وله شاهد من حديث ابن عباس عند أبي داود (٣٦٨٠) وفيه جهالة.

(٣) صحيح لغيره - أخرجه أحمد (٣١٦/١)، وابن حبان (٥٣٥٦)، والحاكم

(١٤٥/٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢٩٧٦).

وعنه أيضاً؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «مدمِن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن»^(١).

وعنه أيضاً؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «الخمر أم الفواحش، وأكبر الكبائر، من شربها وقع على أمه وخالته وعمته»^(٢).

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «الخمر أم الخبائث، ومن شربها لم يقبل الله منه صلاة أربعين يوماً، فإن مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية»^(٣).

عن أبي الدرداء رضي الله عنه؛ قال: أوصاني خليلي ﷺ: «لا تشرب الخمر، فإنها مفتاح كل شر»^(٤).

والأحاديث في الباب متكاثرة متواترة.

● من فقه الباب:

١ - تغليظ تحريم الخمر، وذلك ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع، وهو من المعلوم من الدين بالضرورة.

= من طريق مالك بن خير الزياتي أن مالك بن سعد التجيبي حدثه أنه سمع ابن عباس وذكره.

قلت: إسناده جيد، مالك بن خير وشيخه صدوقان.

وله شاهدان من حديث أنس وعبدالله بن عمر وبهما يرتقى إلى درجة الصحة، والله أعلم.

(١) صحيح؛ «الصحيحة» (٦٧٧).

(٢) حسن؛ «الصحيحة» (١٨٥٣).

(٣) حسن؛ «الصحيحة» (١٨٥٤).

(٤) صحيح - أخرجه ابن ماجه (٣٣٧١) وهو صحيح.

٢ - وقد حاول قوم لا خلاق لهم في هذا العصر تجميع دلالة القرآن على تحريم الخمر وهي ظاهرة من وجوه:

أ - نقل الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣١/١٠ - ٣٢):

«قال أبو الليث السمرقندي: المعنى إنه لما نزل فيها إنها رجس من عمل الشيطان وأمر باجتنابها عادلته قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠].

وذكر أبو جعفر النحاس أن بعضهم استدلل لتحريم الخمر بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقد قال تعالى في الخمر والميسر: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩] فلما أخبر أن في الخمر إثماً كبيراً ثم صرح بتحريم الإثم ثبت تحريم الخمر بذلك.

قال: وقول من قال: إن الخمر تسمى إثماً لم نجد له أصلاً في الحديث ولا في اللغة ولا دلالة أيضاً في قول الشاعر:

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم يذهب بالعقول

فإنه أطلق الإثم على الخمر مجازاً بمعنى أنه ينشأ عنها الإثم.

ب - وقد حرر الشيخ محمد رشيد رضا المسألة تحريراً جيداً في «تفسير المنار» (٦٣/٧) فقال: «ونحن نبين المؤكدات بأوضح مما بينوها به وأوسع فنقول:

أحدها: أن الله جعل الخمر والميسر رجساً، وكلمة الرجس تدل

على منتهى القبح والخبث، ولذلك أطلقت على الأوثان، فهي أسوأ مفهومًا من كلمة الخبيث.

وقد علم من عدّة آيات أن الله أحل الطيبات وحرّم الخبائث. وقد قال النبي ﷺ: «الخمير أم الخبائث»، وقال: «الخمير أم الفواحش وأكبر الكبائر، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته وعمته».

ثانيها: أنه صدر الجملة بإنما الدالة على الحصر للمبالغة في ذمهما، كأنه قال: ليست الخمر وليس الميسر إلا رجساً فلا خير فيهما ألبتة.

ثالثها: أنه قرنهما بالأنصاب والأزلام التي هي من أعمال الوثنية وخرافات الشرك، وقد أورد المفسرون هنا حديث: «مدمن الخمر كعابد وثن».

رابعها: أنه جعلهما من عمل الشيطان؛ لما ينشأ عنهما من الشرور والطغيان، وهل يكون عمل الشيطان إلا موجباً لسخط الرحمن. خامسها: أنه جعل الأمر بتركهما من مادة الاجتناب وهو أبلغ من الترك؛ لأنه يفيد الأمر بالترك مع البعد عن المتروك بأن يكون التارك في جانب بعيد عن جانب المتروك، ولذلك نرى القرآن لم يعبر بالاجتناب إلا عن ترك الشرك والطاغوت الذي يشمل الشرك والأوثان وسائر مصادر الطغيان، وترك الكبائر عامة وقول الزور الذي هو من أكبرها، قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]؛ كما قال: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]؛ وقال: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوْحِشِ إِلَّا اللَّثَمَ﴾ [النجم: ٣٢].

سادسها: أنه جعل اجتنابهما معداً للفلاح ومرجاة له، فدلّ ذلك على أن ارتكابهما من الخسران والخيبة في الدنيا والآخرة.

سابعها وثامنها: أنه جعلهما مثاراً للعداوة والبغضاء وهما شرّ المفاسد الدنيوية المتعدية إلى أنواع من المعاصي في الأموال والأعراض والأنفس، ولذلك سميت الخمرة بأم الخبائث وأم الفواحش.

تاسعها وعاشرها: أنه جعلهما صادين عن ذكر الله وعن الصلاة؛ وهما روح الدين وعماده، وزاد المؤمن وعтаده، وقد علم مما تقدم أن الصد عن ذكر الله غير الصد عن الصلاة.

حادي عشرها: الأمر بالانتهاء عنهما بصيغة الاستفهام المقرون بفاء السببية، وهل يصح الفصل بين السبب والمسبب؟ وفي الآية التالية ثلاثة مؤكّدات أخرى نوردها معدودة مع ما قبلها.

ثاني عشرها: قوله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]؛ أي: أطيعوا الله تعالى فيما أمركم من اجتناب الخمر والميسر وغيرهما، كما تجتنبون الأنصاب والأزلام أو أشدّ اجتناباً وفي كل شيء، وأطيعوا الرسول فيما بينه لكم مما نزل الله عليكم، ومنه قوله: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام».

ثالث عشرها: قوله عز وجل: ﴿وَأَحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٩٢]؛ أي: احذروا عصيانهما، أو ما يصيبكم إذا خالفتم أمرهما من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة؛ فإنه ما حرم عليكم إلا ما يضركم في دنياكم وآخرتكم، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

رابع عشرها: الإنذار والتهديد في قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْعُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]؛ أي: فإن توليتم وأعرضتم عن الطاعة فاعلموا أنما على رسولنا أن يبين لكم ديننا وشرعنا، وقد بلغه وأبانه، وقرن حكمه بأحكامه، وعلينا نحن الحساب والعقاب وسترونه في إبانة كما قال: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وإنما الحساب لأجل الجزاء.

لم يُؤكّد تحريم شيء في القرآن مثل هذا التأكيد ولا قريباً منه، وحكمته شدة افتتان الناس بشرب الخمر وكذا الميسر، وتأولهم كل ما يمكن تطرق الاحتمال إليه من أحكام الأديان التي تخالف أهواءهم، كما أوّلت اليهود أحكام التوراة في تحريم أكل أموال الناس بالباطل كالربا وغيره، وكما استحل بعض فساق المسلمين شرب بعض الخمر بتسميتها بغير اسمها، إذ قالوا: هذا نبيذ أو شراب لا يُسكر إلا الكثير منه، وقد أحل ما دون القدر المسكر منه فلان وفلان - يقولون ذلك فيما هو خمر، ولاحظ لهم من شربه إلا السكر.

بل تجرأ بعض غلاة الفساق على القول بأن هذه الآيات لا تدل على تحريم الخمر، لأن الله قال: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ ولم يقل حرّمه فاتركوه. وقال: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ ولم يقل فانتهوا عنه. وقال بعضهم: سألناه هل أنتم متهون؟ فقلنا: لا، ثم سكت وسكتنا، ويصدق على هؤلاء قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة: ٥٧]، ويمكن أن يقال: إن هذا الغلو قلما يصدر عن من كان صحيح الإيمان - والعياذ بالله تعالى أ. هـ.

٣ - الخمر أم الفواحش والخبائث مما يتولد عنها من المعاصي

المهلكة والكبائر الموبقة؛ كإتلاف الأنفس، وانتهاب الأموال، وانتهاك الأعراس، فهي مفتاح كل شر - عياداً بالله.

٤ - تحريم التعامل مع الخمر بأي شكل شرباً أو حملاً أو بيعاً أو إهداء أو تطيباً، فكل هؤلاء قد لعنوا على لسان محمد ﷺ.

٥ - الأحاديث الواردة في بيان أن شارب الخمر كعابد اللات والعزى ومدمنها كعابد وثن، محمولة على من استحلها واعتقد أنها حلال.

قال ابن حبان في «صحيحه» (١٦٨/١٢): «يشبه أن يكون معنى هذا الخبر: من لقي الله مُدمن خمر مستحلاً لشربه، لقيه كعابد وثن، لاستوائهما في حالة الكفر».

قلت: وهذا جاري على أصول أهل السنة والحديث من السلف الصالح لا يكفرون بالمعاصي إلا من استحلها، وعليه يخرج حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»^(١).

وقد بسطت ذلك مفصلاً في مقدمتي على كتاب «تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن» (ص ٢٢ - ٥٢)؛ فانظره غير مأمور.

(١) البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

٥٥٣ - باب أنواع الخمر وبيان علة تحريمها

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: سئل رسول الله ﷺ عن البتة - وهو نبيذ العسل، وكان أهل اليمن يشربونه - فقال رسول الله ﷺ: «كل شراب أسكر فهو حرام»^(١).

عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: «خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال: إنه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمسة أشياء: العنب، والتمر، والحنطة، والشعير، والعسل، والخمر ما خامر العقل»^(٢).

عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده؛ قال: لما بعثه رسول الله ﷺ ومعاذ بن جبل قال لهما: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَيَسِّرَا وَلَا تُتَقَرَّرَا، وتطاوعا قال أبو موسى: يا رسول الله إنا بأرض يصنع فيها شراب من العسل يقال له: البتة، وشراب من الشعير يقال له: المزرة، فقال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام»^(٣).

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من العنب خمراً، وإن من التمر خمراً، وإن من العسل خمراً، وإن من البُرِّ خمراً، وإن من الشعير خمراً»^(٤).

(١) البخاري (٥٥٨٥ و ٥٥٨٦)، ومسلم (٢٠٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٨٨)، ومسلم (٣٠٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٢٤)، ومسلم (١٧٣٣).

(٤) صحيح لغيره - أخرجه أبو داود (٣٦٧٦ و ٣٦٧٧)، والترمذي (١٨٧٢)، وابن ماجه

(٣٣٧٩)، وأحمد (٢٦٧/٤ و ٢٧٣)، وابن حبان (٥٣٩٨)، والدارقطني (٢٥٢/٤)

و (٢٥٣)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢١٣/٤)، والحاكم (١٤٨/٤)، =

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «الخمير من هاتين الشجرتين: النخلة والعنب»^(١).

● من فقه الباب:

١ - الخمر: ما خامر العقل وأذهب به وهو المسكر من الشراب، ولذلك فإن الإسكار علة تحريم الخمر، وما روي أن الخمر حرمت لعينها فلا يصح.

٢ - قال البغوي في «شرح السنة» (١١/٣٥٢ - ٣٥٣): «في هذه الأحاديث دليل واضح على بطلان قول من زعم أن الخمر إنما هي عصير العنب، أو الرطب النبيء الشديد منه، وعلى فساد قول من زعم أن لا خمير إلا من العنب، أو الزبيب، أو الرطب، أو التمر بل كل مسكر خمير، وأن الخمر ما خامر العقل (وذكر حديث النعمان) فهذا تصريح بأن الخمر قد تكون من غير العنب والتمر، وتخصيص هذه الأشياء بالذكر ليس لما أن الخمر لا تكون إلا من هذه الخمسة، بل كل ما كان في معناها من ذرة، وسُلت، وعصارة شجر، فحكمه حكمها، وتخصيصها بالذكر لكونها معهودة في ذلك الزمان. (وذكر حديث أبي هريرة) وهذا لا يخالف حديث النعمان بن بشير، وإنما معناه: أن معظم الخمر يكون منهما، وهو الأغلب على عادات الناس فيما يتخذونه من الخمر».

= والبيهقي (٢٨٩/٨)، وغيرهم.

من طرق عن الشعبي عنه به.

قلت: طرقه فيها ضعف لكنها تتقوى، والحديث بها حسن.

وله شاهد من حديث ابن عمر إسناده حسن؛ فهو به صحيح لغيره، والله أعلم.

(١) مسلم (١٩٨٥).

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله في «تهذيب السنن» (٢٦٣/٥) بعد أن ساق جملة من الأحاديث الدالة على مسألة الباب: «فهذه النصوص الصحيحة الصريحة في دخول هذه الأشربة المتخذة من غير العنب في اسم الخمر في اللغة التي نزل بها القرآن، وخوطب بها الصحابة مغنية عن التلکف في إثبات تسميتها خمرًا بالقياس، مع كثرة النزاع فيه.

فإذ قد ثبت تسميتها خمرًا نصًا، فتناول لفظ النصوص لها كتناوله لشراب العنب سواء تناولوا واحداً، فهذه طريقة قريبة منصوصة سهلة، تريخ من كلفة القياس في الاسم، والقياس في الحكم».

٥٥٤ - باب تحريم قليل ما أسكر كثيره

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»^(١).

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مسكر حرام، وما أسكر منه الفرق، فملء الكف منه حرام»^(٢).

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٦٨١)، والترمذي (١٨٦٥)، وابن ماجه (٣٣٩٣)، وأحمد (٣/٣٤٣)، وابن حبان (٥٣٨٢)، وابن الجارود (٨٦٠)، والبغوي (٣٠١٠)، والبيهقي (٢٩٦/٨) وغيرهم.

من طرق عن محمد بن المنكدر عنه به.

قلت: وهو صحيح بمجموع طرقه عن ابن المنكدر.

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٢٦٨٧)، والترمذي (١٨٦٦)، وأحمد (٧١/٦) و٧٢ و١٣١، وابن حبان (٥٣٨٣)، والبيهقي (٢٩٦/٨)، والندارقطني (٢٥٥/٤)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢١٦/٤)، وابن الجارود (٨٦١)، وغيرهم =

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره»^(١).

وفي الباب عن عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو، وعلي، وخوات بن جبير، وزيد بن ثابت؛ رضي الله عنهم^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - قال النسائي في «سننه» (٣٠١/٨): «وفي هذا دليل على تحريم السكر قليله وكثيره، وليس كما يقول المخادعون لأنفسهم بتحريمهم آخر الشربة وتحليلهم ما تقدمها الذي يشرب في الفرق قبلها، ولا خلاف بين أهل العلم أن السكر بكلّيته لا يحدث على الشربة الآخرة دون الأولى والثانية بعدها، وبالله التوفيق».

ونقله الزيلعي في «نصب الراية» (٣٠٢/٤ - ٣٠٣) مُقَرَّأً.

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله في «تهذيب السنن» (٢٦٣/٥): «ثم إن محض القياس الجلي يقتضي التسوية بينهما، لأن تحريم قليل شراب العنب مجمع عليه وإن لم يسكر، وهذا لأن النفوس لا تقتصر

= من طريق أبي عثمان الأنصاري عن القاسم بن محمد عن عائشة.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(١) حسن - أخرجه النسائي (٣٠١/٨)، والدارمي (١١٣/٢)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢١٦/٤)، وأبو يعلى (٦٩٤ و ٦٩٥)، والبيهقي (٢٩٦/٨)، والدارقطني (٢٥١/٤) وغيرهم.

من طريق الضحاك بن عثمان عن بكير بن عبدالله عن عامر بن سعد، عن أبيه.

قلت: إسناده حسن.

(٢) وانظر لزماً «نصب الراية» (٣٠١/٤) وما بعدها.

على الحد الذي لا يُسكر منه، وقليله يدعو إلى كثيره وهنا المعنى بعينه في سائر الأشربة المسكرة، فالتفريق بينهما في ذلك تفريق بين المتماثلات، وهو باطل، فلو لم يكن في المسألة إلا القياس لكان كافياً في التحريم، فكيف وفيها ما ذكرناه من النصوص التي لا مطعن في سندها، ولا اشتباه في معناها، بل هي صحيحة صريحة، وبالله التوفيق».

وقال السندي في حاشيته على النسائي (٨/٣٠٠ - ٣٠١): «ما يحصل السكر بشرب كثيره فهو حرام قليله وكثيره، وإن كان قليله غير مسكر، وبه أخذ الجمهور وعليه الاعتماد عند علمائنا الحنفية، والاعتماد على القول بأن المحرم هو الشربة المسكرة وما كان قبلها فحلّال قد رده المحققون كما رده المصنف رحمه الله».

٢ - قال البغوي في «شرح السنة» (١١/٣٥٣): وفي قوله: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»، دليل على أن التحريم في جنس السكر لا يتوقف على السكر، بل الشربة الأولى منه في التحريم ولزوم الحد في حكم الشربة الآخرة التي يحصل بها السكر، لأن جميع أجزائه في المعاونة على السكر سواء، كالزعفران لا يصبغ القليل منه حتى يمد بجزء، فإذا كثر وظهر لونه، كان الصبغ مضافاً إلى جميع أجزائه لا إلى آخر جزء منه، وهذا قول عامة أهل الحديث».

وقال ابن قيم الجوزية في «تهذيب السنن» (٥/٢٦٤): «فهذا صريح في أن الشراب إذا كان إنما يسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام، مع أنه لا يحصل به سكر، وهذا مراد الأحاديث، فإن الإسكار إنما يحصل بالمجموع من الشراب الذي يقع به السكر».

ومن ظن أنه إنما يقع بالشربة الأخيرة فقد غلط، فإن الشربة الأخيرة إنما أثرت السكر بانضمامها إلى ما قبلها، ولو انفردت لم تؤثر، فهي كاللقمة الأخيرة في الشُّبْع، والمصة الأخيرة في الري، وغير ذلك من المسببات التي تحصل عند كمال سببها بالتدرّج شيئاً فشيئاً.

فإذا كان السكر يحصل بقدر معلوم من الشراب كان أقل ما يقع عليه الاسم منه حراماً، لأنه قليل من الكثير المسكر، مع القطع بأنه لا يسكر وحده، وهذا في غاية الوضوح.

قال شيخنا حفظه الله في «الصححة» (١/ ١٩٠ - ١٩١): «وأيضاً فإن إباحة القليل الذي لا يسكر من الكثير الذي يسكر غير عملي؛ لأنه لا يمكن معرفته؛ إذ أن ذلك يختلف باختلاف نسبة كمية المادة المسكرة (الكحول) في الشراب، فربّ شراب قليل، كمية الكحول فيه كثيرة وهو يسكر، وربّ شراب أكثر منه كمية الكحول فيه أقل لا يسكر.

كما أن ذلك يختلف باختلاف بنية الشاربين وصحتهم، كما هو ظاهر بيّن، وحكمة الشريعة تنافي القول بإباحة مثل هذا الشراب، وهي التي تقول: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، و«من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه».

واعلم أن ورود مثل هذه الأقوال المخالفة للسنة والقياس الصحيح معاً في بعض المذاهب، مما يوجب على المسلم البصير في دينه الرحيم بنفسه أن لا يسلم قياد عقله وتفكيره وعقيدته لغير معصوم، مهما كان شأنه في العلم والتقوى والصلاح، بل عليه أن يأخذ من حيث أخذوا من الكتاب والسنة إن كان أهلاً لذلك، وإلا سأل المتأهلين

لذلك، والله تعالى يقول: ﴿فَسَعَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وبالإضافة إلى ذلك، فإننا نعتقد أن من قال بهذا القول من العلماء المشار إليهم؛ فهو مأجور للحديث المعروف، لأنهم قصدوا الحق فأخطؤوه، وأما من وقف من أتباعهم على هذه الأحاديث التي ذكرناها، ثم أصر على تقليدهم على خطئهم، وأعرض عن اتباع الأحاديث المذكورة، فهو - لا شك - في ضلال بين وهو داخل في وعيد هذه الأحاديث التي خرجناها.

٥٥٥ - باب تحريم تسمية الخمر بغير أسمائها

عن أبي عامر - أو أبي مالك - الأشعري رضي الله عنه سمع النبي ﷺ يقول: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر^(١)، والحرير، والخمر، والمعازف^(٢)»، ولينزلن أقوام إلى جنب علم^(٣) يروح عليهم بسارحة^(٤) لهم، ويأتيهم لحاجة فيقولوا ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله^(٥)، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة^(٦).

(١) هو الفرج، والمعنى: يستحلون الزنى.

(٢) جمع معزفة، وهي: آلات الملاهي واللهو.

(٣) هو الجبل العالي.

(٤) الماشية التي تسرح بالغداة إلى رعيها، وترجع بالعشي إلى مألها.

(٥) يهلكهم ليلاً.

(٦) أخرجه البخاري (٥٥٩٠) تعليقا، ووصله ابن حبان (٦٧٥٤)، والطبراني (٣٤١٧)،

والبيهقي (٢٧٢/٣ و ٢٢١/١٠)، والمافظ في «تغليق التعليق» (١٨/٥ و ١٩).

وله شواهد كثيرة.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَتْ حَلَنٌ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرُ بِاسْمِ يُسَمُّونَهَا إِيَّاهُ». وفي رواية: «يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»^(١).

● من فقه الباب:

١ - الأحاديث من أعلام نبوة المعصوم ﷺ فقد وقع ما أخبر به على وجه التحذير والتشديد، فكثير من فساق المسلمين يتعاطون الخمر تحت أسماء اخترعوها من تلقاء أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان، كـ «المشروبات الروحية»، أو «أم الأفراح»، و «الويسكي»، و «العرق»، و «الكونياك»، وغير ذلك من الأسماء التي أشار إليها الرسول الكريم ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة، ولذلك يحرم تسمية الخمر بهذه الأسماء.

٢ - لا يجوز للمسلم أن ينخدع بما يطلقه هؤلاء على الخمر أم الخبائث فيردد ما يقولون دون قصد بل عليه الإصرار على تسميتها بأسمائها القبيحة: خمر، أم الخبائث، أم الفواحش، مفتاح كل شر، شراب الشيطان.

٣ - قال الحافظ في «فتح الباري» (٥٦/١٠): «وفي هذا الحديث وعيد شديد على من يتحيل في تحليل ما يحرم بتغيير اسمه، وأن

= وقد ذهب ابن حزم إلى تضعيف الحديث ورد عليه جماعة من أهل العلم، ولشيخنا كلام نفيس في «الصحيحة» (٩١) فانظره.

(١) صحيح لغيره - أخرجه ابن ماجه (٣٣٨٥)، وأحمد (٣١٨/٥).

قلت: إسناده جيد، وله شواهد عن جماعة من الصحابة منهم: أبي أمامة، وعائشة، والحديث بها صحيح، والله أعلم.

الحكم يدور مع العلة، والعلة في تحريم الخمر الإسكار، فمهما وجد الإسكار وجد التحريم ولو لم يستمر الاسم.

قال ابن العربي: هو أصل في أن الأحكام إنما تتعلق بمعاني الأسماء لا بألقابها، رداً على من حمله على اللفظ.

فائدة:

قوله ﷺ: «يستحلون» و«يستحلن»: المراد الاستحلال العملي لا الاعتقادي، لأنه لو كان اعتقادياً لخرجوا بذلك من الإسلام ولم يعدوا في أمه محمد ﷺ، بينما وصفوا في أحاديث الباب بأنهم من أمته ﷺ، وهذا دليل على أنهم لم يخرجوا من الإسلام فيكون استحلالهم عملياً، ولقد أحسن ابن حبان حيث ترجم على الحديث الأول بقوله: «ذكر الإخبار عن استحلال المسلمين الخمر والمعازف في آخر الزمان».

تكميل: قد يكون هذا الاستحلال بتأويل؛ كما وقع مع قدامة بن مظعون رضي الله عنه وأصحابه، ويدل على ذلك قوله ﷺ يسمونها بغير أسمائها.

٥٥٦ - باب الزجر عن انتباز التمر والزبيب مخلوطين

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ نهى أن يُخلط الزبيب والتمر، والبسر والتمر»^(١).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ نهى عن التمر والزبيب أن يُخلط بينهما، وعن التمر والبسر أن يخلط

(١) أخرجه البخاري (٥٦٠١)، ومسلم (١٩٨٦).

بينهما»^(١).

عن أبي قتادة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتبذوا الزَّهْوُ»^(٢) والرطب جميعاً، ولا تتبذوا الزَّيْب والتمر جميعاً، وانتبذوا كل واحد منهما على حَدِّته»^(٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: نهى رسول الله ﷺ عن الزبيب والتمر، والبسر والتمر. وقال: «ينبذ كل واحد منهما على حدته»^(٤).

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: «نهى النبي ﷺ أن يخلط التمر والزبيب جميعاً، وأن يخلط البسر والتمر جميعاً، وكتب إلى أهل جُرَش ينهاهم عن خليط التمر والزبيب»^(٥).

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أنه كان يقول: «قَدْ نُهِيَ أَنْ يَنْبَذَ الْبُسْرُ وَالرُّطْبُ جَمِيعاً، وَالتَّمْرُ وَالزَّيْبُ جَمِيعاً»^(٦).

عن أنس رضي الله عنه؛ يقول: «إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَهَى أَنْ يَخْلُطَ التَّمْرُ وَالزَّهْوُ ثُمَّ يَشْرَبَ» وَإِنْ ذَلِكَ كَانَ عَامَةً خُمُورِهِمْ يَوْمَ حُرْمَتِ الْخَمْرِ»^(٧).

(١) أخرجه مسلم (١٩٨٧).

(٢) هو البسر الملون الذي بدا فيه حمرة أو صفرة.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٠٢)، ومسلم (١٩٨٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٩٨٩).

(٥) أخرجه مسلم (١٩٩٠).

(٦) أخرجه مسلم (١٩٩١).

(٧) أخرجه مسلم (١٩٨١).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم انتباز التمر والزبيب والبسر والتمر مخلوطين، وذلك أن الإسكار يسرع إلى الخليط قبل أن يشتد، فيظن الشارب أنه لم يبلغ حد الإسكار، ويكون قد بلغه.

٢ - ذهب بعض العلماء: أن النهي معلن بالإسراف، وهو تأويل فيه بُعد ونظر؛ لأنه وقع الإذن بأن ينبذ كل واحد على حدة، ولم يفرق بين القليل والكثير، فلو كانت علة الإسراف لما أطلق ذلك.

٣ - يجوز شرب نبذ التمر والعنب والزبيب والبسر إذا كان فرداً؛ لحديث أبي سعيد الخدري؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من شرب النبذ منكم فليشر به زيباً فرداً، أو تمرأ فرداً، أو بسرأ فرداً»^(١).

ويشهد له حديث أبي قتادة في الباب.

٥٥٧ - باب النهي عن الانتباز في الأوعية وبيان أنه منسوخ

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: «نهى رسول الله ﷺ أن نتبذ في الدُّبَاءِ والمُرْقَتِ»^(٢).

عن إبراهيم؛ قال: قلت للأسود: هل سألت أم المؤمنين عما يكره أن يتبذ فيه. قالت: «نهانا في ذلك البيت أن نتبذ في الدُّبَاءِ والمُرْقَتِ». قلت: أما ذكرت الجرّ والحتتم؟ قال: إنما أحدثك ما سمعت، أفأحدثك ما لم أسمع»^(٣).

(١) مسلم (١٩٨٧) (٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٩٤)، ومسلم (١٩٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٩٥)، ومسلم (١٩٩٥).

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ يقول:

قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ؛ فقال النبي ﷺ: «أنهاكم عن الدُّبَاءِ والْحَنْتَمِ والنَّقِيرِ والمُقَيْرِ»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

«أنه نهى عن المُرْقَتِ والْحَنْتَمِ والنَّقِيرِ»؛ قيل لأبي هريرة: ما الحنتم؟ قال: الجرار الخضر^(٢).

عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما؛ قال: «نهى النبي ﷺ عن الجرِّ الأخضر.

قلت: أنشرب في الأبيض؟ قال: لا»^(٣).

عن أنس رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى عن الدُّبَاءِ والمُرْقَتِ أن ينبذ فيه»^(٤).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى عن الدُّبَاءِ والْحَنْتَمِ والنَّقِيرِ والمُرْقَتِ»^(٥).

عن سعيد بن جبير؛ قال: أشهدُ على ابنِ عمر وابنِ عباس: أنهما

(١) أخرجه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٩٣) (٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٩٦).

(٤) مسلم (١٩٩٢).

(٥) مسلم (١٩٩٣) (٤٤).

شهدا: «أن رسول الله ﷺ نهى عن الدُّبَاءِ، والْحَتَمِ، والمُزَفَّتِ، والنَّقِيرِ»^(١).

عن جابر وابن عمر: «أن رسول الله ﷺ نهى عن النَّقِيرِ والمُزَفَّتِ والدُّبَاءِ»^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم الانتباز في الأوعية الكثيفة ومنها:

أ - الدُّبَاءُ: القرع والمراد اليابس منه.

ب - المَزَفَّتُ: وهو السقاء الذي زَفَّتْ أي: رُبَّبَ بالزَّفَتِ، وهو: القير، ويسمى: المَقْقِرَ.

ت - الحَتَمُ: هي جرار خضر كان يحمل فيها الخل إلى المدينة.

ث - النَّقِيرُ: أصل النخلة ينقر، فيتخذ منه أوعية ينبذ فيها.

٢ - نهى عن الانتباز في هذه الأوعية؛ لأنه يسرع إليها الإسكار؛ فيصير شرابها مسكراً ولا يدرى به.

٣ - جواز الانتباز في الأسقية ففي حديث أبي هريرة مرفوعاً:

«ولكن الشرب في سقائك وأوكه»^(٣) لأن السقاء إذا أوكي أمنت مفسدة الإسكار، فإذا تغير نبيذه وصار مسكراً شق الجلد الموكي، فيتنبه إليه، وما لم يشقه لا يكون مسكراً بخلاف الدُّبَاءِ والحَتَمِ والنَّقِيرِ والمَزَفَّتِ وغيرها من الأوعية الكثيفة؛ فإنه يصير فيها مسكراً ولا يعلم.

(١) مسلم (١٩٩٧).

(٢) مسلم (١٩٩٨).

(٣) مسلم (١٩٩٣) (٣٣).

قال البغوي في «شرح السنة» (١١/٣٦٦): «والنهي عن هذه الأوعية، لأنها أوعية متينة، ولها ضرارة يشتد فيها النبيذ، ولا يشعر بذلك صاحبها، فيكون على غرر من شربها، فأما غير المربوب من أسقية آدم جلد رقيق إذا اشتد فيه النبيذ تَقَطَّعَ وانشق، فلا يخفى على صاحبه أمره.

وقد اختلف الناس في الانتباز في هذه الأوعية، فذهب قوم إلى بقاء الحظر فيها، يروى ذلك عن ابن عمر، وابن عباس، وإليه ذهب مالك، وأحمد، وإسحاق، وذهب آخرون إلى أن التحريم كان في صدر الإسلام ثم صار منسوخاً بحديث بريدة الأسلمي.

٤ - قلت: الصواب نسخ هذا النهي ويدل على ذلك عدة أحاديث منها:

أ - حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما؛ قال: «لما نهى النبي ﷺ عن الأسقية قيل للنبي ﷺ: ليس كل الناس يجد سقاء. فرخص لهم في الجر غير المُرَقَّت»^(١).

ب - حديث بريدة مرفوعاً: «نهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء، فاشربوا في الأسقية كلها ولا تشربوا مسكراً»^(٢).

وفي رواية: «نهيتكم عن الظروف، وإن الظروف أو ظرفاً لا يحل شيئاً ولا يحرمه، وكل مسكر حرام»^(٣).

(١) البخاري (٥٥٩٣)، ومسلم (٢٠٠٠).

(٢) مسلم (٩٧٧).

(٣) مسلم (٩٧٧) (٦٤).

وفي أخرى: «كنت نهيتكم عن الأشربة في ظروف الأدم؛ فاشربوا في كل وعاء، غير أن لا تشربوا مُسكرًا»^(١).

وقد انتصر لهذا القول البخاري، والخطابي، والحازمي.

٥٤) كتاب المرضى والطب

٥٥٨ - باب الزجر عن إكراه المرضى على الطعام والشراب

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام؛ فإن الله يطعمهم ويسقيهم»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - النهي عن إكراه المرضى على الطعام والشراب لعدم اشتهاه، فإن المريض يفقد شهيته إلى الطعام والشراب، وذلك أن الصحة هي التي تطيب الطعام والشراب.

(١) حسن بشواهد - أخرجه الترمذي (٢٠٤٠)، وابن ماجه (٣٤٤٤)، وغيرهما.

من طريق بكر بن يونس بن بكير عن موسى بن علي عن أبيه عنه به.

قلت: إسناده ضعيف، لأن بكرأ ضعيف.

وله شاهد من حديث جابر رضي الله عنه.

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥١/١٠ و ٢٢١)، وابن عساكر (١/٣٠٩/١١) من

طريق محمد بن ثابت عن شريك بن عبدالله عن الأعمش عن أبي سفيان عنه به.

قلت: إسناده ضعيف، لأن شريكاً القاضي سيء الحفظ، وباقي رجاله ثقات.

وبالجملة؛ فالحديث حسن بهذا الشاهد.

وله شواهد أخرى عن ابن عمر وعبدالرحمن بن عوف لا يفرح بها.

٢ - قال ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٩٠/٤ - ٩١): «قال بعض فضلاء الأطباء: ما أغزر فوائد هذه الكلمة النبوية المشتملة على حكم إلهية، لا سيما للأطباء، ولمن يعالج المرضى، وذلك أن المريض إذا عاف الطعام أو الشراب، فذلك لاشتغال الطبيعة بمجاهدة المرض، أو لسقوط شهوته أو نقصانها لضعف الحرارة الغريزية أو خمودها، وكيفما كان، فلا يجوز حينئذ إعطاء الغذاء في هذه الحالة».

٣ - ومن هديه ﷺ في هذا الباب تقديم الغذاء الرقيق النضيج لا الغليظ النَّيِّء فإنه مريح ومهدىء، ومن ذلك «التليينة»؛ وهو الحساء الرقيق الذي هو في قوام اللبن وغالبها متخذ من دقيق الشعير بنخالته، وربما جعل فيه العسل وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «التليينة مَجْمَّة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن»^(١).

٥٥٩ - باب النهي عن النظر إلى المجذوم

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ؛ قال: «لا تديموا النظر إلى المجذومين»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٤١٧)، ومسلم (٢٢١٦).

(٢) صحيح لغيره - أخرجه ابن ماجه (٣٥٤٣)، وأحمد (٢٣٣/١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/٣٢٠/٥٥٩٦ و ٩/٤٤/٦٤٥٨) وغيرهم من طريق عبدالله بن سعيد بن أبي هند عن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان عن أمه فاطمة بنت الحسين، عنه به مرفوعاً.

قلت: إسناده حسن؛ لأن محمد بن عبدالله صدوق على لين يسير؛ فحديثه حسن وباقي رجاله ثقات.

وتابعه ابن أبي الزناد عند ابن ماجه (٣٥٤٣)، والطيالسي (١٦٠١)، والبيهقي =

● من فقه الباب:

١ - الجذام: مرض خبيث ينتشر في البدن يفسد الأعضاء ويؤدي إلى تأكلها.

٢ - النهي عن مخالطة المجذومين وإدمان النظر إليهم؛ فقد صح عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة: «وفر من المجذوم فرارك من الأسد».

٥٦ - باب تحريم التدواي بالخمير

عن طارق بن سويد الجعفي رضي الله عنه سأل النبي ﷺ عن الخمر؛ فنهاه، أو كره أن يصنعها؛ فقال: «إنما أصنعها للدواء» فقال: «إنه ليس بدواء، ولكنه داء»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الدواء الخبيث»^(٢).

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في السَّكْرِ: «إن الله لم

= (٢١٨/٧ و ٢١٩).

وله شاهد من حديث علي بن أبي طالب عند عبدالله بن أحمد في «زوائد المسند» (٧٨/١).

وفي إسناده ضعف.

وبالجملة؛ فالحديث صحيح بطرقه وشواهده.

(١) مسلم (١٩٨٤).

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٨٧٠)، والترمذي (٢٠٤٥)، وابن ماجه (٣٤٥٩)،

وأحمد (٣٠٥/٢ و ٤٤٦ و ٤٧٨).

قلت: وهو صحيح.

يجعل شفاءكم فيما حُرِّم عليكم»^(١).

وعن أبي الأحوص: أن رجلاً أتى عبدالله فقال: «إن أخي مريض اشتكى بطنه، وأنه نعت له الخمر أفأسقيه؟ قال عبدالله: سبحان الله ما جعل الله شفاء في رجس، إنما الشفاء في شيئين: العسل شفاء للناس، والقرآن شفاء لما في الصدور»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - تحريم التداعي بالخمر أم الخبائث؛ فإنها داء وليست دواء، ولا ينزل عليها حكم الضرورة، لأن الله سبحانه وتعالى حرم الخمر ولم يذكر فيها ضرورة، وأباح الميتة وأخواتها عند الضرورة، وذلك أن الإنسان يجد مندوحة عن التداعي بها ولا يقطع بنفعه.

٢ - قال ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٤/١٥٧): «ولنفرض الكلام في أم الخبائث التي ما جعل الله لنا فيها شفاء قط، فإنها شديدة المضرة بالدماغ الذي هو مركز العقل عند الأطباء، وكثير من الفقهاء والمتكلمين».

٥٦١ - باب تحريم التداعي بالمحرمات

عن أبي الدرداء رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تدأوا»

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم (٧٨/١٠)، ووصله عبد الرزاق (٢٥٠/٩)، وابن أبي شيبه (٢٣/٨)، والبيهقي (٥/١٠)، وغيرهم.

من طرق عن أبي وائل عنه به.

قلت: صححه الحافظ رحمه الله.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٩١٠). قلت: إسناده صحيح.

بحرام»^(١).

عن أم سلمة قالت: اشتكت ابنة لي؛ فنبذت لها في كوز، فدخل النبي ﷺ وهو يغلي؛ فقال: «ما هذا؟» فقالت: إن ابنتي اشتكت؛ فانتبذت لها هذا؛ فقال ﷺ: «إن الله لم يجعل شفاؤكم في حرام»^(٢).

عن عبدالرحمن بن عثمان: «أن طبيباً ذكر ضفدعاً في دواء عند رسول الله ﷺ؛ فنهاه عن قتلها»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - قال ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٤/١٥٦ - ١٥٨):
«المعالجة بالمحرمات قبيحة عقلاً وشرعاً، أما الشرع فما ذكرنا من هذه الأحاديث وغيرها، وأما العقل؛ فهو أن الله سبحانه إنما حرمه لخبثه،

(١) حسن - أخرجه أبو داود (٣٨٧٤)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (٣٨/٢).
من طريق إسماعيل بن عياش عن ثعلبة بن مسلم عن أبي عمران الأنصاري عن أم الدرداء عنه به.

قلت: إسناده حسن رجاله ثقات غير ثعلبة وثقه ابن حبان، وروى عنه جمع؛ فمثله يحسن حديثه، والله أعلم.

(٢) حسن لغيره - أخرجه أحمد في «الأشربة» (١٥٩)، وأبو يعلى (٦٩٦٦)، وابن حبان (١٣٩١)، والبيهقي (٥/١٠)، والطبراني في «الكبير» (٧٤٩/٢٣)، وابن حزم في «المحلى» (١٧٥/١).

من طريق جرير عن الشيباني عن حسان بن مخارق عنها به.
قلت: رجاله ثقات غير حسان بن مخارق فلم يذكر فيه جرح ولا تعديل، وروى عنه اثنان، ووثقه ابن حبان؛ فمثله يصلح للاعتبار والشواهد، ويشهد له ما قبله.

(٣) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٨٧)، والنسائي (٢١٠/٧)، وأحمد (٤٥٣/٣) و٤٩٩.
قلت: إسناده صحيح.

فإنه لم يحرم على هذه الأمة طيباً عقوبة لها كما حرّمه على بني إسرائيل بقوله: ﴿فَيُطْلَمُ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ أُحِلَّت لَّهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، وإنما حرّم على هذه الأمة ما حرّم لخبثه، وتحريمه له حمية لهم، وصيانة عن تناوله، فلا يناسب أن يطلب به الشفاء من الأسقام والعلل، فإنه وإن أثر في إزالتها، لكنه يعقب سقماً أعظم منه في القلب بقوة الخبث الذي فيه، فيكون المداوى به قد سعى في إزالة سقم البدن بسقم القلب.

وأيضاً؛ فإن تحريمه يقتضي تجنبه والبعد عنه بكل طريق، وفي اتخاذه دواء حض على الترغيب فيه وملابسته، وهذا ضد مقصود الشارع.

وأيضاً؛ فإنه داء كما نص عليه صاحب الشريعة، فلا يجوز أن يتخذ دواء.

وأيضاً؛ فإنه يكسب الطبيعة والروح صفة الخبث، لأن الطبيعة تنفعل عن كيفية الدواء انفعالاً بيناً، فإذا كانت كيفيته خبيثة، اكتسبت الطبيعة منه خبثاً، فكيف إذا كان خبيثاً في ذاته، ولهذا حرّم الله سبحانه على عباده الأغذية والأشربة والملابس الخبيثة، لما تكسب النفس من هيئة الخبث وصفته.

وأيضاً؛ فإن في إباحة التداوي به، ولا سيما إذا كانت النفوس تميل إليه ذريعة إلى تناوله للشهوة واللذة، لا سيما إذا عرفت النفوس أنه نافع لها مزيل لأسقامها جالب لشفائها، فهذا أحب شيء إليها، والشارع سد الذريعة إلى تناوله بكل ممكن، ولا ريب أن بين سد الذريعة إلى تناوله وفتح الذريعة إلى تناوله تناقضاً وتعارضاً.

وها هنا سر لطيف في كون المحرمات لا يستشفى بها، فإن شرط الشفاء بالدواء تلقيه بالقبول، واعتقاد منفعتها، وما جعل الله فيه من بركة الشفاء، فإن النافع هو المبارك، وأنفع الأشياء أبركها، والمبارك من الناس أينما كان هو الذي ينتفع به حيث حل، ومعلوم أن اعتقاد المسلم تحريم هذه العين مما يحول بينه وبين اعتقاد بركتها ومنفعتاتها، وبين حسن ظنه بها، وتلقي طبعه لها بالقبول، بل كلما كان العبد أعظم إيماناً كان أكره لها، وأسوأ اعتقاداً فيها، وطبعه أكره شيء لها، فإذا تناولها في هذه الحال كانت له داء لا دواء إلا أن يزول اعتقاد الخبث فيها، وسوء الظن والكراهة لها بالمحبة، وهذا ينافي الإيمان، فلا تناولها المؤمن قط إلا على وجه داء، والله أعلم.

٥٦٢ - باب النهي عن الكي

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنهي أمتي عن الكي»^(١).

عن جابر بن عبد الله؛ قال: سمعت النبي ﷺ؛ يقول: «إن كان في شيء من أدويتكم خير، ففي شربة عسل، أو شرطة محجم، أو لذة من نار، وما أحب أن اكتوي»^(٢).

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «من اكتوى أو استرقى فقد برىء من التوكل»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٥٦٨١).

(٢) البخاري (٥٧٠٢)، ومسلم (٢٢٠٥).

(٣) صحيح - أخرجه الترمذي (٢٠٥٥)، وابن ماجه (٣٤٨٩)، وأحمد (٢٤٩/٤) =

● من فقه (الباب):

١ - كراهة الكي لما فيه من التعذيب بالنار ومنافاته كمال التوكل، ولذلك كان من صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب إنهم لا يكتون؛ كما في حديث ابن عباس المتفق عليه.

٢ - آخر الدواء الكي، فذكره رسول الله ﷺ في الأدوية؛ لأنه يستعمل حيث لا ينفع الدواء المشروب، وتأخير فيه دلالة أن يؤخر العلاج به حتى تدفع الضرورة إليه، ولا يعجل التداوي به، والله أعلم.

٥٦٣ - باب النهي عن الغمز من العذرة

عن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمثل ما تداويتم به الحجامه والقسط البحري، ولا تعذبوا صبيانكم بالغمز^(١) من العذرة^(٢)، وعليكم بالقسط^(٣)».

● من فقه (الباب):

١ - القسط البحري: هو العود الهندي وهو نوعان:

= (٢٥٣)، وابن حبان (٦٠٨٧)، وابن أبي شيبة (٦٩/٨)، والحميدي (٧٦٣)،

والحاكم (٤١٥/٤)، والبيهقي (٣٤١/٩)، والبيهقي (٣٢٤١).

من طريق عقار بن المغيرة عن أبيه مرفوعاً.

قلت: صححه الترمذي والحاكم، ووافقه الذهبي، وهو كما قالوا.

(١) غمز اللهاة بالأصبع.

(٢) وجع الحلق: وهو ما يسمى سقوط اللهاة.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٩٦)، ومسلم (١٥٧٧).

أحدهما: يستعمل في الأدوية وهو الكست أو القسط.

الثاني: يستعمل في الطيب وهو الألوة.

٢ - العذرة يغلب عليها البلغم، والقسط ينشف البلغم؛ فتجف اللهاة، وترتفع إلى مكانها.

٣ - قال ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٩٥/٤): «والقسط البحري: هو العود الهندي، وهو الأبيض منه، وهو حلو، وفيه منافع عديدة، وكانوا يعالجون أولادهم بغمز اللهاة، وبالعلاق هو شيء يعلقونه على الصبيان، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك، وأرشدهم إلى ما هو أنفع للأطفال، وأسهل عليهم».

٥٦٤ - باب تغليظ الزجر من الفرار من الطاعون

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه؛ قال رسول الله ﷺ: «الطاعون رجز»^(١) أو عذاب أرسل على بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض، فلا تخرجوا فراراً منه»^(٢).

عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض، وأنتم فيها، فلا تخرجوا فراراً منه»^(٣).

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ؛ قال: «الطاعون شهادة

(١) العذاب.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٢٨)، ومسلم (٢٢١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٢٢١٩).

لأمتي، وخز أعدائكم من الجن، غدة كغدة الإبل تخرج بالآباط والمراق^(١)، من مات فيه مات شهيداً، ومن أقام فيه كان كالمرباط في سبيل الله، ومن فرّ منه كان كالفارّ من الزحف^(٢).

● من فقه الباب:

١ - تغليظ تحريم الفرار من الطاعون أو دخول أرض هو بها.
٢ - قال ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٣٧/٤): «الطاعون: نوع من الوباء، وهو عند أهل الطب: ورم رديء قتال يخرج معه تلهب شديد مؤلم جداً يتجاوز المقدار في ذلك، ويصير ما حوله في الأكثر أسود أو أخضر أو أكمد، ويؤول أمره إلى التقرح سريعاً، ومن الأكثر يحدث في ثلاثة مواضع: في الإبط، وخلف الأذن، والأرنبة، وفي اللحوم الرخوة».

٣ - قال (٣٨/٤): «هذه القروح، والأورام، والجراحات هي آثار الطاعون، وليست نفسه، ولكن الأطباء لما لم تدرك منه إلا الأثر الظاهر جعلوه نفس الطاعون».

والطاعون يعبر به عن ثلاثة أمور:

أحدها: هذا الأثر الظاهر، وهو الذي ذكره الأطباء.

الثاني: الموت الحادث عنه، وهو المراد بالحديث الصحيح في قوله: «الطاعون شهادة لكل مسلم».

(١) ما سفّل من البطن من المواضع التي ترقّ جلودها.

(٢) حسن؛ «الصحيحة» (١٩٢٨).

الثالث: السبب الفاعل لهذا الداء، وقد ورد في الحديث الصحيح: «أنه بقية رجز أرسل على بني إسرائيل»، وورد فيه: «أنه وخز الجن» وجاء أنه دعوة نبي.

وهذه العلل والأسباب ليس عند الأطباء ما يدفعها، كما ليس عندهم ما يدل عليها، والرسول تخبر بالأمور الغائبة، وهذه الآثار التي أدركوها من أمر الطاعون، ليس معهم ما ينفي أن تكون بتوسط الأرواح، فإن تأثير الأرواح في الطبيعة وأمراضها وهلاكها أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وتأثيراتها، وانفعال الأجسام وطبائعها عنها، والله سبحانه قد يجعل لهذه الأرواح تصرفاً في أجسام بني آدم عند حدوث الوباء، وفساد الهواء، كما يجعل لها تصرفاً عند بعض المواد الرديئة التي تُحدث للنفوس هيئة رديئة، ولا سيما عند هيجان الدَّم، والمِرَّة السوداء، وعند هيجان المني، فإن الأرواح الشيطانية تتمكن من فعلها بصاحب هذه العوارض ما لا تتمكّن من غيره، ما لم يدفعها دافع أقوى من هذه الأسباب من الذكر، والدعاء، والابتهاال والتضرع، والصدقة، وقراءة القرآن، فإنه يستنزل بذلك من الأرواح الملكية ما يقهر هذه الأرواح الخبيثة، ويبطل شرها ويدفع تأثيرها، وقد جربنا نحن وغيرنا هذا مراراً لا يحصيها إلا الله، ورأينا لاستنزال هذه الأرواح الطيبة واستجلاب قربها تأثيراً عظيماً في تقوية الطبيعة، ودفع المواد الرديئة، وهذا يكون قبل استحكامها وتمكنها، ولا يكاد ينخرم، فمن وفقه الله بادر عند إحساسه بأسباب الشر إلى هذه الأسباب التي تدفعها عنه وهي له من أنفع الدواء، وإذا أراد الله عز وجل انفاذ قضائه وقدره، أغفل قلب العبد عن معرفتها وتصوّرها وإرادتها فلا يشعر بها، ولا يريد لها ليقتضي الله أمراً كان مفعولاً.

٤ - وقال (٤٢/٤ - ٤٤): «وقد جمع النبي ﷺ للأمة في نهيه عن الدخول إلى الأرض التي هو بها، ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه، فإن في الدخول في الأرض التي هو بها تعرضاً للبلاء، ومواقاة له في محل سلطانه، وإعانة للإنسان على نفسه، وهذا مخالف للشرع والعقل، بل تجب الدخول إلى أرضه من باب الحماية التي أرشد الله سبحانه إليها، وهي حمية عن الأمكنة، والأهوية المؤذية.

وأما نهيه عن الخروج من بلده ففيه معنيان:

أحدهما: حمل النفوس على الثقة بالله، والتوكل عليه، والصبر على أقضيته، والرضى بها.

والثاني: ما قاله أئمة الطب: أنه يجب على كل محترز من الوباء أن يُخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية، ويقلل الغذاء، ويميل إلى التدبير المجفف من كل وجه إلا الرياضة والحمام، فإنهما مما يجب أن يحذرا، لأن البدن لا يخلو غالباً من فضل رديء كامن فيه، فتثيره الرياضة والحمام، ويخلطانه بالكيμος^(١) الجيد، وذلك يجلب علة عظيمة، بل يجب عند وقوع الطاعون السكون والدعة، وتسكين هيجان الأخلاط، ولا يمكن الخروج من أرض الوباء والسفر منها إلا بحركة شديدة، وهي مضرة جداً، لهذا كلام أفضل الأطباء المتأخرين، فظهر المعنى الطبي وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاهما.

فإن قيل: ففي قول النبي ﷺ: «لا تخرجوا فراراً منه»، ما يبطل

(١) ما يكون عليه الطعام بعد هضم المعدة.

أن يكون أراد هذا المعنى الذي ذكرتموه، وأنه لا يمنع الخروج لعارض، ولا يحبس مسافر عن سفره؟

قيل: لم يقل أحد، طيب ولا غيره، إن الناس يتركون حركاتهم عند الطواعين، ويصيرون بمنزلة الجمادات، وإنما ينبغي فيه التقليل من الحركة بحسب الإمكان، والفار منه لا موجب لحركته إلا مجرد الفرار منه، ودعته وسكونه أنفع لقلبه وبدنه، وأقرب إلى توكله على الله تعالى، واستسلامه لقضائه. وأما من لا يستغني عن الحركة، كالصناع والأجراء، والمسافرين، والبرّ، وغيرهم، فلا يقال لهم: اتركوا حركاتكم جملة، وإن أمروا أن يتركوا منها ما لا حاجة لهم إليه، كحركة المسافر فاراً منه، والله تعالى أعلم.

وفي المنع من الدخول إلى الأرض التي قد وقع بها عدة حكم: أحدهما: تجنب الأسباب المؤذية، والبعد منها.

الثاني: الأخذ بالعافية التي هي مادة المعاش والمعاد.

الثالث: أن لا يستنشقوا الهواء الذي قد عَفِنَ وفسد فيمرضون.

الرابع: أن لا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك، فيحصل لهم بمجاورتهم من جنس أمراضهم.

وفي «سنن أبي داود» مرفوعاً: «إن القرف التلف».

قال ابن قتيبة: القرف مداناة الموباء، ومداناة المرضى.

الخامس: حمية النفوس عن الطيرة والعدوى، فإنها تتأثر بهما، فإن الطيرة على من تطير بها. وبالجمله ففي النهي عن الدخول في

أرضه الأمر بالحذر والحمية، والنهي عن التعرض لأسباب التلف. وفي النهي عن الفرار منه الأمر بالتوكل، والتسليم، والتفويض. فالأول: تأديب وتعليم. والثاني: تفويض وتسليم.

٥ - النهي عن دخول البلاد التي أصابها الطاعون أو الخروج منها هو المتبع في الوقاية منه حتى هذه الأيام وأقرته جميع الهيئات الصحية وهو ما يسمى بـ «الحجر الصحي»؛ فيمنع أي شخص من الخروج منها، ويمنع دخول أي شخص من الدخول إليها ما عدا الأطباء ومن يعاونهم، وبذلك يمنع المرض من الانتشار، وهذا الباب من الإعجاز النبوي الذي يدل على صدق ما جاء به محمد ﷺ، وأن الطب النبوي ليس من باب التجارب.

٥٦٥ - باب النهي عن سب الحمى

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ دَخَلَ على أم السائب أو أم المُسَيَّب؛ فقال: «مالك يا أمَّ السَّائِب أو يا أمَّ المُسَيَّب تُزْفِزِفِينَ^(١)؟ قالت: الحمى لا بارك الله فيها. فقال: «لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكيرُ خبث الحديد»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - النهي عن سب الحمى؛ لأنها كفارة تذهب خطايا بني آدم، وقد ثبت من حديث عثمان رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «الحمى حظ المؤمن من النار يوم القيامة».

(١) ترعدين.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٥).

وفي حديث أبي أمامة الصحيح: «الحمى كير من جهنم؛ فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار».

قال ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٤/ ٣٠ - ٣١): «لما كانت الحمى يتبعها حمية عن الأغذية الرديئة، وتناول الأغذية والأدوية النافعة، وفي ذلك إعانة على تنقية البدن، ونفي خبائثه وفضوله، وتصفيته من مواده الرديئة، وتفضل فيه كما تفضل النار في الحديد في نفي خبثه، وتصفية جوهره، كانت أشبه الأشياء بنار الكير التي تصفي جوهر الحديد، وهذا القدر هو المعلوم عند أطباء الأبدان.

وأما تصفيتها القلب من وسخه ودرنه، وإخراجها خبائثه، فأمر يعلمه أطباء القلوب، ويجدونه كما أخبرهم به نبيهم رسول الله ﷺ، ولكن مرض القلب إذا صار مأيوساً من برئه، لم ينفع فيه هذا العلاج.

فالحمى تنفع البدن والقلب، وما كان بهذه المثابة فسيبه ظلم وعدوان، وذكرت مرة وأنا محموم قول بعض الشعراء يسئبها:

زارت مكفرة الذنوب وودّعت تبّاً لها من زائر ومودّع

قالت وقد عزمت على ترحالها ماذا تريد فقلت أن لا ترجعي

فقلت: تبّاً له إذ سبّ ما نهى رسول الله ﷺ عن سبّه، ولو قال:

زارت مكفرة الذنوب لصبّها أهلاً بها من زائر ومودّع

قالت وقد عزمت على ترحالها ماذا تريد فقلت: أن لا تقلعي

لكان أولى، ولأقلعت عنه، فأقلعت عني سريعاً.

٢ - يستحب وضع الماء البارد على وجه المحموم وأطرافه تطبيقاً

وتديناً، كما في حديث عائشة المتفق عليه: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء».

٥٥) كتاب اللباس

٥٦٦ - باب تغليظ الزجر عن التعري

عن المِسْوَر بن مخزومة؛ قال: «أقبلت بحجر أحمله، وعليّ إزار خفيف. فأنحَلَّ إزاري ومعِيَ الحجر لم أستطع أن أضعه حتى بُلِغْتُ إلى موضعه؛ فقال رسول الله ﷺ: «إرجع إلى ثوبك فَخُذْهُ، ولا تمشوا عِراءَ»^(١).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد»^(٢).

عن عبدالرحمن بن جَرَهْد؛ قال: كان جَرَهْدُ هذا من أصحاب الصفة؛ قال: جلس رسول الله ﷺ عندنا وفخذي منكشفة فقال: «أما علمت أن الفخذ عورة»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٣٤١).

(٢) أخرجه مسلم (٣٣٨).

(٣) صحيح لغيره - أخرجه أبو داود (٤٠١٤)، والترمذي (٢٧٩٥ و ٢٧٩٧ و ٢٧٩٨)، =

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم التعري وكشف العورات أما الرجل فعورته ما بين السرة والركبة، والمرأة كلها عورة إلا ما استثنى بدليل كالوجه والكفين على خلاف في ثبوته.

٢ - الأحاديث التي ورد فيها: أن النبي ﷺ كشف فخذيه مثل

= وأحمد (٤٧٨/٣ و ٤٧٩)، وعبد الرزاق (١٩٨٠٨)، والحميدي (٨٥٨)، والدارقطني (٢٢٤/١)، والطيالسي (١١٧٦)، وابن حبان (١٧١٠)، والحاكم (١٨٠/٤)، والبيهقي (٢٢٨/٢) وغيرهم. وقد أعله جمع من الأئمة بالاضطراب كما في «نصب الراية» (٢٤٣/٤ - ٢٤٤)، و«الجواهر النقي» (٢٢٨/٢)، والحافظ في «مقدمة فتح الباري» (ص ٢٤) و(٤٧٨/١).

ولكن له شواهد عن جمع منهم: ابن عباس، وعلي، ومحمد بن عبد الله بن جحش، وعبد الله بن عمرو بن العاص؛ فهذه أحاديث وإن كانت أسانيدھا لا تخلو من مقال؛ فإنھا يقوي بعضها بعضاً؛ لأن عللھا تدور بين الاضطراب والجهالة والضعف المحتمل، فتصح، وتقوى، ويستدل بها.

وحديث جرهد علقه البخاري في «صحيحه» (٤٧٨/١) باب ما يذكر في الفخذ ويروى عن ابن عباس، وجرهد، ومحمد بن جحش عن النبي ﷺ «الفخذ عورة».

(١) مسلم (٢١٢٨).

حديث عائشة وأنس لا تعارض ما ورد في الباب، لأن أهل العلم جمعوا بين هذه الأحاديث على وجوه:

أ - أن كشف فخذه ﷺ خاص به .

ب - أن كشف فخذه حكاية حال لا عموم لها .

ت - ما قاله ابن القيم في «تهذيب السنن» (١٧/٦): «وطريق الجمع بين هذه الأحاديث ما ذكره غير واحد من أصحاب أحمد وغيرهم أن العورة عورتان: مخففة، ومغلظة، فالمغلظة: السوأتان، والمخففة: الفخذان .

ولا تنافي بين الأمر بغض البصر عن الفخذين لكونهما عورة، وبين كشفهما لكونهما عورة مخففة، والله أعلم» .

قلت: لعل أقربها كلام ابن القيم رحمه الله، لكنه يرد عليه أن الأمر في حديث جرهد بالتغطية وليس بصرف البصر، وبينهما فارق؛ فإن الأول يستلزم الثاني والثاني لا يقتضي الأول، وهو ما هو ظاهر في كلام ابن القيم رحمه الله، ولذلك فإن العمل على حديث جرهد وشواهد لما يأتي:

أولاً: أنه قول وتلك فعل، والقول مقدم على الفعل .

ثانياً: أنه حاطر وتلك مبيحة، والحاطر مقدم على المبيح .

ثالثاً: أنه أحوط، ولذلك قال البخاري (٤٧٨/١ - فتح):
وحديث أنس أسند، وحديث جرهد أحوط حتى يخرج من اختلافهم .

قلت: ولهذا الفقه الذي تطمئن له النفس، ويلتقي مع مقاصد الشرع

في سدِّ الذرائع.

٣ - يدخل في التعري: اللباس الشفوف، والمجسم، الذي يكشف ويصف العورات؛ كما هو ظاهر حديث أبي هريرة في الباب.

٥٦٧ - باب تحريم التزوير في اللباس وغيره

عن أسماء رضي الله عنها: أن امرأة قالت: يا رسول الله إن لي ضُرّة، فهل علي جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال رسول الله ﷺ: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - المتزين بما ليس عنده من لباس أو قول أو علم أو غيره يتزين بالباطل، ويزيد كذباً على كذب؛ فأما الكذب الأول؛ فإنه كذب، والآخر أنه ادعى ما ليس عنده أو له.

٢ - ويدخل في هذا الباب الرجل يلبس ثياب الزهاد أو العلماء أو العباد أو المجاهدين موهم أنه منهم وليس كذلك.

٥٦٨ - باب الزجر عن لباس الشهرة

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، ثم ألهب فيه ناراً»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠).

وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح بطرقه - أخرجه أبو داود (٤٠٢٩)، وابن ماجه (٣٦٠٧)، والنسائي في =

عن أبي ذر رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه»^(١).
● من فقه (الباب):

١ - تحريم لبس ثوب الشهرة، وذلك بأن يلبس ثوباً يخالف ملبوس الناس؛ ليراه الناس؛ فيتعجبوا من لباسه، سواء أكان ثوباً حسناً أو رثاً.

٢ - التحريم ليس مختصاً بنفس الثياب وإنما بقصد الاشتهار في الناس؛ فإن المعتبر هو القصد، والله أعلم.

٣ - يدخل في هذا الباب ما تتخذه بعض الطوائف من اتخاذ لباس معين؛ ليشتهروا به في الناس.

٥٦٩ - باب تغليظ الزجر عن تشبه النساء بالرجال

والرجال بالنساء

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»^(٢).

= «الكبرى» (٩٥٦٠).

من طريق أبي عوانة عن عثمان بن المغيرة عن المهاجر عنه.

قلت: إسناده حسن رجاله ثقات غير المهاجر بن عمرو الشامي.

وله طريق آخر عند أبي داود وابن ماجه، وهو بها صحيح.

(١) حسن لغیره - أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٩٠/٤ - ١٩١) بإسناد فيه ضعف؛ لأن عثمان بن جهم فيه جهالة، لكن يشهد له ما قبله.

وله شاهد مرسل من طريق كنانة: «إن النبي ﷺ نهى عن الشهرتين: أن يلبس الثياب الحسنة التي ينظر إليه فيها، أو الدنية أو الرثة التي ينظر إليه فيها».

أخرجه البيهقي (٢٧٣/٣) بإسناد صحيح، لكنه مرسل.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٨٥).

وعنه قال: «لعن النبي ﷺ المخشثين من الرجال، والمترجلات من النساء»، وقال: «أخرجوهم من بيوتكم»، قال: فأخرج النبي ﷺ فلاناً، وأخرج عمر فلانة^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»^(٢).

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق والديه، والمرأة المترجلة المشبهة بالرجال، والديوث»^(٣).

عن ابن أبي مليكة؛ قيل لعائشة رضي الله عنها: إن المرأة تلبس النعل؛ فقالت: «لعن رسول الله ﷺ الرجل من النساء»^(٤).

(١) البخاري (٥٨٨٦).

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٠٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (٩٢٥٣/٣٩٧/٥)، وابن ماجه (١٩٠٣)، والحاكم (١٩٤/٤)، وأحمد (٣٢٥/٢)، وابن حبان (٥٧٥١) و٥٧٥٢. قلت: إسناده صحيح.

وله طريق آخر عند أحمد (٢٨٧/٢) و٢٨٩.

(٣) صحيح - أخرجه النسائي (٨٠/٥)، وأحمد (١٣٤/٢)، والحاكم (٧٢/١) و١٤٦/٤ - (١٤٧)، والبيهقي (٢٢٦/١٠)، والبزار (١٨٧٦ - كشف الأستار).

من طريق عبدالله بن يسار، عن سالم بن عمر، عن ابن عمر.

قلت: صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

وقد تابعه محمد بن عمرو عن سالم عن أبيه.

أخرجه البزار (١٨٧٥).

قلت: إسناده حسن.

(٤) صحيح لغيره - أخرجه أبو داود (٤٠٩٩).

قلت: إسناده فيه عننة ابن جريج، ولكنه يصح بما تقدم.

وفي الباب عن عبدالله بن عمرو، وعمار بن ياسر.

● من فقه (اللباس):

١ - تحريم تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال في اللباس والكلام وغير ذلك مما يختص كل منهما به.

٢ - جواز لعن المتشبهين والمختشين والمترجلات.

٣ - المخنث و المترجلة يعترض على الصفة التي خلقه الله عليها، ومحاولة ذلك حرام.

عد الذهبي في «الكبائر»، وابن حجر الهيثمي في «الزواجر» ذلك من الكبائر، وهو الحق الذي تقتضيه أحاديث الباب.

٥٧٠ - باب تحريم نزع المرأة ملابسها في غير بيت زوجها

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله تعالى»^(١).

عن أم الدرداء رضي الله عنها؛ قالت: خرجت من الحمام فلقيني

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٠١٠)، والترمذي (٢٨٠٣)، وابن ماجه (٣٧٥٠)،

وأحمد (٤١/٦) و ١٧٣ و ١٩٩ و ٢٦٧ و (٣٦٢)، والطيالسي (٢٣٦) وغيرهم.

من طريق منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبي المليح عن عائشة.

قلت: إسناده صحيح، صححه الحاكم والذهبي والشوكاني وغيرهم.

وله طرق أخرى: فقد أخرجه أحمد (٢٦٧/٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/٣٢٥)

من طريق عطاء بن أبي رباح عنها. وأخرجه أبو يعلى (٤٣٩٠) من طريق أبي

إدريس و(٤٦٨٠) من طريق عروة.

رسول الله ﷺ؛ فقال: «من أين يا أم الدرداء؟» قالت: من الحمام؛ فقال: والذي نفسي بيده، ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت أحد من أمهاتها، إلا وهي هاتكة كل ستر بينها وبين الرحمن»^(١).

عن أم سلمة رضي الله عنها؛ قالت: سمعت رسول الله يقول: «أيما امرأة نزعَت ثيابها في غير بيتها خرق الله عنها ستره»^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم خلع المرأة ملابسها في غير بيتها أو بيت أحد من أمهاتها.

٢ - لا يحل للمرأة دخول الحمامات، لأن فيها تكشف العورات، وكذلك ما كان مثلها مثل صالونات التجميل أو المسابح.

٥٧١ - باب تحريم لباس الحرير على الرجال وجلوّسهم عليه

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ؛ قال: «لا يُلبس الحريرُ في الدنيا إلا لم يُلبس منه شيء في الآخرة»^(٣).

- (١) صحيح - أخرجه أحمد (٣٦١/٦ - ٣٦٢ و ٣٦٢)، والدولابي في «الكنى» (١٣٤/٢) بإسنادين أحدهما ضعيف فيه ابن لهيعة، والآخر صحيح، والله أعلم.
- (٢) حسن بما قبله - أخرجه أحمد (٣٠١/٦)، وأبو يعلى (٧٠٣١)، والحاكم (٢٨٩/٤).

من طريق دراج أبي السمع عن السائب عنها به. قلت: إسناده فيه ضعف لأن دراجاً أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم؛ كما ذكره الآجري في سؤالاته لأبي داود. والسائب وأورده ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً فهو علة الحديث، ولكن ما قبله يشهد له.

- (٣) البخاري (٥٨٣٠)، ومسلم (٢٠٦٩) (١٣).

وفي رواية: «إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق^(١) له في الآخرة»^(٢).

عن ابن أبي ليلى؛ قال: كان حذيفة بالمدائن فاستسقى، فأتاه دهقان بماء في إناء من فضة، فرماه به وقال: إني لم أرمه إلا أني نهيته فلم ينته، قال رسول الله ﷺ: «الذهب والفضة والحرير والديباغ هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة»^(٣).

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنه قال: أهدي لرسول الله ﷺ فرج^(٤) حرير؛ فلبسه، ثم صلى فيه ثم انصرف فنزعه نزعاً شديداً - كالكاره له - ثم قال: «لا ينبغي هذا للمتقين»^(٥).

عن البراء رضي الله عنه؛ قال: «أمرنا النبي ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع: أمرنا باتباع الجنائز، وعيادة المريض، وإجابة الداعي^(٦)، ونصر المظلوم، وإبرار القسم^(٧)، وردّ السلام، وتشميت العاطس، ونهانا عن آنية الفضة، وخاتم الذهب، والحرير،

= وله شواهد من حديث أبي أمامة، وأنس، وابن الزبير رضي الله عنهم.

- (١) لا نصيب له.
- (٢) أخرجه البخاري (٥٨٣٥)، ومسلم (٢٠٦٨) (٨). وله شاهد من حديث ابن عمر.
- (٣) البخاري (٥٨٣١)، ومسلم (٢٠٦٧) (٥).
- (٤) قباء شق من خلفه.
- (٥) أخرجه البخاري (٥٨٠١)، ومسلم (٢٠٧٥).
- (٦) الداعي إلى وليمة ونحوها من الطعام.
- (٧) إجابة وتصديق من أقسم عليك أن تفعل ما طلبه منك إن كان مشروعاً أو باستطاعتك فعله ولا يضرك.

والديباج^(١)، والقَسِّي^(٢)، والاستبرق^(٣)،^(٤).

عن أبي أمامة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريراً ولا ذهباً»^(٥).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم لبس الحرير.

٢ - لبس الحرير من صفات المترفين الذين لا نصيب لهم في الآخرة، لأنهم استوفوا طيباتهم في حياتهم الدنيا، ولذلك لا ينبغي للمتقين.

٣ - من تمتع بمعصية الله في الدنيا حُرِمَ نعيم الآخرة.

٤ - تحريم لبس الحرير خاص بالرجال حلال للإناث لحديث علي رضي الله عنه؛ قال: رأيت رسول الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه، وذهباً في شماله ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي»^(٦).

(١) نوع من الحرير.

(٢) ثياب مضلعة تنسج من حرير وكتان مخلوطين تعمل بالقَس وهو موضع من بلاد مصر، وهي قرية على ساحل البحر قريبة من تَنيس.

(٣) ما غلظ من الديباج.

(٤) أخرجه البخاري (١٢٣٩)، ومسلم (٢٠٦٦).

(٥) حسن - أخرجه أحمد (٢٦١/٥)، والحاكم (١٩١/٤).

من طريق سليمان بن عبد الرحمن عن القاسم عنه به.

قلت: رجاله ثقات غير القاسم وهو ابن عبد الرحمن وأبو عبد الرحمن صاحب أبي أمامة، الراجح من كلام أهل العلم أنه صدوق؛ فالإسناد حسن.

(٦) صحيح لغيره - أخرجه أبو داود (٤٠٥٧)، والنسائي (١٦٠/٨)، وابن ماجه =

٥ - يحرم الجلوس على الحرير لحديث حذيفة رضي الله عنه؛ قال: «نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج، وأن نجلس عليه»^(١).

قال الحافظ (٢٩٢/١٠): «الذي يمنع من الجلوس عليه هو ما منع من لبسه وهو ما صنع حرير صرف أو كان الحرير فيه أزيد من غيره».

٦ - يجوز مَسُّ الحرير من غير لبس لحديث البراء رضي الله عنه؛ قال: أهدي للنبي ﷺ ثوب حرير فجعلنا نلمسه ونتعجب منه، فقال النبي ﷺ: «أتعجبون من هذا؟» قلنا: نعم. قال: «مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا»^(٢).

قال الحافظ (٢٩١/١٠): «قال ابن بطال: النهي عن لبس الحرير ليس من أجل نجاسة عينه بل من أجل أنه ليس من لباس المتقين، وعينه

= (٣٥٩٥)، وأحمد (١١٥/١)، والبيهقي (٤٢٥/٢)، وابن حبان (٥٤٣٤) وغيرهم. من طريق يزيد بن أبي حبيب عن عبدالعزيز بن أبي الصعبة عن أبي الأفلح الهمداني عن عبدالله بن زريق به ولم يذكر أبو داود والنسائي في بعض رواياته عبدالعزيز بن أبي الصعبة وأبا الأفلح.

قلت: إسناده حسن؛ لأن أبا الأفلح صدوق.

وله شواهد عن جمع من الصحابة منهم: عبدالله بن عمرو، وعبدالله بن عباس، وعقبة بن عامر، وعمر، وأبي موسى رضي الله عنهم. وبالجملة؛ فالحديث صحيح بشواهد.

(١) أخرجه البخاري (٥٨٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٣٦).

مع ذلك طاهرة فيجوز منه وبيعه والانتفاع بثمرته.

٧ - وقد ورد عن النبي ﷺ ما يدل على بيعه والانتفاع بثمرته.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن عمر رضي الله عنه رأى حُلَّةً سِيراً^(١) عند باب المسجد؛ فقال: يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها للناس يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة»، ثم جاءت رسول الله ﷺ منها حُلَّةٌ فأعطي عمر حُلَّةً، فقال عمر: يا رسول الله كسوتنيها، وقد قلت في حلة عطارٍ ما قلت؟ فقال رسول الله ﷺ: «إني لم أكسُكها لتلبسها» فكساها عمر أخاً له مشركاً بمكة^(٢).

وفي رواية: «إني لم أبعث إليك لتلبسها، ولكني بعثت بها إليك لتشقها خُمراً بين نسائك».

وفي أخرى: «تبيعها فتصيب بها حاجتك».

وفي أخرى: «إنما بعثت بها إليك لتصيب بها مالاً».

٨ - يجوز لبس الحرير لمن كانت به علة يخففها لبس الحرير؛ فقد «رَخَّص رسول الله ﷺ للزبير وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما في لبس الحرير لحِجَّة^(٣) بهما»^(٤).

(١) يرود مضملة يخالطها حرير كأن خطوطها السيور.

(٢) البخاري (٥٨٤١)، ومسلم (٢٠٦٨).

(٣) نوع من الجرب أعادنا الله تعالى منه.

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٣٩)، ومسلم (٢٠٧٦) من حديث أنس.

٥٧٢ - باب تحريم لبس اللون الأحمر الخالص

عن البراء بن عازب رضي الله عنه: «نهى النبي ﷺ عن المياثر الحمرة»^(١).

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما؛ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن مَيِّثَرَة الأرجوان»^(٢).

عن علي رضي الله عنه؛ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن مياثر الأرجوان»^(٣).

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «نهى عن المفدم»^(٤).

● من فقه الباب:

١ - تحريم لبس الثوب الأحمر الخالص؛ لأن الإرجوان أحمر خالص، وكذلك المفدم هو المشبع بحمرة، فلا يقدر على الزيادة عليه؛ لتناهي حمرة.

٢ - ما ورد عن رسول الله ﷺ من حديث البراء؛ قال: «كان

(١) البخاري (٥٨٤٩)، ومسلم (٢٠٦٦).

(٢) حسن لغيره - أخرجه الترمذي (٢٧٨٨). قلت: إسناده ضعيف رجاله ثقات لكن فيه الحسن، وهو مدلس، وقد عتقته، ويشهد له حديث علي.

(٣) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٠٥٠)، والنسائي (١٦٩/٨).

من طريق هشام عن محمد عن عبيدة.

قلت: إسناده صحيح، وله طرق أخرى.

(٤) صحيح - أخرجه ابن ماجه (٣٦٠١) وصححه شيخنا في «الصحيحة» (٢٣٩٥).

رسول الله ﷺ مربوعاً ولقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه^(١) ليس فيه دليل على إباحة اللون الأحمر الخالص كما بيته في «بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين» (٢/ ٨١ - ٨٢).

قال ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (١/ ١٣٧ - ١٣٩): «ولبس حلة حمراء، والحلة: إزار ورداء، ولا تكون الحلة إلا اسماً للثوبين معاً، وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتاً لا يخالطها غيره. وإنما الحلة الحمراء: بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود، كسائر البرود اليمنية، وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط الحمر، وإلا فالأحمر البحت منهى عنه أشد النهي... وفي جواز لبس الأحمر من الثياب والجوخ وغيرها نظر، وأما كراهته فشديدة جداً، فكيف يظن بالنبي ﷺ أنه لبس الأحمر القاني، كلا لقد أعاده الله منه، وإنما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمراء، والله أعلم».

٥٧٣ - باب تغليظ الزجر عن الإسبال

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»؛ فقال أبو بكر: إن أحد شِقِّي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنك لست تصنع ذلك خيلاء»^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطراً»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٥٨٤٨)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٥) واللفظ له، ومسلم (٢٠٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٨٨)، ومسلم (٢٠٨٧).

وعنه أيضاً: قال النبي ﷺ: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجّل جُمته، إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»^(١).

وعنه أيضاً؛ عن النبي ﷺ: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار»^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: مررت على رسول الله ﷺ وفي إزاري استرخاء؛ فقال: «يا عبدالله ارفع إزارك» فرفعته. ثم قال: «زد» فزدت، فما زلت اتحرّاه بعد، فقال بعض القوم: إلى أين؟ فقال: أنصاف الساقين^(٣).

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»!

قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار. قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»^(٤).

عن أبي جُرَيْجٍ جابر بن سليم رضي الله عنه؛ قال: رأيت رجلاً

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

وله شاهد من حديث ابن عمر.

(٢) البخاري (٥٧٨٧).

(٣) مسلم (٢٠٨٦).

(٤) مسلم (١٠٦).

يصدرُ الناس عن رأيه، لا يقول شيئاً إلا صدوراً عنه. قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ. قلت: عليك السلام يا رسول الله - مرتين - قال: «لا تقل عليك السلام؛ فإن عليك السلام تحية الميت، قل: السلام عليك»، قال: قلت: أنت رسول الله ﷺ؟ قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابتك سنة فدعوته أنبتها لك، وإن كنت بأرض قفراء أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته رَدَّها عليك» قلت: اعهد إلي. قال: «لا تَسُبَّن أحداً» قال: فما سببت بعده حرّاً ولا عبداً ولا بعيراً ولا شاة، قال: «ولا تَحْقِرَنَّ شيئاً من المعروف وأن تكلّم أخاك وأنت مُنْبَسِطٌ إليه وَجْهك إن ذلك من المعروف، وارفِع إزارك إلى نصف الساقين، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإيّاك وإسبال الإزار فإنها من المَخِيلَة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعَيَّرَكَ بما يعلم فيك فلا تُعَيِّرْه بما تعلم فيه فإنما وبال ذلك عليه»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - تغليظ تحريم الإسبال في الثياب؛ فهو كبيرة من كبائر الإثم والفواحش، ولذلك استحق المسبل أن لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكيه، وله عذاب أليم.

وكذلك ما دون الكعب من القدم يعذب عقوبة لإسبال صاحبه ثوبه، ولا يستخف أحد بذلك فأهون أهل النار عذاباً رجل في ضحضاح من النار توضع جمرة في أخمص قدمه تغلي منها دماغه، عياداً بالله.

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٠٨٤)، والترمذي (٢٧٢٢)، وأحمد (٦٣/٥ و ٦٤) قلت: إسناده صحيح.

٢ - الإسبال ليس في الإزار، وإنما في القميص فلا يتعدى الرسغ، والعمامة فلا يطيل ذؤابتها حتى تصل إلى ألبتية لحديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «الإسبال في الإزار، والقميص، والعمامة، من جرّ شيئاً خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»^(١).

٣ - تحريم الإسبال خاص بالرجال دون النساء فالمرأة تجر ذيلها شبراً أو ذراعاً ولا تزيد كما في حديث ابن عمر رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»؛ فقالت أم سلمة: فكيف تصنع النساء بذيولهن؟ قال: «ترخين شبراً»؛ قالت: إذا تنكشف أقدامهن. قال: «فيرخينه ذراعاً ولا يزيدن»^(٢).

٤ - إزار المؤمن لا يتدلى دون الكعبين ولا يرتفع أعلى من أنصاف الساقين فهو فيما بينهما لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إزرة المسلم إلى أنصاف الساق ولا حرج - أو لا جناح - فيما بينه وبين الكعبين، فما كان أسفل من الكعبين فهو في النار، ومن جرّ إزاره بطراً لم ينظر الله إليه»^(٣).

٥ - لا حق للكعبين في الإزار ولذلك لا بد من بروزهما وظهورهما لحديث حذيفة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع الإزار إلى أنصاف الساقين والعضلة فإن أبيت فأسفل فإن أبيت

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٠٩٤)، والنسائي (٢٠٨/٨)، وابن ماجه (٣٥٧٦). قلت: هو صحيح.

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٤١١٩)، والترمذي (١٧٣١)، والنسائي (٢٠٩/٨). قلت: إسناده صحيح.

(٣) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٠٩٣)، وابن ماجه (٣٥٧٣). قلت: إسناده صحيح.

فمن وراء الساق ولا حق للكعبيين في الإزار»^(١).

٦ - مجرد الإسبال يدخل في الخيلاء بل هو الخيلاء، ولذلك لا يجوز للرجل أن يجاوز ثوبه كعبه ويقول: لا أفعله خيلاء، لأن النهي تناوله لفظاً فثبت حكماً، فإطالته لذيله دالة على تكبره وتجبره، ولو لم يقصد ذلك كما دل عليه حديث أبي جري جابر بن سليم؛ فإنه صريح أن الإسبال مخيلة.

ولا يصح استدلال بعضهم بقول أبي بكر: يا رسول الله إن إزاري يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، وجواب رسول الله ﷺ: «إنك لست ممن يفعله خيلاء»؛ لأن استرخاء إزار أبي بكر لا يعد إسبالاً، لأنه يتعاهده ويرفعه، ومما يقضي على هذه الشبهة ويدمغها قول رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمر عندما مر على رسول الله ﷺ وفي إزاره استرخاء؛ فقال: «يا عبدالله ارفع إزارك» فلم يسكت النبي ﷺ عن استرخاء إزار عبدالله بن عمر زاهد الصحابة بل أمره أن يرفعه، وهذا يدل على أن الإسبال ليس مقيداً بالخيلاء بل هو الخيلاء.

ناهيك أن المستدلين بقول أبي بكر السابق يتغافلون عن الفرق

(١) صحيح - أخرجه الترمذي (١٧٨٣)، والنسائي (٢٠٦/٨ - ٢٠٧) واللفظ له، وابن ماجه (٣٥٧٢)، وأحمد (٣٨٢/٥ و ٣٩٦ و ٣٩٨ و ٤٠٠ و ٤٠١)، وابن حبان (٥٤٤٥ و ٥٤٤٨)، والبيهقي في «شرح السنة» (٣٠٧٨).
من طرق عن أبي إسحاق عن مسلم بن نذير عن حذيفة.

قلت: إسناده صحيح، وأبو إسحاق وإن كان مدلساً مختلطاً فإن سفيان وشعبة روايا عنه قبل اختلاطه، وشعبة لا يرو عنه إلا ما صرح فيه بالتحديث كما هو منصوص عليه في كتب الرجال، فبروايته عنه أمناً تدلّينسه، ولله الحمد من قبل ومن بعد.

الواضح بينهم وبين أبي بكر رضي الله عنه من وجهين:

أ - أن إزار أبي بكر يسترخي دون قصد وهم يعمدون إرخاءه.

ب - أن أبا بكر زكاه القرآن ورسول الله ﷺ وأجمعت الأمة على ذلك، وهم ليسوا كذلك.

٧ - من صلى مسبلاً فليس له عند الله عهد؛ لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أسبل إزاره في صلاته خيلاء فليس من الله في حل ولا حرم»^(١).

٥٧٤ - باب النهي عن الصماء والاحتباء

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن لبستين: أن يحتبي الرجل في الثوب الواحد ليس على فرجه منه شيء، وأن يشتمل بالثوب الواحد ليس على أحد شقيه، وعن الملامسة والمنابذة»^(٢).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ نهى عن اشتمال الصماء، وأن يحتبي الرجل في ثوب واحد ليس على فرجه منه شيء»^(٣).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ: «نهى أن يأكل الرجل بشماله، أو يمشي في نعل واحدة، وأن يشتمل الصماء، وأن يحتبي في ثوب واحد كاشفاً عن فرجه»^(٤).

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٦٣٧). قلت: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٢١).

(٣) البخاري (٥٨٢٢)، ومسلم (١٥١٢).

(٤) مسلم (٢٠٩٩).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم اشتمال الصماء، وهو على قول أهل اللغة: أن يجلل جسده بالثوب لا يرفع منه جانباً ولا يبقى ما يخرج منه يده، ولذلك سميت الصماء؛ لأنه يسد المنافذ كلها فتصير كالصخرة الصماء التي ليس فيها خرق.

وعلى قول أهل الفقه: أن يلتحف بالثوب ثم يرفعه من أحد جانبيه، فيضعه على منكبيه فيصير فرجه بادياً.

قلت: والظاهر أنهما يجتمعان.

٢ - تحريم الاحتباء في ثوب واحد وهو: أن يقعد على أليته، وينصب ساقيه، ويلف عليه ثوبه؛ لئلا تنكشف عورته.

٥٧٥ - باب تحريم افتراش جلود النمار والسباع وركوبها

عن معاوية رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تركبوا الخنزير^(١) ولا النمار^(٢)»^(٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «لا تصحب الملائكة رُفقة فيها جلدُ نمر»^(٤).

عن خالد قال: وفد المقدام بن معد يكرب، وعمرو بن الأسود،

(١) الحرير.

(٢) جلود النمرور.

(٣) صحيح - أخرجه أبو داود (٤١٢٩)، وابن ماجه (٣٦٥٦). قلت: هو صحيح.

(٤) حسن - أخرجه أبو داود (٤١٣٠). قلت: هو حسن.

ورجل من بني أسد من أهل قنسرين إلى معاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية للمقدام: أعلمت أن الحسن بن علي توفي؟ فرجع المقدام، فقال له رجل: أتراها مصيبة؟ قال له: ولم لا أراها مصيبة، وقد وضعه رسول الله ﷺ في حجره فقال: «هذا منِّي، وحسين من علي»؟!

قال الأسدي: جمرة أطفأها الله عز وجل؛ قال: فقال المقدام: أما أنا فلا أبرح اليوم حتى أغيطك وأسمعك ما تكره، ثم قال: يا معاوية إن أنا صدقت فصدّقني، وإن أنا كذبت فكذبني. قال: أفعل. قال: فأنشدك بالله، هل سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن لبس الحرير؟ قال: نعم، قال: فأنشدك بالله هل تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس جلود السباع والركوب عليها؟ قال: نعم. قال: فوالله لقد رأيت هذا كله في بيتك يا معاوية. فقال معاوية: قد علمت أنني لن أنجو منك يا مقدام.

قال خالد: فأمر له معاوية، بما لم يأمر لصاحبيه، وفرض لابنه في المائتين، ففرقها المقدام على أصحابه.

قال: ولم يعط الأسدي أحداً شيئاً مما أخذ، فبلغ ذلك معاوية فقال: أما المقدام فرجل كريم بسط يده، وأما الأسدي فرجل حسن الإمساك لشيئه^(١).

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤١٣١)، والنسائي (١٧٦/٧ - ١٧٧).

من طريق عمرو بن عثمان حدثنا بقية عن بحير عن خالد وذكره واللفظ لأبي داود.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات، وقد صرح بقية بالتحديث عند أحمد (١٣٢/٤) حيث أخرج بعضه.

عن أبي المليح بن أسامة عن أبيه رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى عن جلود السباع»^(١).

وفي رواية: «نهى عن جلود السباع أن تُفترش».

وفي الباب عن علي، وابن عمر، وأبي ریحانة رضي الله عنهم.

● من فقه (الباب):

١ - تحريم استعمال جلود النمر والسباع وافتراشها والركوب عليها ولبسها.

٢ - تحريم التشبه بأهل الفسوق والمترفين والجبابرة المستكبرين.

٥٧٦ - باب كراهة ما زاد عن الحاجة من الفراش واللباس

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال له: «فراش للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف، والرابع للشيطان»^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - ذمّ ما زاد عن الحاجة من الفراش واللباس؛ لأنه يدخل في المباهاة والسرف والاشتغال بزخرف الحياة الدنيا.

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤١٣٢)، والنسائي (١٧٦/٧)، والترمذي (١٧٧٠)،

وأحمد (٧٤/٥ و٧٥)، والحاكم (١/١٤٨).

من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عنه به.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٨٤).

قال النووي رحمه الله في «شرح صحيح مسلم» (٥٩/١٤): «قال العلماء: معناه أن ما زاد على الحاجة فاتخاذها إنما هو للمباهاة والاختيال والإلهاء بزينه الدنيا، وما كان بهذه الصفة فهو مذموم وكل مذموم، يضاف إلى الشيطان؛ لأنه يرتضيه ويوسوس به ويحسنه ويساعد عليه.

وقيل: أنه على ظاهره، وأنه إذا كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت ومقيل، كما أنه يحصل له المبيت بالبيت الذي لا يذكر الله تعالى صاحبه عند دخوله عشاء».

٢ - ذهب الخطابي إلى أن المستحب في أدب السنة مبيت الرجل وحده والمرأة وحدها، لأنه رخص لهما أن يتخذ كل منهما فراش لنفسه.

قال النووي: والاستدلال به في هذا ضعيف.

٥٧٧ - باب النهي عن ستر الجدران

عن زيد بن خالد الجهني عن أبي طلحة الأنصاري؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تماثيل». قال: فأتيت عائشة؛ فقلت: إن هذا يخبرني: أن النبي ﷺ؛ قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تماثيل» فهل سمعت رسول الله ﷺ ذكر ذلك؟ فقالت: لا، ولكن سأحدثكم ما رأيته فعل، رأيته خرج في غزاته، فأخذت غطاءً^(١) فسترته على الباب، فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهية في وجهه، فجذب به حتى

(١) بساط ليف له خمل.

هتكته^(١) أو قَطَعَهُ ، وقال: «إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين» قالت: فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفاً، فلم يعب ذلك علي^(٢).

عن علي بن حسين مرسلًا: «نهى أن تُسْتَرَ الجدر»^(٣).

عن محمد بن كعب قال: دعي عبدالله بن يزيد إلى طعام فلما جاء رأى البيت منجداً فقعده خارجاً وبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: كان رسول الله ﷺ إذا شيع جيشاً فبلغ عقبة الوداع قال: «استودع الله دينكم وأماناتكم وخواتيم أعمالكم»؛ قال: فرأى رجلاً ذات يوم قد رفع بردة له بقطعة قال: فاستقبل مطلع الشمس وقال: «هكذا ومد يديه - ومد عفان يديه - وقال: تطالعت عليكم الدنيا (ثلاث مرات)؛ أي: أقبلت، حتى ظننا أن يقع علينا، ثم قال: أنتم اليوم خير أم إذا غدت عليكم قصعة وراحت أخرى، ويغدوا أحدكم في حلة، ويروح في أخرى، وتسترون بيوتكم كما تستر الكعبة؟!»

فقال عبدالله: أفلا أبكي وقد بقيت حتى تسترون بيوتكم كما تستر الكعبة^(٤).

(١) مزقه وأتلف الصورة التي فيه.

(٢) مسلم (٢١٠٧).

(٣) حسن لغیره - أخرجه البيهقي (٢٧٢/٧)، وقال: لهذا منقطع، وحسنه شيخنا في «الصحیحة» (٢٣٨٤) لشواهد.

(٤) صحيح - أخرجه البيهقي (٢٧٢/٧).

قلت: إسناده صحيح.

● من فقه (الباب):

١ - تحريم ستر الجدران بالسجاد وغيره؛ لأنه سرف وزينة غير مشروعة.

قال البيهقي (٢٧٣/٧): «ويشبه أن يكون ذلك لما فيه من السرف، والله أعلم».

قلت: وفي حديث عبدالله بن يزيد تنبيه آخر وهو أن لا يجوز تشبيه بيوت آحاد الناس ببيت الله، الكعبة المشرفة، مما يدل على أن كسوتها تخصصها دون غيرها من البيوت، والله أعلم.

٢ - وينبغي إنكار هذا المنكر وعدم التساهل فيه كما فعل رسول الله ﷺ، وكان بعض السلف رحمهم الله يمتنع من دخول البيوت المستورة جذرها.

قال سالم بن عبدالله: أعرست في عهد أبي، فأذن أبي الناس، وكان أبو أيوب فيمن آذناً، وقد ستروا بيتي بنجاد^(١) أخضر، فأقبل أبو أيوب فدخل، فرآني قائماً، واطلع فرأى البيت مستتراً بنجاد أخضر، فقال: يا عبدالله أئسترون الجدر؟ قال أبي - واستحيى - غلبنا النساء يا أبا أيوب، فقال: من كنت أخشى عليه أن تغلبنه النساء فلم أكن أخشى عليك أن تغلبنك، لا أطعم لكم طعاماً، ولا ادخل لكم بيتاً. ثم خرج رحمه الله^(٢).

(١) بساط يزين به البيت.

(٢) صحيح - علقه البخاري (٢٤٩/٩فتح)، ووصله الطبراني، وابن عساكر، والبيهقي وغيرهم، وانظر لزماً «فتح الباري» (٢٤٩/٩-٢٥٠)، و«تغليق التعليق» (٤٢٤/٤).

٥٧٨ - باب تحريم اتخاذ الصور في البيوت

عن أبي طلحة رضي الله عنه؛ قال: قال النبي ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير»^(١).

عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: وعد جبريل النبي ﷺ، فراث^(٢) عليه، حتى اشتدَّ على النبي ﷺ، فخرج النبي ﷺ فلقبه، فشكا إليه ما وجد، فقال: «إنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب»^(٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير»^(٤).

وفي الباب عن علي، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله وغيرهم رضي الله عنهم.

● من فقه (الباب):

١ - تحريم تعليق الصور على الجدران، وهذا مما ابتلى به أهل هذا الزمان.

٢ - البيت الذي فيه تصاوير لا تدخله ملائكة الرحمة، فيحرم أهله من الاستغفار لأهله، والدعاء لهم بالرحمة.

٣ - الملائكة الذين يمتنعون عن الدخول هم ملائكة الرحمة، أما

(١) البخاري (٥٩٤٩)، ومسلم (٢١٠٦).

(٢) تأخر وأبطأ.

(٣) البخاري (٥٩٦٠) وله شاهد من حديث عائشة وميمونة.

(٤) أخرجه مسلم (٢١١٢).

الحفظة فهم لا يفارقون العباد، وكذلك ملائكة العذاب إذا حل لا يمتنعون، وكذلك ملك الموت إذا حان الأجل، والله أعلم.

٤ - يشترك في التحريم كل أنواع التصاوير سواء كانت رسماً باليد أو فوتوغرافية.

٥ - التصاوير المحرمة هي ذوات الأرواح.

٦ - الصورة الممتهنة التي يجوز استخدامها هي التي مزقت، وغيّرت هيئتها، والله أعلم.

٥٧٩ - باب النهي عن التزعفر والمعصفر للرجال

عن أنس رضي الله عنه؛ قال: «نهى النبي ﷺ أن يتزعفر^(١) الرجل»^(٢).

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «ثلاثة لا تقربهم الملائكة: جيفة الكافر، والمتضمخ بالخلوق^(٣)، والجنب إلا أن يتوضأ»^(٤).

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «ثلاثة لا

(١) يصبغ ثوبه أو يطلي جسمه بالزعفران، وهو نبات ذو لون أصفر يصبغ به.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٤٦)، ومسلم (٢١٠١).

(٣) طيب يتخذ من الزعفران وغيره.

(٤) حسن لغيره - أخرجه أبو داود (٤١٨٠). قلت: رجال إسناده ثقات لكنه منقطع،

لأن الحسن البصري لم يسمع من عمار.

ولكن له شواهد من حديث عبدالرحمن بن سمرة، وبريدة بن الحصيب، وفيهما ضعف؛ كما بينه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٥٦/٥) لكنه يتقوى بهما؛ فالحديث حسن لغيره.

تقربهم الملائكة: الجنب، والسكران، والمتضمخ بالخلوق»^(١).

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما؛ قال: رأى رسول الله ﷺ عليّ ثوبين معصفرين؛ فقال: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسهما». وفي رواية: «أأمك أمرتك بهذا؟» قلت: أغسلهما؛ قال: «بل احرقهما»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - تحريم أن يتزعفر الرجل في ثوبه أو بدنه أو يلبس الثياب المعصفرة، لأن ذلك من طيب النساء وزينتهن.

٢ - هذا النهي خاص بالرجال؛ لأن الثياب المصبوغة بذلك مما يتزين به النساء.

٣ - تحريم التشبه بالنساء والكفار للمحافظة على شخصية الرجل المسلم، والأمة المسلمة متميزة في كل شؤونها وأحوالها.

٤ - كل الأحاديث الواردة في إباحة ذلك محمولة على ما قبل النهي؛ فهي منسوخة.

٥٨٠ - باب تحريم صبغ الشيب بالسواد

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه؛ قال: أتني بأبي قحافة يوم فتح مكة، ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً؛ فقال رسول الله ﷺ: «غَيِّرُوا

(١) صحيح - أخرجه البزار (٢٩٣٠). قلت: هو صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٧٧) (٢٨).

والرواية الأخرى عنده (٢٠٧٧) (٢٨).

هَذَا بَشِيءٌ وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ»^(١).

عن أنس رضي الله عنه؛ قال: جاء أبو بكر بأبي قحافة إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «لو أقررت الشيخ في بيته لأتينا» تَكْرَمَةً لأبي بكر. قال: فأسلم ورأسه ولحيته كالثغامة البيضاء؛ فقال رسول الله ﷺ: «غَيِّرُوهُمَا وَجَنِّبُوهُ السَّوَادَ»^(٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢١٠٢) (٧٩) من طريق أبي الزبير وقد عنعنه في جميع الطرق التي وقفت عليها، ولكن يشهد له حديث أنس الذي بعده.

وأما ما وقع في «المسند» (٣/٣١٦ و ٣٢٢)، وابن ماجه (٣٦٢٤) من طريق ليث عن أبي الزبير عن جابر؛ فقد وقع ليث غير منسوب، وقد نص المزي في «تحفة الأشراف» (٢/٣٤٢)، والبوصيري في «مصابيح الزجاج» (ق ٢٢٥/ب) على أنه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

وقد ظنه شيخنا حفظه الله في «غاية المرام» (١٠٥) الليث بن سعد؛ فصحيح الإسناد؛ لأن الليث بن سعد لا يروي عن أبي الزبير إلا ما سمع من جابر.

(٢) صحيح - أخرجه أحمد (٣/١٦٠)، وابن حبان (٥٤٧٢)، وأبو يعلى (٢٨٣١)، والحاكم (٣/٢٤٤) وغيرهم.

من طريق محمد بن سلمة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عنه به. قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات، وقال الحاكم على شرط البخاري، ووافقه الذهبي وهو على شرط مسلم؛ فإن محمد بن سلمة لم يخرج له البخاري.

(٣) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٢١٢)، والنسائي (٨/١٣٨)، وأحمد (١/٢٧٣)، =

● من فقه (الباب)

١ - استحباب خضاب الشعر وصبغه، ولكن ينبغي مخالفة أهل الكتاب لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم»^(١).

وفي رواية: «غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود والنصارى»^(٢).

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (١/١٤٨): «يدل على أن العلة في شرعية الصباغ وتغيير الشيب هي مخالفة اليهود والنصارى، وبهذا يتأكد استحباب الخضاب».

٢ - ولكن يحرم تغيير الشيب باللون الأسود كما دلت عليه أحاديث الباب.

= والبغوي في «شرح السنة» (٣١٨٠)، والطبراني (١٢٢٥٤)، وابن سعد في «الطبقات» (١/٤٤١)، والبيهقي (٣١١/٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٦٩٩) وغيرهم.

من طريق عبيد الله عن عبد الكريم هو الجزري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قلت: إسناده صحيح.

تنبيه: أوردته ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/٥٥) ظناً منه أن عبد الكريم هو ابن أبي المخارق الكذاب فأخطأ، وإنما هو عبد الكريم الجزري الثقة، وقد رد عليه الحافظ ابن حجر في «القول المسدد».

(١) البخاري (٥٨٩٩)، ومسلم (٢١٠٣).

(٢) حسن - أخرجه أحمد (٢/٢٦١ و٤٩٩)، وابن حبان (٥٤٧٣)، والبغوي (٣١٧٥) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة. قلت: إسناده حسن.

٥٨١ - باب النهي عن الترجل كل يوم

عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه ؛ قال : « نهى رسول الله ﷺ عن التَّرجُل (١) إلا غباً (٢) » (٣).

عن حميد بن عبدالرحمن الحميري ؛ قال : لقيت رجلاً صحب النبي ﷺ كما صحبه أبو هريرة ؛ قال : « نهى رسول الله ﷺ أن يمتشط أحدنا كل يوم أو أن يبول في مغتسله » (٤).

عن عبدالله بن شقيق ؛ قال : كان رجل من أصحاب النبي ﷺ عاملاً بمصر ، فأتاه رجل من أصحابه ، فإذا هو شعث (٥) الرأس مشعان (٦) ؛ قال : ما لي أراك مُشعناً وأنت أمير ؟ قال : « كان نبي الله ﷺ ينهانا عن الإرفاه » قلنا : وما الإرفاه ؟ قال : « الترجل كل يوم » (٧).

● من فقه (الباب):

١ - كراهة المداومة على الترجل والإفراط في التنعم من التدهين ،

(١) تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه .

(٢) يوماً بعد يوم .

(٣) صحيح - أخرجه (٤١٥٩) ، والترمذي (١٧٥٦) ، والنسائي (١٣٢/٨) ، وأحمد

(٨٦/٤) ، والبيهقي (٣١٦٥) ، وابن حبان (٥٤٨٤) وغيرهم . قلت : إسناده رجاله

ثقات إلا أن الحسن عننه ، ويشهد له ما بعده .

(٤) سبق تخريجه (٢٩٣/١) .

(٥) متفرق الشعر .

(٦) متنفش الشعر نائر الرأس .

(٧) صحيح - أخرجه النسائي (١٣٢/٨) بإسناد صحيح .

وله طريق آخر عن عبدالله بن يريدة أخرجه أبو داود (٤١٦٠) ، والنسائي

(١٨٥/٨) ، وأحمد (٢٢/٦) وإسناده حسن .

لأنه من عادة المترفين.

٢ - خصوصية الفعل يوماً والترك يوماً ليست مرادة.

قال البغوي في «شرح السنة» (٨٣/١٢): «معناه: الترجل كل يوم، وأصل الإرفاء من الرفه، وهو أن ترد الإبل الماء كل يوم، ومنه أخذت الرفاهية، وهي الخفض والدعة، فكره النبي ﷺ الإفراط في التنعم من التدهين والترجل، وفي معناه مظاهره اللباس على اللباس، والطعام على ما هو عادة الأعاجم، وأمر بالقصد في جميع ذلك، وليس معناه ترك الطهارة والتنظيف، فإن النظافة من الدين».

قال السندي في «حاشيته على سنن النسائي» (٨/١٣٢): «والمراد كراهة المداومة عليه وخصوصية الفعل يوماً والترك يوماً غير مراد».

٥٨٢ - باب تغليظ تحريم تغيير خلق الله بالوصل

والنمص والوشم والوشر

قال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَاوْا إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا * لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا يُخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيتْهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيَلْبَسْنَاهُ أَذَاتَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَئِيَهُمْ فَلْيَعْبَرُوا بِخَلْقِ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٧ - ١١٩].

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ؛ فقالت: إني أنكحت ابنتي ثم أصابها شكوى فتمزق رأسها، وزوجها يستحثني بها، أفأصل رأسها؟ «فسب رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٥٩٣٥)، ومسلم (٢١٢٢).

وله شاهد من حديث عائشة متفق عليه نحوه.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ: «لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة»^(١).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: لعن الله الواشحات والمستوشحات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى، ما لي لا ألعن من لعن النبي ﷺ وهو في كتاب الله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]^(٢).

عن حميد بن عبدالرحمن أنه سمع معاوية رضي الله عنه عام حج وهو على المنبر وهو يقول - وتناول قُصَّة^(٣) من شعر كانت بيد حَرْسِي^(٤) - فقال: يا أهل المدينة أين علماءكم؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذه، ويقول: «إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم»^(٥).

● من فقه الباب:

- ١ - تحريم وصل الشعر، ومن ذلك ما يسمى «الباروكة».
- ٢ - تحريم الوشم، وهو: غرز الإبرة أو المسلة أو نحوهما في ظهر الكف أو المعصم أو الشفة أو غير ذلك من بدن المرأة حتى يسيل الدم، ثم تحشو ذلك الموضع بالكحل أو النيل؛ فيخضر.

(١) البخاري (٥٩٣٧)، ومسلم (٢١٢٤).

وله شاهد من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٣١)، ومسلم (٢١٢٥).

(٣) خصلة من شعر.

(٤) غلام الأمير كالشرطي.

(٥) أخرجه البخاري (٥٩٣٢)، ومسلم (٢١٢٧).

- ٣ - تحريم النمص، وهو: إزالة الشعر ونتفه من الجسد مطلقاً إلا ما استثنى بدليل؛ كالإبط، والعانة، ولا يختص بالحاجب والوجه.
- ٤ - تحريم التفلج أو الوشر، وهو: فرجة بين الثنايا والرباعيات، والمراد أن يفرج بين الأسنان المتلاصقة بالمبرد ونحوه.
- ٥ - المعين على الحرام يشارك فاعله في الإثم، ولذلك استحق الفاعل والمفعول به اللعن وهما سواء في الوزر.
- ٦ - علة تحريم ذلك كله هو تغيير خلق الله، وهو من أمر الشيطان، وهو يعلل وجوب اللعن الدال على تغليظ الحرمة.

٥٨٣ - باب تحريم القزع

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع»^(١).

● من فقه (الباب):

- ١ - تحريم القزع، وهو: حلق بعض الرأس مطلقاً بحيث يترك بناصيته شعره، أو حلق بعض رأس الصبي ويترك بعض.
- ٢ - السنة حلق الرأس كله أو تركه كله؛ لحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: رأى رسول الله ﷺ صبيّاً قد حلق بعض شعر رأسه وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك وقال: «احلقوه كله أو اتركوه كله»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٩٢١)، ومسلم (٢١٢٠).

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٤١٩٥)، والنسائي (١٣٠/٨). قلت: إسناده صحيح.

٥٨٤ - باب تحريم الوسم في الوجه

عن جابر رضي الله عنه؛ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه، وعن الوسم^(١) في الوجه»^(٢).

وعنه أن النبي ﷺ مرَّ عليه حمار قد وُسم في وجهه؛ فقال: «لعن الله الذي وسمه»^(٣).

عن ابن عباس رضي الله عنهما: رأى رسول الله ﷺ حماراً موسوم الوجه فأنكر ذلك. قال: «فوالله لا أسمه إلا في أقصى شيء من الوجه فأمر بحمار له فكوى في جاعرتيه، فهو أول من كوى الجاعرتين»^(٤)^(٥).

عن أنس رضي الله عنه؛ قال: رأى رسول الله ﷺ حماراً موسوماً في وجهه فقال: «لعن الله من فعل هذا»^(٦).

● من فقه الباب:

١ - تحريم وسم الوجه سواء أكان في الآدمي أم غير الآدمي وهو

(١) أثر الكية.

(٢) أخرجه مسلم (٢١١٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢١١٧).

(٤) حرفا الورك المشرفان مما يلي الدبر.

(٥) أخرجه مسلم (٢١١٨).

(٦) صحيح - أخرجه البزار (٢٠٦٥ - كشف الأستار)، والطبراني في «الأوسط»

(٤٢٩٢). من طريق عبد الله بن المثنى قال: نا ثمامة بن عبدالله بن أنس عن أنس

وذكره.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

من الكبائر، لأن فاعله استحق اللعن.

٢ - جواز وسم الحيوانات في غير الوجه.

٣ - تحريم الضرب في الوجه.

٥٨٥ - باب تحريم نتف الشيب

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تنتفوا الشيب، ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كانت له نوراً يوم القيامة»^(١).

وفي رواية: «إلا كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها خطيئة».

● منه فقه (الباب)

١ - تحريم نتف الشيب من الرأس واللحية والشارب وغيرهم؛ فعن أنس رضي الله عنه؛ قال: يكره أن ينتف الرجل الشعرة البيضاء من رأسه ولحيته^(٢).

قلت: الكراهة في مصطلح السلف الأول تعني التحريم.

٢ - الشيب نور وبهاء في الآخرة، ووقار وهيبة في الدنيا

٣ - نتف الشيب نوع من التدليس والتزوير.

٤ - الشيب نذير للمرء فهو أمانة على طول العمر والشيخوخة،

(١) حسن - أخرجه أبو داود (٤٢٠٢)، والترمذي (٢٨٢١)، والنسائي (١٣٦/٨)، وابن ماجه (٣٧٢١)

قلت: إسناده حسن.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤١) (١٠٤).

فعندما يراه العبد ينبغي أن يتذكر الآخرة، ويقلّع عن المعاصي، ويستعد للقاء ربه، نسأل الله يُمَنّ القدوم عليه.

٥٨٦ - باب الزجر عن إعفاء الشارب

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يأخذ من شاربه فليس منا»^(١).

● من فقه الباب:

١ - قال السندي في «حاشيته على النسائي» (٨/١٣٠): «تهديد شديد وتغليظ في حق التارك، وتأويله بأنه ليس من أهل سنتنا مشهور».

٢ - ترك الشارب دون الأخذ منه حين يحتاج إلى ذلك من سنن اليهود والنصارى والمجوس، ومخالفتهم واجبة، وموافقتهم والتشبه بهم ضلال.

٣ - ينبغي لا يتجاوز ترك الشارب أربعين يوماً لدخوله في خصال الفطرة، وقد وقت رسول الله ﷺ لها بذلك.

عن أنس رضي الله عنه: «وُقت لنا في قص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة، أن لا تترك أكثر من أربعين

(١) صحيح - أخرجه الترمذي (٢٧٦١)، والنسائي (١٥/١ و ٨/١٢٩ - ١٣٠)، وأحمد (٤/٣٦٦ و ٣٦٨)، وابن أبي شيبة (٨/٥٦٤ - ٥٦٥)، والقضاعي في «الشهاب» (٣٥٦ - ٣٥٨)، وابن حبان (٥٤٧٧)، والطبراني في «الكبير» (٥٠٣٣ - ٥٠٣٦)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/٢٣٣) وغيرهم.

من طريق يوسف بن صهيب عن حبيب بن يسار عن زيد بن أرقم به.
قلت: إسناده صحيح.

ليلة^(١).

وفي رواية: «وَقَّتْ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ».

٤ - يكون الأخذ من الشارب بإنهاكه مبالغة في قص ما طال على الشفة لا حلقه كله، فإن ذلك بدعة ومخالفة لسنة رسول الله ﷺ العملية وهدى السلف الصالح.

ذكر مالك بن أنس إحياء بعض الناس شواربهم؛ فقال: ينبغي أن يضرب من صنع ذلك، فليس في حديث النبي ﷺ في الإحياء ولكن يُبدي حرف الشفتين والقم. وقال: حلق الشارب بدعة ظهرت في الناس^(٢).

٥٨٧ - باب كراهية كثرة الشعر

عن وائل بن حجر رضي الله عنه؛ قال: أتيت النبي ﷺ ولي شعر طويل فلما رأيته رسول الله ﷺ؛ قال: «ذباب ذباب»^(٣)؛ قال: فرجعت فجزرته، ثم أتيت من الغد، فقال: «إني لم أعنك، وهذا أحسن»^(٤).

عن سهل بن الحنظلية؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل خريم الأسدي لولا طول جُمته وإسبال إزاره» فبلغ خريماً، فعَجَلَ فأخذ شفرة فقطع بها جُمته إلى أذنيه، ورفع إزاره إلى أنصاف

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨).

(٢) أخرجه البيهقي (١٥١/١).

(٣) شر وشؤم دائم.

(٤) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٦٣٦)، والنسائي (١٣٥/٨)، وابن ماجه (٤١٩٠).

قلت: هو صحيح.

ساقية^(١).

● من فقه (الباب):

١ - كراهية كثرة الشعر وتطويله؛ فإن الشعر إذا بلغ المنكبين فهو الجمّة، فإن طال الأذن ولم يبلغ الكتفين فهو اللّمة، وإن وصل شحمة الأذنين فهو الوفرة

٢ - كان شعر رسول الله ﷺ لَمّة؛ بين أذنيه ومنكبيه، دون الجمّة وفوق الوفرة؛ كما ثبت في حديث أنس وعائشة رضي الله عنهما.

٣ - قال البغوي في «شرح السنة» (١٢/١٠١): «هذا في حق الرجال أما النساء؛ فإنهن يرسل شعورهن ولا يتخذن جُمّة».

٥٨٨ - باب تحريم عقد اللحية

عن رويفع بن ثابت رضي الله عنه: أن النبي ﷺ؛ قال: «يا رويفع لعل الحياة ستطول بك بعدي، فأخبر الناس أنه من عقد لحيته أو تقلد وترأ أو استنجد برجيع دابة أو عظم فإن محمداً يرى منه»^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم عقد اللحية، وهو: معالجتها حتى تنعقد وتجعّد، أو قتلها كقتل الأعاجم.

(١) حسن إن شاء الله - أخرجه أبو داود (٤٠٨٩)، وأحمد (٤/١٧٩ - ١٨٠)، والحاكم (٤/١٨٣).

قلت: إسناده حسن إن شاء الله؛ كما بينته في «بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين» (٢/٩٤).

(٢) سبق تخريجه (١/٩٢).

٥٨٩ - باب تحريم لبس الذهب على الرجال

عن ابن أبي ليلى؛ قال: كان حذيفة بالمدائن فاستسقى، فأتاه دهقان بماء في إناء من فضة فرماه به، وقال: إني لم أرمه إلا أنني نهيته فلم ينته، قال رسول الله ﷺ: «الذهب والفضة والحريز والديباج هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة»^(١).

عن البراء بن عازب رضي الله عنه؛ قال: أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا باتباع الجنائز، وعيادة المريض، وإجابة الداعي، ونصر المظلوم، وإبرار القسم، وردّ السلام، وتشميت العاطس، ونهانا عن آنية الفضة، وخاتم الذهب، والحريز، والديباج، والقسي، والإستبرق»^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «أنه نهى عن خاتم الذهب»^(٣).

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل؛ فتزعه فطرحه وقال: «يعمد أحدكم إلى جمره من نار فيجعلها في يده» ف قيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به. قال: لا، والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ^(٤).

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى

(١) سبق تخريجه (ص ١٩٩).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٩٩ - ٢٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٦٤)، ومسلم (٢٠٨٩).

(٤) مسلم (٢٠٩٠).

عن لبس القسِّيِّ والمعصفر، وعن تختم الذهب، وعن قراءة القرآن في الركوع»^(١).

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ اصطنع خاتماً من ذهب، فكان يجعل فَصَّهُ في باطن كفه إذا لبسه، فصنع الناس، ثم إنّه جلس على المنبر فنزعه، فقال: «إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصه من داخل» فرمى به ثم قال: «والله لا ألبسه أبداً» فنبذ الناس خواتيمهم^(٢).

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أبصر في يده خاتماً من ذهب، فجعل يقرعه بقضيب معه، فلما غفل النبي ﷺ ألقاه، فنظر النبي ﷺ فلم يره في يده، فقال: «ما أرانا إلا قد أوجعناك وأغرمناك»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٠٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٦٨)، ومسلم (٢٠٩١) واللفظ له.

(٣) صحيح - أخرجه النسائي (١٧١/٨)، وأحمد (١٩٥/٤)، وابن سعد (٤١٦/٧)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٤٠٠/١). عن النعمان بن راشد عن الزهري عن عطاء بن يزيد عنه به.

قلت: إسناده ضعيف؛ لأن النعمان سيء الحفظ.

لكن تابعه عبدالرحمن بن راشد عند المحاملي (٥٠١).

قال النسائي: خالفه يونس رواه عن الزهري عن أبي إدريس مرسلاً وساقه بسنده ثم قال: وحديث يونس أولى بالصواب من حديث النعمان.

قلت: إسناده صحيح مرسلاً، وقد ذكره الحافظ في «فتح الباري» (٣١٧/١٠) موصولاً ولم يذكر من خرجه وهو في (٥٨٩) أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب =

عن سالم بن أبي الجعد عن رجل منا من أشجع قال: «رأى رسول الله ﷺ عليّ خاتماً من ذهب فأمرني أن أطرحه، فطرحته إلى يومي هذا»^(١).

وفي الباب عن عمر، وعمران، وعبدالله بن عمرو، وبريدة، وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم.

● من نقه (الباب):

١ - أحاديث الباب نص في تحريم الذهب وبخاصة الخاتم على الرجال.

٢ - أن ما روى من لبسه ﷺ لبس خاتم الذهب منسوخ.

قال البغوي في «شرح السنة» (٥٧/١٢ - ٥٨) معلقاً على حديث ابن عمر رضي الله عنه: «هذا الحديث يشتمل على أمرين تبدل الحكم فيهما من بعد:

أحدهما: لبس خاتم الذهب، وصار الحكم إلى التحريم في حق الرجال.

والثاني: لبس الخاتم في اليمين، وكان آخر الأمرين من النبي ﷺ لبسه في اليسار».

وقال الحافظ في «فتح الباري» (٣١٨/١٠): «وفي حديث ابن

= قال أخبرني أبو إدريس الخولاني أن رجلاً ممن أدرك رسول الله ﷺ وبذلك يضح

الحديث، لأن جهالة الصحابي لا تضر، والله أعلم.

(١) صحيح - أخرجه أحمد (٢٦٠/٤). قلت: إسناده صحيح.

عمر ما يستدل به على نسخ جواز لبس الخاتم إذا كان من ذهب».

٣ - يجوز بيع خاتم الذهب والانتفاع بثمنه، ولذلك قال الصحابة للرجل: خذ خاتمك انتفع به.

٥٩٠ - باب النهي عن الخاتم في السبابة والوسطى

عن علي قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا علي سل الله الهدى والسداد»، ونهاني أن أجعل الخاتم في هذه وهذه، وأشار يعني السبابة والوسطى^(١).

● من فقه (الباب):

١ - النهي عن وضع الخاتم في السبابة والوسطى.

٢ - وردت أحاديث تدل على التختم في اليمين وأخرى في الشمال، وقد اختلف فيها أهل العلم خلافاً كبيراً؛ كما نقله الحافظ في «فتح الباري» (٣٢٧/١٠) وَرَجَّحَ جواز الأمرين، وهذا ما ذهب إليه شيخنا حفظه الله في «مختصر الشرائع المحمدية» (ص ٦٢).

٥٩١ - باب تحريم لبس خاتم الحديد الخالص

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ رأى على بعض أصحابه خاتماً من ذهب فأعرض عنه، فألقاه، واتخذ خاتماً من حديد فقال: «هَذَا شَرٌّ، هَذَا حَلِيَّةُ أَهْلِ

(١) صحيح - أخرجه النسائي (١٧٧/٨ و ١٩٤)، وابن ماجه (٣٦٤٨)، وأحمد (٧٨/١)

و ١٠٩ و ١٣٤ و ١٣٨)، وابن حبان (٥٥٠٢) وغيرهم.

قلت: إسناده صحيح، وأصله في صحيح مسلم (٢٠٧٨) (٦٥).

النار»^(١)؛ فألقاه فاتخذ خاتماً من ورق فسكت عنه.

● من فقه الباب:

١ - تحريم لبس خاتم الحديد، لأنه جعله شراً من خاتم الذهب، وممن ذهب إلى تحريم لبس خاتم الحديد عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فقد رأى على رجل خاتماً من ذهب، فأمره أن يلقيه، فقال زياد: يا أمير المؤمنين إن خاتمي من حديد؛ قال: ذلك أنتن أنتن^(٢).

وممن ذهب أيضاً من الأئمة الإمام مالك كما قال ابن وهب: وقال لي مالك بن أنس في التختم بالحديد والنحاس؛ قال: لم أزل أسمع أن الحديد مكروه فأما غيره فلا^(٣).

وكذلك الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه كما في «مسائل المروزي» (ص ٤٢٤):

قال إسحاق بن منصور المروزي لأحمد: الخاتم ذهب أو حديد يكره؟ فقال: إي والله. قال إسحاق: كما قال.
والكراهة المرادة في كلام الأئمة هي التحريم، والله أعلم.

(١) صحيح لغيره - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٤١)، وأحمد (١٦٣/٢). قلت: إسناده حسن.

وله طريق آخر عند أحمد (٦٩٧٧) وفيها عبدالله بن مؤمل فيه ضعف من قبل حفظه.

فالحديث بمجموع ذلك صحيح.

وله شواهد من حديث عمر، وبريدة، وجابر رضي الله عنهم.

(٢) صحيح - أخرجه عبدالرزاق (١٩٤٧٣) بإسناد صحيح. وأخرجه ابن وهب (٥٩١) ٥٩٢ و ٥٩٥ من طرق أخرى عنه وفيها ضعف.

(٣) انظر «الجامع» لابن وهب (٦٠١) وإسناده صحيح.

٢ - ما ورد في «الصحيحين» من حديث سهل بن سعد في قصة الواهبة: أن النبي ﷺ؛ قال لرجل خطب امرأة لا يملك مهرأ لها: «التمس ولو خاتماً من حديد»، لا يدل على إباحة الحديد كما قال الحافظ في «فتح الباري» (٣٢٣/١٠): «استدل به على جواز لبس خاتم الحديد، ولا حجة فيه لأنه لا يلزم من جواز الاتخاذ جواز اللبس، فيحتمل أنه أراد وجوده لتنتفع المرأة بقيمته».

قلت: ويدل على هذا أن خاتم الذهب حرام لبسه على الرجال، ولكن يجوز الانتفاع بقيمته كما تقدم.

٣ - وأما حديث معقيب رضي الله عنه؛ قال: «كان خاتم النبي ﷺ حديداً ملوياً عليه فضة، قال: وربما كان في يدي، قال: وكان معقيب على خاتم رسول الله ﷺ»^(١) فلا يعارض حديث الباب لأن التحريم يحمل على ما كان حديداً خالصاً.

قال الحافظ في «فتح الباري» (٣٢٣/١٠): «إن كان محفوظاً حمل المنع على ما كان حديداً صرفاً».

٤ - وأما حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً وفيه: فماذا أتختم؟ قال: «حلقة من حديد أو ورق أو صفر»؛ فضعيف، ضعفه الحافظ ابن رجب، وشيخنا.

٥٩٢ - باب الزجر عن المشي في نعل واحدة

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «لا يمش أحدكم في نعل واحدة ليُحْفَهما أو ليُنْعَلهما

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٢٢٤)، والنسائي (١٧٥/٨) بسند صحيح.

جميعاً»^(١).

وعنه عن رسول الله ﷺ: «إذا انقطع شسع»^(٢) أحدكم فلا يمش في الأخرى حتى يصلحها»^(٣).

وعنه أيضاً: أن رسول الله ﷺ نهى عن المشي في النعل الواحدة، وقال: «إن الشيطان يمشي بالنعل الواحدة»^(٤).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا انقطع شسع أحدكم، أو من انقطع شسع نعله فلا يمش في نعل واحدة حتى يصلح شسعه، ولا يمش في خفٍّ واحد، ولا يأكل بشماله، ولا يحتبي بالثوب الواحد، ولا يلتحف الصماء»^(٥).

وفي الباب عن أبي سعيد الخدري.

(١) البخاري (٥٨٥٥)، ومسلم (٢٠٩٧) (٦٨).

(٢) هو أحد سيور النعل.

(٣) مسلم (٢٠٩٨).

(٤) أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١٣٥٨).

قلت: إسناده صحيح؛ كما بينه شيخنا في «الصحيحة» (٣٤٨)، وقال حفظه الله: «فخذها فائدة غزيرة ربما لا تراها في غير هذا المكان، يعود الفضل فيها إلى الإمام أبي جعفر الطحاوي، فهو الذي حفظها لنا بإسناد صحيح في كتابه دون عشرات الكتب الأخرى لغيره».

قلت: وهذا كله بعد فضل الله ومثله فهو الذي قيض للسنة من يحفظها، وفي هذا المقام ما يدل على أن كتب السنة لا يغني بعضها عن بعض، لأنك تجد في بعضها ما لا تجده في الآخر، والله أعلم.

(٥) مسلم (٢٠٩٩) (٧١).

● من فقه الباب:

- ١ - تحريم المشي في النعل الواحدة؛ لأنها مشية الشيطان.
- ٢ - المشي وإحدى الرجلين في نعل، والأخرى حافية، يعارض ما شرعت النعل له وهو الوقاية من الأذى كالشوك وغيره ولذلك شبه رسول الله ﷺ المتنعل بالراكب ولا يزال الرجل راكباً ما انتعل، فإذا انفردت إحدى الرجلين احتاج الماشي أن يتوقى لأحد رجله ما لا يتوقى للأخرى؟ فيخرج بذلك عن عادته في المشي، ولا يأمن مع ذلك العثار، وهذا يؤدي إلى الإخلال بالوقار، فينسب صاحبه إلى اختلال الرأي وضعفه بل يصبح مثاراً للسخرية والاستهزاء.
- ٣ - حصول خلل في النعل لا يسوغ المشي في نعل واحدة بل ينبغي التحفي حتى يصلحها.
- ٤ - ويلحق بالنعلين الخفين، فلا يجوز المشي في خف واحدة كما دل حديث جابر.
- ٥ - وقد يدخل في هذا كل لباس شفع، إذ الأصل العدل بين الجوارح، لأن ذلك من حق بدنك عليك فأعط كل ذي حق حقه، والله أعلم.
- ٦ - ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه مشى في نعل واحدة لا يصح.
- ٧ - ما ثبت عن عائشة أنها كانت تنكر على أبي هريرة ما رواه في الباب يحمل على أنه لم يبلغها النهي.
- ٨ - ما روي عن بعض السلف أنهم مشوا في نعل واحدة لا حجة فيه، لأنه يخالف السنة، ويعتذر لهم بأنهم لم يبلغهم النهي أو تأولوا

ذلك في المشي اليسير حتى يصلحها.

٥٩٣ - باب النهي عن الانتعال قائماً

عن جابر رضي الله عنه؛ قال: «نهى رسول الله ﷺ أن ينتعل الرجل قائماً»^(١).

● من نقه (الباب):

- ١ - كراهة الانتعال قائماً، واستحباب القعود عند الانتعال.
- ٢ - قال المناوي في «فيض القدير» (٦/٣٤١): «والأمر للإرشاد؛ لأن لبسها قاعداً أسهل وأمكن، ومنه أخذ الطيبي وغيره تخصيص النهي بما لبسه قائماً تعب كالتاموسة والخف لا كقبقيب وسرموزة».

(١) صحيح بشواهده - أخرجه أبو داود (٤١٣٥).

قلت: إسناده فيه ضعف؛ لأن أبا الزبير مدلس وقد رواه معنعناً عن جابر. لكن للحديث شواهد عن ابن عمر، وأنس، وأبي هريرة رضي الله عنهم وقد تكلم عليها شيخنا في «الصحيحة» (٧١٩)، وانفصل أن الحديث صحيح بمجموع طرقه.

(٥٦) كتاب الأدب

٥٩٤ - باب تغليظ تحريم قطيعة الرحم والبغي

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامُكُمْ ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿ [محمد: ٢٢، ٢٣].

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قاطع»^(١).

قال سفيان في روايته: يعني قاطع رحم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب. قال: فهو لك، قال رسول الله ﷺ: فاقروا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامُكُمْ ﴾»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٧)، ومسلم (٢٥٥٤).

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ؛ قال: «الرحم شجنة فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»^(١).

عن النبي ﷺ: «من قطع رحماً، أو حلف على يمين فاجرة رأى وباله قبل أن يموت»^(٢).

عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»^(٣).

● من فقه الباب:

- ١ - تغليظ تحريم قطيعة الرحم.
- ٢ - قطيعة الرحم سبب في التولي والإعراض عن الذكر، وسبب في الفساد والإفساد.
- ٣ - قطيعة الرحم ألم وعذاب في الدنيا، وإثم وشدة وكره وحساب في الآخرة.
- ٤ - كل ذنب ربما أمهلت عقوبته إلا قطيعة الرحم والبغي، فإن عقوبتهما معجلة في الدنيا قبل الآخرة.
- ٥ - البغي يصرع أهله لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥).

(٢) صحيح بمجموع طرقه - «الصحيفة» (١١٢١).

(٣) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٧)، وابن المبارك في «الزهد»

(٧٢٤)، وأبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٤٥١١)، وابن ماجه (٤٢١١)، وأحمد

(٣٦/٥، ٣٨)، والحاكم (٣٥٦/٢ و ١٦٢/٤ - ١٦٣) وغيرهم.

قلت: إسناده صحيح.

[يونس: ٢٣].

ومنه قال الشاعر:

ألم تر أن البغي يصرع أهله وأن على الباغي تدور الدوائر

٥٩٥ - باب تغليظ تحريم عقوق الوالدين

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(١).

عن أبي بكرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال ثلاثاً: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين. وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور. ألا وقول الزور، وشهادة الزور»، فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر؛ أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة»^(٣).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق والديه، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٥)، ومسلم (١٧١٥) (١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).

(٣) مسلم (٢٥٥١).

(٤) سبق تخريجه (ص ١٩٦).

عن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي والعقوق»^(١).

وفي الباب عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

● من فقه الباب:

١ - تغليظ تحريم عقوق الوالدين، وإنه من أكبر الكبائر، وخص الأمهات بالذكر لضعفهن وشدة حاجتهن، ولأن الإحسان إليهن مقدم على الإحسان للآباء.

٢ - من عقوق والديه، استوجب عقاب الله في الآخرة والعقوبة في الدنيا.

٥٩٦ - باب الزجر عن السباب

عن أبي جري جابر بن سليم رضي الله عنه؛ قال رسول الله ﷺ: «لا تَسَبَّنْ أحداً»؛ قال: فما سببت بعده حُرّاً ولا عبداً، ولا بغيراً، ولا شاة؛ وقال: «ولا تحقرن من المعروف شيئاً، وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساقين، فإن أبيت فإلى الكعيين، وإياك وإسبال الإزار؛ فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعيّرَكَ بما يعلم فيك فلا تُعَيِّرْهُ بما تعلم فيه، فإنّما وبأل ذلك عليه»^(٢).

عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا

(١) صحيح - أخرجه الحاكم (١٧٧/٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

قلت: وهو كما قالوا، وفاتهما أنه على شرط مسلم.

(٢) سبق تخريجه (ص ٢٠٦).

سَبَّكَ رجل بما يعلم منك، فلا تَسَبَّهُ بما تعلم منه، فيكون أجر ذلك لك، ووبأله عليه»^(١).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ؛ قال: «الْمُسَابَّانِ مَا قَالَا فعلى البادى منهما حتى يعتدي المظلوم»^(٣).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم سب المسلم، والحكم على من سبه بغير حق بالفسوق.

٢ - إذا سَبَّكَ رجل ما يعلم فيك وعيِّرك بذلك، فلا تقابل ذلك بمثله، لیبوء بإثمك وإثمه.

٣ - لا يلحق المظلوم إثم ما لم يعتدي ويزيد، ولكن من يستطيع السيطرة على نفسه إذا جعلها طريقاً للشيطان، إلا من عصم الله ورحم وقليل ما هم.

٤ - إذا انتصر المسبوب لنفسه استوفى ظلامته، وبرىء الأول من حقه، وبقي عليه إثم الابتداء.

(١) صحيح لغيره - أخرجه ابن منيع؛ كما في «الجامع الصغير»، ورمز السيوطي لحسنه، وأقره المناوي في «فيض القدير» (٣٧٢/١): «وهو كما قال أو أعلى إذ ليس في رواته مجروح»، وصححه شيخنا في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٥٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٣) مسلم (٢٥٨٧).

٥٩٧ - باب تغليظ الزجر عن سب الرجل والديه

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه» قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه، ولذلك نسب لعن الوالدين إليه، لأنه تسبب في ذلك.

٢ - إذا كان التسبب في لعن الوالد من الكبائر؛ فالتصريح بلعنه أشد.

٣ - من آل فعله إلى محرم يحرم عليه ذلك الفعل وإن لم يقصد إلى ما يحرم.

فائدة:

هذا الحديث أصل هام في سد الذرائع، وهو يدل على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

٥٩٨ - باب بنس مطية الرجل زعموا

عن أبي مسعود أو حذيفة بن اليمان رضي الله عنهم؛ قال:
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بنس مطية الرجل زعموا»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - قال الخطابي في «معالم السنن» (٢٦٦/٧ - ٢٦٧): «أصل
هذا أن الرجل إذا أراد الظعن في حاجة، والمسير إلى بلد ركب مطيته،
وسار حتى يبلغ حاجته، فشبه النبي ﷺ ما يقدمه الرجل أمام كلامه،

(١) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٢)، وابن المبارك في «الزهد»
(٣٧٧)، وأبو داود (٤٩٧٢)، وأحمد (١١٩/٤ و ٤٠١/٥).

من طرق عن الأوزاعي عن أبي قلابة قال: قال أبو مسعود لأبي عبدالله - أو قال
عبدالله لأبي مسعود - : ما سمعت رسول الله ﷺ، يقول: من زعموا؟ قال:
فذكره. قلت: لم يقع الشك عند المبارك وأحمد في الموطن الأول.
قال أبو داود: «أبو عبدالله هذا حذيفة».

وقد جاء مفسراً في إسناد أحمد في الموطن الثاني: «أو قال أبو مسعود لأبي
عبدالله؛ يعني حذيفة».

وقد أورده أحمد في مسند أبي مسعود وحذيفة.

قلت: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وأبو قلابة قد صرح بالتحديث في رواية
الوليد بن مسلم قال: نا الأوزاعي نا يحيى بن أبي كثير نا أبو قلابة نا أبو عبدالله
مرفوعاً به.

أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١٨٥)، وابن منده في «المعرفة»
(٢/٢٥١/٢).

قلت: إسناده صحيح، وقد صرح الوليد بالتحديث في جميع طبقات السند.
وهي طريق عزيزة تبين وهم من قال: إن رواية أبي قلابة عن حذيفة مرسلة.

ويتوصل به إلى حاجته من قولهم زعموا بالمطية التي يتوصل بها إلى الموضوع الذي يؤمه ويقصده.

وإنما يقال: زعموا في حديث لا سند له، ولا ثبت فيه، وإنما هو شيء يحكى عن الألسن على سبيل البلاغ، فذم النبي ﷺ من الحديث ما كان هذا سبيله وأمر بالثبوت فيه، والتوثق لما يحكيه من ذلك، فلا يرويه حتى يكون معزياً إلى ثبت ومروياً عن ثقة.

وذكر نحوه البغوي في «شرح السنة» (١٢/٣٦٢).

٢ - قال الطحاوي في «مشكل الآثار» (١/١٧٤ - ١٧٦):

«فوجدنا زعموا لم تجيء في القرآن إلا في الإخبار عن المذمومين بأشياء مذمومة كانت منهم، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُغْنِيَ﴾ [التغابن: ٧]، (ثم ذكر أمثلة على ذلك).

وكل هذه الأشياء، فإخبار عن الله تعالى بها عن قوم مذمومين في أحوال لهم مذمومة، وبأقوال كانت منهم كانوا فيها كاذبين مفترين على الله تعالى، فكان مكروهاً لأحد من الناس لزوم أخلاق المذمومين في أخلاقهم، الكافرين في أديانهم، الكاذبين في أقوالهم.

وكان الأولى بأهل الإيمان لزوم أخلاق المؤمنين الذين سبقوهم بالإيمان، وما كانوا عليه من المذاهب المحموده، والأقوال الصادقة التي حمدهم الله تعالى عليها رضوان الله عليهم ورحمة وبالله التوفيق.

٣ - ولا يتنافى ما تقدم مع ما ثبت من ورود لفظ زعم كما في حديث أم هانئ: «زعم ابن أُمِّي أَنَّهُ قَاتِلَ رَجُلًا قَدْ أَجْرَتْهُ»^(١)؛ فإن أم

هانيء أطلقت ذلك في حق علي ولم ينكر عليها النبي ﷺ. وفي حديث ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه: «زعم رسولك»^(١).

وقد أكثر سيبويه في كتابه من قوله في أشياء يرتضيها: «زعم الخليل»^(٢)، لأن المراد إكثار قول: زعموا دون تثبت فمن وقع منه ذلك لا يؤمن عليه الكذب والادّعاء، ولأن هذه الكلمة تستعمل غالباً في ما لا أصل له ولا يوقف على حقيقته، والله أعلم.

٥٩٩ - باب الزجر أن يقول: هلك الناس

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم»^(٣).

وفي رواية: «فهو من أهلكهم»^(٤).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم قول: هلك الناس على سبيل الإضرار عليهم، والاحتقار لهم، وتفضيل نفسه عليهم.

٢ - يجوز شكوى أهل الزمان تحزناً لما يرى فيهم؛ فقد وقع ذلك من الأنبياء والصحابة والعلماء كما بيته في «النكت الجياد على وصية

(١) البخاري (٦٣)، ومسلم (١٢).

(٢) «فتح الباري» (٥٥١/١٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢٣).

(٤) صحيح - أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٤١/٧).

من طريق سفيان عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

علي لکمیل ابن زیاد».

وقد أشار إلى ذلك الإمام مالك بقوله: «إذا قال ذلك تحزناً لما يرى في الناس - يعني في أمر دينهم - فلا أرى به بأساً، وإذا قال ذلك عجباً بنفسه وتصاغراً للناس فهو المكروه الذي نهى عنه»^(١).

واستحسنه النووي رحمه الله؛ فقال: «فهذا تفسير بإسناد في نهاية الصحة، وهو أحسن ما قيل في معناه وأوجز، ولا سيما إذا كان عن الإمام مالك رضي الله عنه»^(٢).

٦٠٠ - باب الزجر عن قول خبث نفسي

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ؛ قال: «لا يقولن أحدكم خَبِثْتُ نفسي، ولكن لِيَقُلْ لَقِسْتُ نفسي»^(٣).

وفي الباب عن سهل بن حنيف مثله سواء.

● من فقه الباب:

١ - يكره استخدام الألفاظ السيئة من الأقوال في وصف حال المسلم، فإن لَقِسْتُ بمعنى كلمة خبث ولكن كره لفظ الخبث.

٢ - الإسلام قوامه الأدب، فقد علم المسلم الأدب مع ربه، ومع الخلق، ومع نفسه التي بين جنبيه، وهذا الحديث منها.

٣ - استحباب تغيير الاسم القبيح وهجران اللفظ السيء في

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٣) بإسناد صحيح.

(٢) «صحيح الأذكار وضعيفه» (٨٧٠/٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٧٦)، ومسلم (٢٢٥٠).

جميع الأحوال .

٤ - لا ينبغي لمسلم أن يصف نفسه بالخبث ؛ لأن الله كرمه ،
ومن فعل ما نهى عنه فقد كان عوناً للشيطان على نفسه .

٦٠١ - باب تحريم قول: ملك الملوك

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ؛ قال : «أخنع اسم
عند الله رجل تسمى ملك الأملاك»^(١) .

قال سفيان بن عيينة : ملك الأملاك مثل شاهنشاه .

● من فقه الباب:

١ - من سَمَى نفسه أو سَمَّاه غيره بهذا الاسم كان من أذل الناس
وأحقرهم وأصغرهم شأنًا عند الله .

٢ - تحريم التسمية باسم من أسماء الله الحسنى ، أو مضاهاته في
صفة من صفاته العليا ، ففي رواية لمسلم : «أغبط رجل عند الله يوم
القيامة وأخبطه رجل كان يسمى ملك الأملاك ؛ لا ملك إلا الله» .

٣ - تحريم وصف المخلوقين بأوصاف العظمة وألقاب الكبرياء
التي لا يستحقها إلا رب العالمين ، كقولهم للسلطان جلالة السلطان
وصاحب السمو وغير ذلك من ألقاب الملك .

٤ - ويلحق بذلك قولهم : قاضي القضاة ، والصواب : أفضى
القضاة ، والله أعلم .

(١) البخاري (٦٢٠٥ و ٦٢٠٦) ، ومسلم (٢١٤٣) .

٦٠٢ - باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمنافق ونحوهما بسيد

عن بريدة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا للمنافق سيّد، فإنه إن يكن سيّداً، فقد أسخطتم ربكم عز وجل»^(١)

● من فقه الباب:

- ١ - تحريم تعظيم الفاسقين والمنافقين والمبتدعين ومن على شاكلتهم بأوصاف الاحترام ونعوت التقدير.
- ٢ - ينبغي على المجتمع المسلم ألا يجعل للمنافقين ثغرة يتسللون منها لتوجيه شؤون المسلمين، فإن ذلك يضعف صفهم ويغضب ربهم، بل ينبغي أن يجعلوا عليهم الذل والصغار لمخالفتهم أمر الله ورسوله ﷺ.

٦٠٣ - باب النهي عن تسمية العنب كرمًا

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ويقولون الكرّم، إنما الكرّم قلب المؤمن»^(٢).

وفي رواية «لا يقولن أحدكم للعنب: الكرّم، فإن الكرّم الرجل المسلم».

عن وائل بن حجر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لا تقولوا الكرّم، ولكن قولوا: العنب والحَبَلَة»^(٣).

(١) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٠)، وأبو داود (٤٩٧٧)، وأحمد (٣٤٦/٥ - ٣٤٧).

قلت: إسناده صحيح.

(٢) البخاري (٦١٨٣)، ومسلم (٢٢٤٧) (٧).

(٣) رواه مسلم (٢٢٤٨).

● من نقه الباب:

١ - تحريم تسمية العنب كرمًا، لمحو الخمر بمحو اسمه الذي قد يعطي النفس ارتياحاً لها لظنّها أن الخمر تبعث على الكرم، وتهيج على الجود؛ كما كان يظن العرب قبل الإسلام.

٢ - لا يجوز تسمية الفواحش بأسماء تزينها وتبعث على الارتياح إليها نفسياً، وقد مضى شيء من ذلك في كتاب «الأشربة».

٣ - قال ابن قيم الجوزية رحمه الله في «زاد المعاد» (٣٦٩/٤):

«وفي هذا معنيان:

أحدهما: أن العرب كانت تسمي شجرة العنب الكرم، لكثرة منافعها وخيرها، فكره النبي ﷺ تسميتها باسم يهيج النفوس على محبتها ومحبة ما يتخذ منها من المسكر وهو أم الخبائث، فكره أن يسمى أصله بأحسن الأسماء وأجمعها للخير.

والثاني: أنه من باب قوله المتفق عليه: «ليس الشديد بالصرعة»، وقوله الذي أخرجه مسلم: «وليس المسكين بالطواف»؛ أي: إنكم تسمون شجرة العنب كرمًا لكثرة منفعه، وقلب المؤمن أو الرجل المسلم أولى بهذا الاسم منه، فإن المؤمن خير كله ونفع، فهو من باب التنبيه والتعريف لما في قلب المؤمن من الخير، والجود، والإيمان، والنور، والهدى، والتقوى، والصفات التي يستحق بها هذا الاسم أكثر من استحقاق الحيلة له».

وانظر بحثاً ممتعاً ذكره ابن القيم في «تهذيب السنن» (٢٦٨/٧) - (٢٧٢).

٤ - تسمى شجرة العنب: العنب أو الحبله أو حدائق الأعناب، أو عرائش الأعناب.

٦٠٤ - باب الزجر عن داء الأمم: التدابير، والتحاسد،

والتباغض، والتقاطع، والتجسس

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

عن الزبير بن العوام رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم؟ أفشوا السلام بينكم»^(١).

(١) حسن بشواهده - أخرجه الترمذي (٢٥١٠)، وأحمد (١٦٧/١)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٣٠١) وغيرهم.

قلت: إسناده ضعيف؛ لأن مولى الزبير: لا يعرف.

وفي رواية أحمد (١٦٤/١ - ١٦٥) عن يحيى عن يعيش عن الزبير بن العوام به.

وقد جود إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤٥٨/٣) وقال: «رواه البزار بإسناد جيد، والبيهقي، وغيرهما». ومثله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٠/٨).

ولعل المنذري والهيثمي اختارا العزو للبزار السلامة إسناده من مولى الزبير الذي في الرواية الأولى لأحمد، لكن الصواب إثباته، لاتفاق ثلاثة من الثقات على ذلك؛ =

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «يَاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحْسَسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(١).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا

= كما قال ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٣٢٧/٢) نقلاً عن أبي زرعة: «رواه علي بن المبارك وشيبان وحرب بن شداد عن يحيى بن أبي كثير عن يعيش بن الوليد: أن مولى لآل الزبير حدثه أن الزبير حدثه أن النبي ﷺ...». قال أبو زرعة: الصحيح لهذا، وحديث موسى بن خلف وهم. وقال البزار (٣٠٠٢ - كشف الاستار): «هكذا رواه مولى بن خلف، ورواه هشام صاحب الدستوائي عن يحيى عن يعيش عن مولى للزبير عن الزبير». قلت: الصواب إثبات المولى في هذا الإسناد، وبه يتبين أنه ليس بجيد، لكن الحديث له شواهد بنحوه منها:

- أ - حديث أبي هريرة عند البخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٠) بسند ضعيف.
 - ب - حديث أبي الدرداء عند أبي داود (٤٩١٩) بسند صحيح.
 - ت - حديث ابن عباس عند ابن عدي في «الكامل» (١٥١٥/٤) بسند ضعيف.
 - ث - وللقسم الأول شاهد من حديث أبي هريرة عند الحاكم (١٦٨/٤) بسند حسن.
 - ج - والقسم الأخير شاهد من حديث أبي هريرة عند مسلم (٥٤).
- وبالجملة؛ فالحديث حسن بمجموع ذلك، والله أعلم.
- تنبيه: لهذا الحديث ضعفه شيخنا في «ضعيف الجامع»، و«إرواء الغليل» (٧٧٧)، وتخريج أحاديث «مشكلة الفقر» (٢٠)، و«غاية المرام» (٤١٤)، ثم تبين له أنه حسن؛ فأورده في «صحيح الجامع الصغير»، و«صحيح الترمذي» (٢٠٣٨) وهو الصواب المعتمد؛ كما أخبرني بذلك بنفسه حفظه المولى عز وجل.
- (١) البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣).

يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «تُفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا»^(٢).

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»^(٣).

عن هشام بن عامر الأنصاري رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يصارم مسلماً فوق ثلاث، فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما، وإن أولهما فيئاً يكون كفارته عند سبقه بالفيء، وإن ماتا على صرامهما لم يدخلوا الجنة جميعاً أبداً، وإن سلم عليه فأبى أن يقبل تسليمه وسلامه، رد عليه ملك، ورد على الآخر الشيطان»^(٤).

والأحاديث في الباب كثيرة.

(١) البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩).

(٢) مسلم (٢٥٦٥).

(٣) البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠).

(٤) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٠٢)، وأحمد (٢٠/٤)، والطبراني

في «الكبير» (٤٥٤/١٤٤/٢٢) و(٤٥٥)، وابن حبان (٥٦٦٤). من طريق يزيد

الرشك؛ قال: سمعت معاذة العدوية قالت: سمعت هشام بن عامر (وذكره).

قلت: إسناده صحيح.

● من فقه الباب:

١ - نهى المسلمين عن التباغض بينهم في غير ذات الله تعالى بل على أهواء النفوس، فإن الله جعلهم إخوة، والإخوان يتحابون ولا يتباغضون.

وقد حرم الله على المؤمنين ما يوقع بينهم العداوة والبغضاء والشحناء؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْفَحْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١].

٢ - نهى المسلمين عن الحسد وتمني الشر، فلا يحسد بعضهم بعضاً، والحسد مركوز في طباع البشر؛ وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل، ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام:

فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل.

ومنهم من يسعى في نقل ذلك إلى نفسه.

ومنهم من يسعى في إزالة نعمته عن المحسود من غير نقل إلى نفسه، وهو شرهما وأخبثهما، وهذا الحسد المذموم المنهى عنه، وهو ذنب إبليس لعنه الله.

وقد وصف الله أهل الكتاب بذلك كقوله: ﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

٣ - نهى عن التدابر والتقاطع والهجر فوق ثلاث في الأمور

الدينية؛ لأن ذلك يمنع من رفع الأعمال ودخول الجنة.

٤ - الأمر بعكس ما تقدم وهو التأخي في الله إخواناً، والالتقاء على منهج الله أعواناً، ولذلك امتن الله على عباده بهذا الأمر، لأنه أوثق عرى الإيمان وأسمى وشائجه: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٦٥- باب تحريم الفحش وبذاء اللسان

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء»^(١).

عن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه»^(٢).

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «مه يا عائشة فإن الله لا يحبُّ الفحش والتفحش»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - تحريم الفحش والتفحش وبذاء اللسان، فليس من صفات المؤمن ذلك.

٢ - ما خالط الفحش والتفحش شيئاً من أمور العباد إلا جعله شيئاً

(١) سيأتي تخريجه (ص ٣٥٦).

(٢) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٠١)، والترمذي (١٩٧٤)، وابن ماجه (٤١٨٥).

من طريق عبدالرزاق عن معمر عن ثابت البناني عنه به.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٣) مسلم (٢١٦٥) (١١).

بغضاً.

٣ - الفاحش المتفحش يجرؤ على الوقوع في النقائص والمعائب وخوارم المروءة.

٦٠٦ - باب النهي عن الغضب

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني؛ قال: «لا تغضب»؛ فردّد مراراً؛ قال: «لا تغضب»^(١).

وفي الباب عن أبي الدرداء، وجارية بن قدامة رضي الله عنهم.

● من فقه (الباب):

١ - ذمُّ الغضب والبعد عن أسبابه؛ لأنه لا يأتي بخير.

٢ - الغضب المذموم ما كان في أمور الدنيا، والغضب المحمود ما كان لله لنصرة دينه؛ فقد كان رسول الله ﷺ لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمت الله.

٣ - كان رسول الله ﷺ يأمر من غضب بتعاطي أسباب دفع الغضب؛ ودونك إياها:

أ - أمر النبي ﷺ من غضب بالاستعاذة من الشيطان الرجيم؛ فعن سليمان بن صرد رضي الله عنه؛ قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان، وأحدهما قد احمرَّ وجهه، وانتفخت أوداجه؛ فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما

(١) أخرجه البخاري (٦١١٦).

يجد»^(١).

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

ب - أمر النبي ﷺ من غضب بالسكوت؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «إذا غضب أحدكم فليسكت»^(٢).

ت - أمر من غضب بالجلوس أو الاضطجاع؛ فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس؛ فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»^(٣).

ث - عد رسول الله ﷺ الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ولا يجعل نفسه طريقاً للشيطان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك

(١) أخرجه البخاري (٣٢٨٢)، ومسلم (٢٦١٠).

(٢) صحيح بشواهده - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٤٥ و ١٣٢٠)، وأحمد (٢٣٩/١ و ٢٨٣ و ٣٦٥)، والبزار (١٥٢ - كشف الأستار)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٦٤).

قلت: إسناده فيه ضعف؛ لأن ليث بن أبي سليم مختلط.

وله شاهد من حديث أبي هريرة.

أخرجه ابن شاهين في «الفوائد» (ق ١/١١٢) بإسناد حسن.

وبالجملة؛ فالحديث صحيح بمجموعهما، والله أعلم.

(٣) صحيح بطرقه - أخرجه أبو داود (٤٧٨٢)، وأحمد (١٥٢/٥) وغيرهما.

قلت: إسناده رجاله ثقات لكن فيه انقطاع بين أبي حرب بن الأسود وأبي ذر.

وله طريق آخر عند أبي داود (٤٧٨٣) عن بكر بن عبدالله المزني مرسلًا.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات، وبه يثبت الحديث، والله أعلم.

نفسه عند الغضب»^(١).

وتدبر هذا الحوار بين عمر بن عبدالعزيز وابنه عبدالملك رحمهما الله.

غضب عمر بن عبدالعزيز يوماً؛ فقال له عبدالملك: أنت يا أمير المؤمنين مع ما أعطاك الله وفضلك به تغضب هذا الغضب؟ فقال عمر: أو ما تغضب يا عبدالملك؟

فقال عبدالملك: وما يغني عني سعة جوفي إذا لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر؟

٦٠٧- باب النهي عن الضحك من الضراط

عن عبدالله بن زمعة رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقر؛ فقال رسول الله ﷺ: «﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقُّهَا﴾ [الشمس: ١٢] انبعث لها رجل عزيز عارم^(٢) منيع في رهطه مثل أبي زمعة» وذكر النساء فقال: «يعمد أحدكم يجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه»، ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة، وقال: «لم يضحك أحدكم مما يفعل»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - النهي عن الضحك من الضرطة.

٢ - الإنسان لا يضحك مما يفعل.

(١) البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٢) شرير مفسد خبيث.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٤٢)، ومسلم (٢٨٥٥).

٦٠٨ - باب الزجر عن كثرة الضحك

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يُعَلِّم من يعمل بهن؟» فقال أبو هريرة فقلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي، فعَدَّ خمساً؛ فقال: «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب»^(١).

● من فقه الباب:

١ - النهي عن كثرة الضحك.

٢ - كثرة الضحك تميت القلب.

٣ - قال ابن حجر في «فتح الباري» (٥٠٥/١١): «والذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان معظم أحواله لا يزيد عن التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك، والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط فيه، لأنه يذهب الوقار.

قال ابن بطال: والذي ينبغي أن يقتدى به من فعله ما واطب عليه

(١) صحيح - أخرجه الترمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجه (٤٢١٧)، وأحمد (٣١٠/٢)،

والبيهقي في «الزهد الكبير» (٨١٨)، وابن عساكر (١/٢٤٧/٩)، وأبو نعيم في

«الحلية» (٣٦٥)١٠، و«أخبار أصبهان» (٣٠٢/٢)، والخرائطي في «مكارم

الأخلاق» (ص ٣٩ و٤٢) من طريقين عنه.

قلت: هو بهما صحيح، والله أعلم.

في ذلك».

٦٠٩ - باب الزجر عن هجاء المرء القبيلة

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم الناس فرية لرجل هاجى رجلاً فهجا القبيلة بأسرها، ورجل انتفى من أبيه وزنى أمه»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم هجاء القبيلة بأسرها؛ لأن فيه اعتداء وافتراء، فهو وقوع في الأنساب وقذف الأعراض.

٢ - أشد الشتم الهجاء.

٦١٠ - باب الزجر عن التماذج

عن أبي بكرة رضي الله عنه؛ قال: أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ؛ فقال: «ويحك، قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك مراراً من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة، فليقل: أحسب فلاناً، والله حسبي، ولا أزكي على الله أحداً، أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك

(١) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٧٤)، وابن ماجه (٣٧٦١) واللفظ له، وابن حبان (٥٧٨٥)، والبيهقي (٢٤١/١٠).

من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة عن يوسف بن ماهك عن عبيد بن عمير عنها به.

قلت: إسناده صحيح على شرط الشيخين، رجاله ثقات أثبات من رجال الستة، وحسنه الحافظ في «فتح الباري» (٥٣٥/١)، وهو قصور كما ترى وصححه البوصيري وابن حبان.

منه^(١).

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يشني على رجل ويطريه في مدحه فقال: «أهلكتم - أو قطعتم - ظهر الرجل»^(٢).

عن المقداد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «إذا رأيتم المدّاحين، فاحثوا في وجوههم التراب»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - تحريم التمدّاح في الوجه؛ لأنه مظنة الاغترار بالنفس والوقوع في العُجب، وهذه صفات مهلكة لدين العبد.

٢ - من كان مادحاً لا محالة فليوكل حال الممدوح في النهاية إلى الله فهو حسيبه وأعلم بحاله.

٣ - الثناء على العبد، ينبغي أن يكون على سبيل حسن الظن به، وليس على سبيل الجزم والقطع.

٤ - النهي عن الجزم في المدح والقطع بمصائر العباد، وكذلك مدحهم جزافاً بما ليس فيهم.

٥ - لا يجوز الإصغاء لأقوال المدّاحين وعدم مكافأتهم على مدحهم إلا بحثوا التراب في وجوههم.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٦٣)، ومسلم (٣٠٠١).

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٠٢) (٦٩).

٦١١ - باب تغليظ الزجر عن الكذب

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(١).

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(٢).

عن سُمرة بن جندب رضي الله عنه؛ قال: قال النبي ﷺ: «رأيت الرجلين أتياي قالا: الذي رأيته يُشَقُّ شِدْقُهُ فكذاب؛ يكذب بالكذبة تحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة»^(٣).

والأحاديث في الباب كثيرة.

● من فقه (الباب):

١ - الكذب هو: الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه في نفس الأمر سواء تعمد ذلك أو جهله؛ لكنه في حالة الجهل لا يأثم، والله أعلم.

٢ - تغليظ تحريم الكذب والتحذير من التساهل فيه؛ لأنه سبب

(١) البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٦).

(٢) البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٣) البخاري (٦٠٩٦).

كل شر.

٣ - من قصد الكذب صار خلقاً له.

٤ - أبواب الكذب كثيرة، منها التَّحْلُم بحلم لم يره، والضحك على الأطفال بقوله لهم: خذ وهو لا يريد إعطاءهم، وادعاء الشيع وهو جائع، والكذب لإضحاك القوم، وغيرها، وفيها أحاديث صحيحة صريحة.

٥ - قال النووي: «اعلم أن الكذب وإن كان أصله محرماً، فيجوز في بعض الأحوال بشروط قد أوضحناها في كتاب «الأذكار»^(١)، ومختصر ذلك: أن الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، وإن لم يكن تحصيله إلا بالكذب؛ جاز الكذب.

ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً كان الكذب مباحاً، وإن كان واجباً كان الكذب واجباً؛ فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله، أو أخذ ماله، وسئل إنسان عنه وجب الكذب بإخفائه، وكذا لو كان عنده وديعة وأراد ظالم أخذها وجب الكذب بإخفائها، والأحوط في هذا كله أن يُورَى، ومعنى التورية: أن يقصد بعبارة مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذباً بالنسبة إليه، وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ، وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب، ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب، فليس بحرام في هذا الحال.

واستدل العلماء لجواز الكذب في هذا الحال بحديث أم كلثوم رضي الله عنها: أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي

يصلح بين الناس؛ فينمي خيراً أو يقول خيراً» متفق عليه.

وزاد مسلم في رواية: قالت أم كلثوم: «ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة لزوجها»^(١).

٦١٢ - باب تحريم النميمة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَلِّمٍ بَنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَبِيرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ * عُنْتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنْبِيرٍ﴾ [القلم: ١٠، ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

عن همام قال: كنا مع حذيفة فقبل له: إن رجلاً يرفع الحديث إلى عثمان، فقال حذيفة: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قَتَات»^(٢) (٣).

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: مرّ النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة - أو مكة - فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: «يُعَذَّبَانِ، وما يُعَذَّبَانِ في كبير، بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة»^(٤).

عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال: إن محمداً ﷺ؛ قال: «ألا

(١) انظر لزماً: «بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين» (٦٩/٣ - ٧٠).

(٢) تمام؛ كما في رواية لمسلم (١٠٥) (١٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) (١٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

أنبئكم ما العَصَةُ^(١)؟ هي النميمة القالة^(٢) بين الناس^(٣).

● من فقه الباب:

١ - النميمة نقل الكلام من قوم إلى آخرين وتزيينه بالكذب؛ ليحدث بينهم شر وفساد.

٢ - غلظ تحريم النميمة وبيان أنها من الكبائر، وأما قوله ﷺ: «وما يعذبان في كبير»؛ فمعناه: ليس كبيراً في زعمهما أو ليس كبيراً تركه عليهما. وليس المراد: أنه ليس من كبائر الذنوب، لأنه قال بعد ذلك: «بلى إنه كبير»؛ كما في رواية أخرى.

٣ - ينبغي لمن حصلت له النميمة أن لا يصدق من نمَّ له، ولا يظن بمن نم عنه، ولا يبحث عن تحقيق ما ذكر، وأن ينهيه ويقبح له فعله، وذلك لتحذير الرسول ﷺ منه.

وفي أمثال النمام قيل:

فأنت امرؤ إما ائتمنتك خالياً فخنث وإما قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والإثم

٤ - من استحل النميمة وهو عالم بحرمتها يحرم الله عليه الجنة، وإن لم يستحلها؛ فهو تحت المشيئة إن شاء عذبه، وإن شاء تجاوز عنه.

٥ - يجب بغض النمام؛ لأن الله يبغضه، ولذلك ينبغي تبين أمره

(١) الكاذب الفاحش الغليظ التحريم.

(٢) كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس.

(٣) مسلم (٢٦٠٦).

بين الناس ليحذروه.

٦١٣ - باب تغليظ تحريم الغيبة

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره؟» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه، فقد بهته»^(١).

عن أبي بكرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت»^(٢).

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قلت للنبي ﷺ حسبك من صفة كذا وكذا - تعني: قصيرة - فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»^(٣).

عن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم؛

(١) مسلم (٢٥٨٩).

(٢) البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).

(٣) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢)، وأحمد (١٨٩/٦).

قلت: إسناده صحيح.

فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»^(١).

والأحاديث في الباب متكاثرة ومتوافرة ومتواترة معنوياً.

● من فقه الباب:

١ - حدد الرسول ﷺ معنى الغيبة والبهتان بما لا يدع مجالاً لمأثول؛ فالغيبة ذكرك أخاك بما فيه من خلفه بما يكره.

والبهتان: ذكرك بإياه بما ليس فيه.

٢ - كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه، وحرمة ذلك أشد عند الله من حرمة البلد الحرام والشهر الحرام.

٣ - وصف العيوب البدنية على سبيل التنقص والاستهزاء من الغيبة، وإن كان للتعريف؛ فجائز إن كان لا يمكن تعريفه إلا به.

٤ - الغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرها يحرم على السامع كذلك استماعها وإقرارها ويجب ردها؛ فعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ؛ قال: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»^(٢).

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٨٧٨)، وأحمد (٢٢٤/٣)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٦٥ و ٥٧٢).

قلت: وهو صحيح.

(٢) صحيح - أخرجه الترمذي (١٩٣١)، وأحمد (٤٥٠/٦)، والدولابي في «الكنى» (١٢٤/١)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٥٠).

قلت: إسناده حسن أو صحيح؛ كما بيته في «بهجة الناظرين» (٣/٣١ - ٣٢)؛ فانظره فإنه نفيس.

٦١٤ - باب ذم ذي الوجهين

قال الله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «وتجدون شر الناس ذا الوجهين: الذي يأتي هؤلاء بوجه، ويأتي هؤلاء بوجه»^(١).

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»^(٢).

وفي الباب عن سعد بن أبي وقاص، وجندب بن عبد الله رضي الله عنهم.

● من فقه (الباب):

١ - تحريم المداينة والمخادعة، وهو الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه.

(١) البخاري (٣٤٩٤)، ومسلم (٢٥٢٦).

(٢) حسن لغيره - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٣١٠)، وأبو داود (٤٨٧٣)، والدارمي (٣١٤/٢)، وابن حبان (٥٧٥٦)، والطيالسي (٦٤٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٥٦٨)، والبيهقي (٢٤٦/١٠) وغيرهم.

من طريق شريك عن الركين بن الربيع عن نعيم بن حنظلة عن به مرفوعاً. قلت: إسناده فيه ضعف؛ لأن شريكاً القاضي سيء الحفظ، لكنه له شواهد منها حديث أنس، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم تجدها عند ابن أبي الدنيا في «الصمت» فهو بها حسن، وقد حسنه ابن المديني والحافظ العراقي، ولا شك في ذلك.

٢ - علة التحريم ظاهرة، لأنه نفاق محض وخداع وتحيل على اطلاعه على أسرار الفريقين.

عن محمد بن زيد؛ قال ناس لابن عمر: إنا ندخل على سلطانتنا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم؛ قال: «كنا نعوذها نفاقاً»^(١).

٦١٥ - باب الزجر أن يجلس بين الظل والشمس

عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: «أن النبي ﷺ نهى أن يجلس بين الضَّحِّ والظِّلِّ، وقال: مجلس الشيطان»^(٢).

عن بريدة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ نهى أن يقعد بين الظل والشمس»^(٣).

وفي الباب عن أبي هريرة، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم.

● من فقه الباب:

١ - الزجر عن الجلوس بين الظل والشمس، لأن ذلك مجلس الشيطان، وقد نص على ذلك الإمام أحمد والإمام إسحاق كما في «مسائل المروزي» (ص ٢٢٣)؛ قلت: يكره أن يجلس الرجل بين الظل والشمس، قال - يعني: أحمد - : هذا مكروه، أليس قد نهى عن ذا؟ قال إسحاق: وقد صح النهي فيه عن النبي ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (٧١٧٨).

(٢) صحيح - أخرجه أحمد (٤١٣/٣). قلت: إسناده صحيح.

(٣) حسن - أخرجه ابن ماجه (٣٧٢٢).

قلت: إسناده حسن؛ كما قال البوصيري في «زوائد» (ق ٢٤٩/١ - ٢).

٢ - الجلوس بين الظل والشمس ضار بالصحة؛ قال ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٢٤٢/٤): «والنوم في الشمس يثير الداء الدفين، ونوم الإنسان بعضه في الشمس وبعضه في الظل رديء».

وقال المناوي في «فيض القدير» (٣٥١/٦): «العود فيه إذ ذاك مضر؛ لأن الإنسان إذا قصد ذلك المقعد فسد مزاجه لاختلاف حال البدن من المؤثرين المتضادين».

٣ - إذا كان المرء جالساً في الظل، فقلص عنه، وصار بعضه في الشمس وبعضه في الظل، فليتحول إلى الظل.

عن أبي حازم قال: رأني النبي ﷺ وأنا قاعد في الشمس فقال: «تَحَوَّلْ إِلَى الظِّلِّ»^(١).

وعن أبي هريرة قال: قال أبو القاسم: «إذا كان أحدكم في الفيء فقلص عنه الظل، وصار بعضه في الشمس وبعضه في الظل فليقم»^(٢).

٦١٦ - باب الزجر عن النوم على سطح ليس له سترة

عن جابر رضي الله عنه؛ قال: «نهى رسول الله ﷺ أن ينام الرجل على سطح ليس بمحجور»^(٣).

(١) «الصحيحة» (٨٣٣).

(٢) «الصحيحة» (٨٣٧).

(٣) حسن لغيره - أخرجه الترمذي (٢٨٥٤)، وضعفه بقوله: «حديث غريب لا نعرفه من حديث محمد بن المنكدر عن جابر إلا من هذا الوجه، وعبد الجبار بن عمر يضعف».

قلت: لكن يشهد له ما بعده.

عن علي بن شيبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «من بات على ظهر بيت ليس عليه حجار»^(١) فقد برئت منه الذمة»^(٢).

عن رجل من أصحاب النبي ﷺ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من بات فوق بيت ليس له إجار»^(٣) فوقع فمات، فقد برئت منه الذمة، ومن ركب البحر عند ارتجاجه فمات، فقد برئت منه الذمة»^(٤).

وفي الباب عن ابن عباس، وأبي أيوب رضي الله عنهم.

● من نقه الباب.

١ - تحريم النوم على سطح ليس له سترة تمنع النائم من السقوط؛ لأن النائم قد ينقلب في نومه، وقد يقوم ولا يزال أثر النوم عليه؛ فيسعى إلى غير الطريق؛ فيسقط.

٢ - من نام على هذه الهيئة انقطع عنه عهد الله بالحفظ والكلاءة، وصار كالمهذر الذي لا ذمة له، فإن سقط ومات مات هدرًا؛ لأنه لم يتعاطى الأسباب التي تحول بينه وبين الضرر.

(١) هو كل مانع من السقوط.

(٢) حسن لغيره - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٩٢)، وأبو داود (٥٠٤١) وعنه البيهقي في «الآداب» (٩٧٨).

من طريق عمر بن جابر الحنفي عن وعلة بن عبد الرحمن بن وثاب عن عبد الرحمن بن علي عن أبيه.

قلت: إسناده لا بأس به في المتابعات.

عبد الرحمن بن علي ثقة ومن دونه من المقبولين؛ أي: عند المتابعة.

(٣) السطح الذي ليس حواليه ما يرد الساقط منه.

(٤) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٩٤)، وأحمد (٧٩/٥ و ٢٧١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٤٣ - ٤٧٢٦).

قلت: وهو صحيح.

٣ - أحاديث الباب أصل في وجوب تعاطي الأسباب، وأنها من حقيقة التوكل على الله، ومن تركها فهو متواكل وليس متوكلاً على الله، والله أعلم.

٦١٧ - باب النهي عن سكن الكفور

عن ثوبان رضي الله عنه؛ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا تسكن الكفور، فإن ساكن الكفور كساكن القبور»^(١).
قال أحمد^(٢): الكفور القرى.

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال رسول الله ﷺ: «من بدا جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن»^(٣).
● من فقه (الباب):

١ - تسمى القرى: الكفور؛ لأن أهلها يشتغلون غالباً بالزراعة، يطمرون محاصيلهم تحب التراب، والمزارع يسمى كافراً كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُمْ إِذِ انبَأَتْ بِذَنْبِهِمْ ثُمَّ تَلَّهَا لَكُوفًا فَوَاقَهَا فِي لَدَنِئٍ وَرَبُّكَ مُصِفًا﴾ [الحديد: ٢٠]، وأكثر من يتكلم به أهل الشام.

(١) حسن - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٧٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥١٨ و ٧٥١٩). من طريق راشد بن سعد عنه به.

قلت: إسناده فيه انقطاع؛ لأن راشداً لم يسمع من ثوبان.

وله طريق آخر عند الطبراني في «الأوسط» (٩٠٨٤) عن عبيد بن شريح. وحسنه شيخنا في «صحيح الجامع الصغير» (٧٣٢٦)، ويشهد له ما بعده.

(٢) هو شيخ البخاري وكنيته أبو محمد البلخي.

(٣) مضى تخريجه (ص ١٢٦).

٢ - الزجر عن سكن البادية والقرى البعيدة؛ لأنها مواطن الجهل والغفلة واللهو.

قال فضل الله الجيلاني في «فضل الله الصمد» (٣٨/٤):
«الكفور: ما بعد من الأرض عن الناس، فلا يمر به أحد، يعني القرى النائية عن الأمصار وعن مجتمع أهل العلم، فالجهل عليهم أغلب، والبدع إليهم أسرع، وهو بمنزلة الميت، لا يشاهد الأمصار والجمع والجماعات، ولا يجد من يروضه ويؤدبه».

قال المناوي في «فيض القدير» (٤٠١/٦): «وفيه النهي عن سكنى البادية ونحو ذلك فإنه مذموم كما ذكر، وقد دل على ذلك النص القرآني.

قال تعالى حكاية عن يوسف: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ فجعل مجيء إخوته من البدو من جملة إحسان الحق إليه وإليهم بحكم التبعية فهو ثناء على الحق بما فعل مع إخوته ومنعه، ومن ثم عد بعضهم النقل من الريف إلى مصر من النعم وحمده عليها حيث قال: الحمد لله الذي نقلني من بلاد الجفاء والجهل إلى بلاد اللطف والعلم».

٦١٨ - باب النهي عن صدور المجالس

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا هذه المذابح»؛ يعني: المحاريب^(١).

(١) حسن - أخرجه البيهقي (٤٣٩/٢)، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦٠/٨) للطبراني.

● من فقه الباب:

١ - المحاريب: هي صدور المجالس؛ كما جزم به الهيثمي والمناوي.

٢ - الزجر عن تحري صدور المجالس والتنافس فيها وبخاصة إذا وقع ذلك من أهل العلم وطلابه.

٣ - احتج السيوطي في «إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب» بهذا الحديث على بدعة المحراب في المسجد وخفي عليه معناه الذي جزم به أئمة الحديث واللغة.

وقد تعقبه المناوي في «فيض القدير» (١/١٤٤) فقال: «ووقع للمصنف أنه جعل هذا نهياً عن اتخاذ المحاريب في المساجد والوقوف فيها، وقال: خفي على قوم كون المحراب بالمسجد بدعة، وظنوا أنه كان في زمن النبي ﷺ ولم يكن في زمنه ولا زمن أحد من خلفائه بل حدث في المائة الثانية.

أقول: وهذا بناء منه على ما فهمه من لفظ الحديث أن مراده المحراب ليس إلا ما هو المتعارف في المسجد الآن ولا كذلك فإن الإمام الشهير المعروف بابن الأثير قد نص على أن المراد بالمحاريب في الحديث صدور المجالس، واقتفاه في ذلك جمع جازمين به ولم يحكوا خلافه منهم الحافظ الهيثمي وغيره».

قلت: إن أخطأ السيوطي في فهم الحديث، فقد أصاب في كون

المحارب المعروف في المسجد بدعة، وقد ثبت عن السلف أنهم كرهوا ذلك والصلاة فيه؛ لأنه تشبه بأهل الكتاب؛ فعن عبدالله بن مسعود أنه كره الصلاة في المحارب وقال: «إنما كانت للكنائس فلا تشبهوا بأهل الكتاب؛ يعني: أنه كره الصلاة في الطاق^(١). وورد عن جماعة أنهم كرهوا الصلاة في الطاق^(٢): فمن وقف على أقوالهم جزم ببدة المحارب في المساجد، والله أعلم.

٦١٩ - باب تغليظ الزجر عن قطع السدر

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الذين يقطعون السدر يصبون في النار على رؤوسهم صباحاً»^(٣).
عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «قاطع السدر يُصَوَّبُ الله رأسه في النار»^(٤).
وفي الباب عن عبدالله بن حبشي، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٥/٢): رواه البزار، ورجاله موثقون.

(٢) انظرها في «المصنف» لابن أبي شيبة (٥٩/٢ - ٦٠).

(٣) صحيح - أخرجه البيهقي (١١٧/٤)، والخطيب في «الموضح أوهام الجمع والتفريق» (٣٨/١ - ٣٩)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٩٧٦).

من طريق وكيع بن الجراح قال: حدثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عروة بن الزبير عنها به.

قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٤) أخرجه البيهقي (١٤١/٦).

من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

قلت: إسناده حسن كما هو معروف في هذا الإسناد.

● من فقه الباب:

١ - تحريم قطع الصدر.

٢ - وقد اختلف العلماء في الصدر المنهى عن قطعه إلى أقوال:

أ - قال أبو داود: «هذا الحديث مختصر، يعني: من قطع سدره في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم، عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها؛ صوب الله رأسه في النار».

ب - ذهب الطحاوي إلى أنه منسوخ؛ لأن عروة بن الزبير وهو أحد رواة الحديث ثبت أنه قطع الصدر ليجعله أبواباً^(١).

وعن حسان بن إبراهيم؛ قال: سألت هشام بن عروة عن قطع الصدر وهو مستند إلى قصر عروة، فقال: أترى هذه الأبواب والمصاريع؟ إنما هي من صدر عروة، كان عروة يقطعه من أرضه، وقال: لا بأس به^(٢).

قال الطحاوي: «لأن عروة مع عدالته وعلمه وجلالة منزلته في العلم، لا يدع شيئاً قد ثبت عنده عن النبي ﷺ إلى ضده إلا لما يوجب ذلك له؛ فثبت بما ذكرنا نسخ هذين الحديثين».

ت - حمل قطع الصدر على صدر الحرم ذهب إلى ذلك السيوطي في رسالته «رفع الخدر عن قطع الصدر» (٥٧/٢ - الحاوي): «والأولى عندي في تأويل الحديث أنه محمول على صدر الحرم كما وقع في

(١) «مشكل الآثار» (٤٢٧/٧) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٤١) بإسناد جيد.

رواية الطبراني».

ووافقه شيخنا في «الصحيحة» (١٧٧/٢).

قلت: وردت زيادة عند الطبراني في «الأوسط» (٢٤٤١) في حديث عبدالله بن حُبشي: «يعني من سدر الحرم» وصححها شيخنا في «الصحيحة» (٦١٤) فلذلك فحمل الحديث عليها أولى، ودعوى النسخ لا تصح، لأن الحجة في رواية عروة بن الزبير لا في رأيه واجتهاده.

وقد يلحق بالنهاي السدر الذي في الصحاري ويستظل به ابن السبيل والبهائم، والله أعلم.

٦٢٠ - باب النهي عن سب الديك

عن زيد بن خالد رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الديك؛ فإنه يوقظ للصلاة»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم سب الديك؛ وذلك لأنه يوقظ النائمين للصلاة، وينبه الغافلين، فيبادرون إلى طاعة الله.

٢ - النهي عن التضجر من الأمور التي تعين المسلم على طاعة ربه، وإن كانت تمنع من التلذذ بأمر من أمور الدنيا؛ كالديك حيث يقطع عليك لذة النوم، ولكن ما دعاك إليه أفضل في الدنيا والآخرة، ولذلك يقول المؤذن في أذان الفجر الأول: «الصلاة خير من النوم»، والله أعلم.

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٥١٠١)، بإسناد صحيح.

٦٢١ - باب الزجر عن سب الرياح

عن أبي بن كعب رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الرياح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الرياح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الرياح وشر ما فيها وشر ما أمرت به»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرياح من روح الله، تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها، وسلوا الله خيرها، واستعيذوا بالله من شرها»^(٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً نازعته الرياح رداءه على عهد النبي ﷺ، فلعنها، فقال النبي ﷺ: «لا تلعن الرياح؛ فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - تحريم سب الرياح؛ لأنها جزء من رحمة الله؛ قال الشافعي رحمه الله: «لا ينبغي لأحد أن يسب الرياح، فإنه خلق لله تعالى

(١) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧١٩)، والترمذي (٢٢٥٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٣٣)، وأحمد (١٢٣/٥) وغيرهم.
قلت: إسناده صحيح.

(٢) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٠)، وأبو داود (٥٠٩٧)، وابن ماجه (٧٣٢٧) وغيرهم.
قلت: إسناده صحيح.

(٣) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٩٠٨)، والترمذي (١٩٧٨)، وابن حبان (٥٧٤٥) وغيرهم.
قلت: إسناده صحيح.

مطيع؛ وجند من أجناده، يجعلها رحمة ونقمة إذا شاء».

٣ - الريح وغيرها من الآيات الكونية ما فيها من خير أو شر مسخر بأمر الله، ولذلك يستحب للعبد أن يسأل الله خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ويستعيز بالله من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به، فعن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح؛ قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به»^(١).

٦٢٢ - باب النهي عن سب الشيطان

عن أبي المليح عن رجل؛ قال: كنت رديف النبي ﷺ؛ فعثرت دابته؛ فقلت: تعس الشيطان. فقال: «لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك تعظم حتى يكون مثل البيت ويقول بقوتي ولكن قل: باسم الله، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٨٩٩).

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٩٨٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٥٤) و (٥٥٦).

من طريق خالد الحذاء عن أبي تيمية عن أبي المليح عن ردف رسول الله ﷺ.

قلت: إسناده صحيح، وجهالة ردف النبي ﷺ لا تضر؛ لأنه صحابي.

وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٥٥)، ومن طريقه ابن السني (٥١١)، والطبراني في «الكبير» (٥١٦)، والحاكم (٢٩٢/٤).

من طريق محمد بن حمران ثنا خالد الحذاء عن أبي تيمية عن أبي المليح بن =

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال: «لا تَسُبُّوا الشيطان، وتعوذوا بالله من شره»^(١).

● من فقه الباب:

- ١ - الزجر عن سبِّ الشيطان أو قول تعس؛ لأنه يتعاضم وينتفخ.
- ٢ - يذهب كيد الشيطان بقولك: باسم الله أو الاستعاذة بالله من شره.

٦٢٣ - باب الزجر عن احتقار المعروف

عن أبي ذر رضي الله عنه؛ قال: قال لي النبي ﷺ: «لا تحقرَنَّ»^(٢) من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق^(٣)»^(٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: كان النبي ﷺ؛ يقول: «يا نساء المسلمين، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن»^(٥) شاة^(٦).

= أسامة عن أبيه رضي الله عنه؛ قال: كنت رديف رسول الله ﷺ فعثر بعيرنا (وذكره).

قلت: إسناده حسن، رجاله ثقات غير محمد بن حمران فهو صدوق، وعليه فيكون الصحابي الذي لم يسم في الرواية الأولى أسامة والد أبي المليح.

- (١) صحيح، «الصحيحة» (٢٤٢٢).
- (٢) لا يَهْن قدره عندك فلا تعباً به، أو لا تستقله.
- (٣) ضاحك مستبشر.
- (٤) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).
- (٥) عظم قليل اللحم، وأصله يختص بالبعير، وهو فيه كموضع الحافر من الفرس، ويستعار للشاة.
- (٦) أخرجه البخاري (٦٠١٧)، ومسلم (١٠٣٠).

● من فقه الباب:

- ١ - الزجر عن الاستهانة بأي عمل ما دام من وجوه الخير التي جاء بها الشرع.
- ٢ - بطلان تقسيم الدين إلى لباب وقشور أو أصول وفروع تفريقاً بين شعائر الله؛ كما يزعمه كثير من مبتدعة العصر.
- وقد بسطت الكلام على ذلك في كتابي «دلائل الصواب في إبطال تقسيم الدين إلى قشر ولباب».

٦٢٤ - باب تحريم لعب النرد

- عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ؛ قال: «من لعب بالنرد شير^(١) فكأنما صَبَغَ يده في لحم خنزير ودمه»^(٢).
- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله»^(٣).

● من فقه الباب:

- ١ - تحريم لعب النرد، فمن فعل ذلك فقد عصى الله ورسوله.
- ٢ - تحريم مس حجر النرد.

(١) النرد وهو أعجمي معرب.

(٢) مسلم (٢٢٦٠).

(٣) صحيح لغيره - البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٦٩ و ١٢٧٢)، ومالك (٩٥٨/٢)، وأبو داود (٤٩٣٨)، وابن ماجه (٣٧٦٢)، وأحمد (٣٩٤/٤ و ٤٠٠ و ٤٠٧)، والحاكم (٥٠/١)، والبيهقي (٢١٤/١٠ و ٢١٥)، وعبدالرزاق (١٩٧٣٠) وغيرهم.

قلت: وهو بهما حسن، ويشهد له ما قبله.

٣ - ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «النرد من الميسر».

٦٢٥ - باب الزجر عن تزكية النفس

قال عز شأنه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ * أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿ [النساء: ٤٩، ٥٠].

قال تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم: ٣٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن زينب كان اسمها برّة، فقيل: تزكي نفسها، فسمّاها رسول الله ﷺ زينب^(١).

عن محمد بن عمرو بن عطاء؛ قال: سميت ابنتي برّة، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم، وسمّيت برّة، فقال رسول الله ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم»؛ فقالوا: بم نسميها؟ قال: «سموها زينب»^(٢).

● من فقه الباب:

- ١ - الزجر عن مدح النفس وشكرها؛ لأن ذلك منته بالعمل.
- ٢ - النهي عن الأسماء التي فيها تزكية مثل برّة، وجمال الدين، وتاج الدين، ونحو ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٦١٩٢)، مسلم (٢١٤١).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٤٢) (١٩).

٦٢٦ - باب تغليظ عقوبة من خالف قوله فعله

قال تعالى: ﴿ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُنَّ مِنَ الْكَذِبِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَّا مَا أَنْتُمْ عَنْهُ وَإِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

وقال: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣].

عن أبي وائل: قيل لأسامة لو أتيت فلاناً فكلمته. قال: إنكم لترون أنني لا أكلمه إلا أسمعكم، إني أكلمه في السرِّ دون أن أفتح باباً لا أكون أول من فتحه، ولا أقول لرجل - أن كان عليّ أميراً - إنه خير الناس، بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ.

قالوا: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: «يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق^(١) أفتابه^(٢) في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه^(٣)، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية^(٤)، وأناكم عن المنكر

(١) تخرج.

(٢) الأمعاء.

(٣) حجر الطاحون.

(٤) أفعله.

وَأَتِيهِ^(١).

عن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاهم بمقاريض من نار، كلما قُرِضَتْ وَخَتْ^(٢)، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباء من أمتك؛ الذين يقولون ولا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون»^(٣).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف^(٤) من بعدهم خُلُوف^(٥)؛ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»^(٦).

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

(٢) نمت وعادت كما كانت.

(٣) صحيح - أخرجه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» (١١١)، وابن المبارك في «الزهد» (٨١٩)، وأحمد (١٢٠/٣ و ١٨٠ و ٢٣١ و ٢٣٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٨/١٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٧٣)، وأبو يعلى (٣٩٩٢ و ٣٩٩٦ و ٤٠٦٩ و ٤١٦٠)، وابن حبان (٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٨٦/٢ و ٤٣/٨ - ٤٤ و ١٧٢)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٥١٢ و ٥٧٥)، وغيرهم من طرق عنه.

قلت: فالحديث بمجموعها صحيح.

(٤) تحدث.

(٥) جمع خَلَف يسكون اللام، وهو: الخالف بشر.

(٦) مسلم (٥٠).

● من فقه الباب:

١ - بيان عقوبة من يخالف قوله فعله؛ لعصيانه مع العلم المقتضي للخشية والمباعدة عن المخالفة.

٢ - الخطباء هم قدوة للناس فإذا تناقضت كلماتهم عن مواقفهم كانوا من المفسدين.

٣ - ينبغي الإنكار على هذا الصنف من الخطباء والدعاة الذين يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم حسب الطاقة والوسع.

٦٢٧ - باب الزجر عن ترك التحدث بنعمة الله

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِجُّكُمْ لِيَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما؛ قال: قال النبي ﷺ: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب»^(١).

عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ: «من أبلى^(٢) بلاء^(٣) فذكره فقد شكره، وإن كتّمه فقد كفره»^(٤).

(١) حسن - أخرجه أحمد (٢٧٨/٤)، وابنه في «الزوائد» (٣٧٥/٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٦/٦ - ٥١٧/٥١٩).

قلت: إسناده حسن.

(٢) أنعم عليه.

(٣) الإحسان والإنعام.

(٤) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٨١٤)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢٥٩/١) =

● من فقه الباب:

١ - الزجر عن ترك شكر النعمة، وذلك بكتمانها، وعدم التحدث لما حقه الإظهار والإذاعة.

٢ - ذكر النعم وشكرها يورث محبة المنعم المتفضل، ويدعو للمزيد.

٦٢٨ - باب الزجر عن سوء الجوار

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»^(١) «^(٢).

وعنه أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٣)

عن ابن عباس؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه»^(٤).

= قلت: إسناده صحيح.

(١) شرويه وغوائله ودواهييه.

(٢) البخاري (٦٠١٦)، ومسلم (٤٦).

وله شواهد من حديث أبي شريح، وكعب بن مالك، وأنس.

(٣) البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

(٤) حسن لشوهده - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٢)، وابن أبي شيبة في

«الإيمان» (١٠٠)، والحاكم (١٦٧/٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٩٢/١٠)، =

عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: لقد أتى علينا زمان - أو قال: حين - وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة، يقول: يا رب هذا أغلق بابي دوني، فمنع معروف»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «استعيذوا بالله من شر جار المقام، فإن الجار المسافر إذا شاء أن يزائل زائيل»^(٢).

= وغيرهم. قلت: إسناده فيه جهالة، ولكن له شواهد من حديث أنس، وعائشة، وغيرهما وأسانيدها لا تخلو من مقال؛ لكنها يعتبر بها. وبالجملة؛ فالحديث بها حسن، والله أعلم.

(١) حسن لغیره - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١١)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٣٤٥) وغيرهما.

من طريقين عنه يقوي بعضهما بعضاً.

(٢) صحيح - أخرجه الحاكم (٥٣٢/١) واللفظ له، وأحمد (٣٤٦/٢).

من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد المقبري عنه.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

قلت: وهو كما قال إلا إن عبد الرحمن بن إسحاق حسن الحديث.

وتابعه محمد بن عجلان عند النسائي (٢٧٤/٨)، وابن حبان (١٠٣٣)، والبخاري

في «الأدب المفرد» (١١٧)، والحاكم (٥٣٢/١).

عن سعيد بن أبي سعيد عنه به إلا أنه جعله من دعاء رسول الله ﷺ.

قلت: فالحديث صحيح.

وله شاهد من حديث عقبة بن عامر أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/٢٩٤/٨١٠)؛

وقال الهيثمي (٧/٢٢٠ و ١٤٤/١٠) في الموطن الأول: «رجاله ثقات»، وفي

الثاني: «رجاله رجال الصحيح غير بشر بن ثابت البزار، وهو ثقة».

وعنه قال: قيل يا رسول الله: إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل، وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها؛ فقال رسول الله ﷺ: «لا خير فيها هي من أهل النار»، قالوا: وفلانة تصلى المكتوبة، وتصدق بأثوار^(١)، ولا تؤذي أحداً؛ فقال رسول الله ﷺ: «هي من أهل الجنة»^(٢).

● من فقه الباب:

- ١ - للجار حق عظيم ينبغي حفظ جواره ومراعاته بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة والوسع.
- ٢ - تغليظ تحريم إساءة الجوار وإيذاء الجيران.
- ٣ - من حقوق الجار: أن لا يمنعه بغير خشبة في جداره، ولا تستطل عليه في البناء لتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تعرف له، وأن لا تتركه محتاجاً وأنت تعلم.
- تنبيه بعض هذه الحقوق وردت في أحاديث أسانيدھا واهية، ولكن قال الحافظ في «فتح الباري» (٤٤٦/١٠): «اختلاف مخرجها يشعر بأن للحديث أصلاً».

(١) جمع ثور، وهو: القطعة من الأقط، وهو: اللبن المجفف الجامد المستحجر، ووقع في «المسند» أثوار جمع ثور، وهو: إناء من صفر وهو تصحيف.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٩)، وأحمد (٤٤٠/٢)، وابن حبان (٥٧٦٤)، والبخاري (١٩٠٢)، والحاكم (١٦٦/٤) وغيرهم.

من طريق الأعمش قال: حدثنا أبو يحيى مولى جعدة بن هبيرة قال: سمعت أبا هريرة وذكره.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات، وأبو يحيى بيض له الحافظ في «التقريب»، ووثقه ابن معين، واعتمده الذهبي في «الميزان» وهو من رجال مسلم.

٣ - من آذاه جاره يحق له أن يشكوه ويجهر بمظلمته؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رجل: يا رسول الله إن جاراً يؤذيني فقال: «انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق»؛ فانطلق فأخرج متاعه، فاجتمع الناس عليه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني، فذكرت للنبي ﷺ فقال: «انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق»؛ فجعلوا يقولون: اللهم العنه، اللهم أخزه، فبلغه، فأتاه، فقال: ارجع إلى منزلك فوالله لا أؤذيك^(١).

وفي رواية: فجاء إلى النبي ﷺ؛ فقال: «ما لقيت من الناس؟ فقال: إن لعنة الله فوق لعنتهم»، ثم قال للذي شكاه: «كفيت».

وعن أبي عامر الحمصي؛ قال: كان ثوبان يقول: «ما من رجلين يتصارمان فوق ثلاث أيام، فيهلك أحدهما، فماتا وهم على ذلك من المصارمة، إلا هلكا جميعاً، وما من جار يظلم جاره ويقهره، حتى يحمله على أن يخرج من منزله إلا هلك»^(٢).

(١) صحيح لغيره - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٤) واللفظ له، وأبو داود (٥١٥٣)، وابن حبان (٥٢٠)، والحاكم (١٦٠/٤).

من طريق محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة.

قلت: إسناده حسن، من أجل محمد بن عجلان؛ فإنه صدوق.

والرواية الثانية عند البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٥)، والبيهقي (١٩٠٣)، والحاكم (١٦٦/٤).

وله شاهد من حديث عبدالله بن سلام عند ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٣٢٥). وبالجمل؛ فالحديث صحيح لغيره.

(٢) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٧).

قلت: إسناده صحيح.

٦٢٩ - باب النهي عن إرسال الفواشي والصبيان بعد المغرب

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ترسلوا فواشيكم^(١) وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء^(٢)، فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء^(٣)».

● من فقه (الباب):

١ - منع الأموال الفاشية والصبيان من الخروج في ذلك الوقت؛ لأنه وقت انبعاث الشياطين - نعوذ بالله منهم - ويخاف من إيدائهم لكثرتهم حينئذ.

٦٣٠ - باب تغليظ الزجر عن قتل الولد خشية أن يأكل معه

قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠]. قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ وَإِلَىٰ الْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمَلْتُمْ أَنْ تَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّتْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيراً﴾ [الإسراء: ٣١].

(١) جمع فاشية، وهي: التي تغشو وتنشر في الأرض، وهي: كل منتشر من المال؛ كالإبل، والغنم، وسائر البهائم.

(٢) ظلمته وسواده، والمراد: ما بين المغرب والعشاء.

(٣) مسلم (٢٠١٣).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيغِينَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْغِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك». قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حيلة جارك»، وأنزل الله تصديق قول النبي ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] (١).

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه - وكان شهد بدرًا، وهو أحد النقباء ليلة العقبة - أن رسول الله ﷺ؛ قال - وحوله عصابة من عصابة من أصحابه -: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه»؛ فبايعناه على ذلك (٢).

● من فقه الباب:

١ - تحريم قتل الأولاد خشية الافتقار، ولذلك خصه في البيعة؛ لأنه قتل وقطيعة رحم، فالعناية بالنهي عنه أكد، ولأنهم بصدد أن لا يدفعوا عن أنفسهم.

(١) سبق تخريجه (٢١/١).

(٢) البخاري (١٨).

٢ - نبه ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (١٩٦/٢) على نكتة وردت في الآيات المذكورة في الباب؛ فقال: «وقوله تعالى: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾؛ قال: ابن عباس وقتادة والسدي وغيره: هو الفقر؛ أي: ولا تقتلوه من فقركم الحاصل. وقال في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾؛ أي: لا تقتلوه خوفاً من الفقر في الآجل، ولهذا قال هناك: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم؛ أي: لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله، وأما هنا فلما كان الفقر حاصلًا قال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾؛ لأنه الأهم ها هنا، والله أعلم».

٣ - وقد يلحق بذلك ما شاع في هذا العصر باسم تحديد النسل؛ لأنه يقع بدعوى قلة الموارد، وضيق ذات اليد، وكثرة البطالة وانتشارها، وهذا ظن الجاهلية بريها.

٦٣١ - باب لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه قال: «لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين»^(١).

● من فقه الباب:

١ - التحذير من الغفلة وتنبيه إلى استعمال الفطنة: فإن المؤمن إذا نُكِبَ من وجه لا يعود إليه أبداً، ولذلك قال معاوية رضي الله عنه: «لا حكيم إلا ذو تجربة»^(٢)، ومراد: أن التجربة توقف على غوامض

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨).

(٢) علقه البخاري (٥٢٩/١٠) باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.

الأمر حتى يصير صاحبها حكيماً يحذر مما سيقع ولا يفعل أمراً إلا عن حكمة، والله أعلم.

٢ - المؤمن لا يأمن عدوه، ويحترس من صديقه، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: «لا تأمن من عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، والأمين إلا من خشي الله عز وجل»^(١).

وقال التابعي الكبير مطرف: «احترسوا من الناس بسوء الظن»^(٢).

٦٣٢ - باب الزجر عن التنازع بالألقاب

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن يَتَّبِعْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

عن أبي جيرة بن الضحاك؛ قال: فينا نزلت وفي بني سلمة ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾؛ قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا وله اسمان، فجعل النبي ﷺ يقول: «يا فلان»؛ فيقولون: يا رسول الله إنه يغضب^(٣).

● من فقه الباب:

١ - تحريم التنازع بالألقاب، ويدل على ذلك عدة أمور:

أ - التنازع نابع من السخرية وهي محرمة بالنص.

(١) «شرح السنة» (٨٨/١٣).

(٢) «فتح الباري» (٥٣١/١٠).

(٣) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٣٠)، وأبو داود (٤٩٦٢)،

والترمذي (٣٢٦٨)، وابن ماجه (٣٧٤١) وغيرهم.

قلت: وهو صحيح.

ب - وصف التنايز بالاسم الفسوق .

ت - وصف من لم يتب بالظلم .

٢ - التحريم مناط بمن يكره اللقب، فأما من كان يحبه ويوجب له مدح فهو جائز، بشرط الأمن من الإطراء ويدل على ذلك أن رسول الله لقب جماعة من أصحابه كخالد بن الوليد بسيف الله، وأبي عبيدة بأمين الأمة، وجعفر بن أبي طالب بذي الجناحين .

٣ - من لقب بما يكرهه لم يجز أن يدعى به إلا بقصد التعريف إذا كان لا يعرف إلا به؛ لتمييز عن غيره بقصد عدم الذم .

وأما إذا أمكن بغيره، وهو يكره ذلك، فلا شك في حرمة، والله أعلم .

قال النووي في «الأذكار» (٢/٧٢١ - بتحقيقي): «واتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكره سواء كان له صفة؛ كالأعمش، والأجلح، والأعمى، والأعرج، والأحول، والأبرص، والأشج، والأصفر، والأحذب، والأصم، والأزرق، والأفطس، والأشتر، والأشرم، والأقطع، والزمن، والمقعد، والراشد، أو كان صفة لأبيه أو لأمه، أو غير ذلك مما يكره .

واتفقوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف لمن لا يعرفه إلا بذلك» .

٦٣٣ - باب ما يكره من التثاؤب

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس فحمد الله فحق على كل

مسلم سمعه أن يسمّته، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فليُرَدَّ ما استطاع فإذا قال: هاء ضحك منه الشيطان»^(١).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تشاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه، فإن الشيطان يدخل»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - كل تثاؤب من الشيطان، ولا بد لمن حلَّ به كظمه قدر استطاعته.

٢ - الشيطان يتسلط على بني آدم في التثاؤب، ليخملوا في عبادتهم ولا ينشطوا.

٣ - الشيطان يوقع ابن آدم في فعل ينقص من قدره، أو يكلُّ في عبادته، أو يشغل عنها، فيسخر منه ويضحك منه.

٤ - الشيطان يضحك ممن استحوذ عليه.

٦٣٤ - باب من لا يثمت إذا عطس

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمته، فإن لم يحمد الله فلا تُسمِّمته»^(٣).

(١) البخاري (٦٢٢٣).

(٢) مسلم (٢٩٩٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٩٢).

عن أنس رضي الله عنه؛ قال: عطس رجلان عند النبي ﷺ، فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر، فقال الذي لم يشمت، عطس فلان فشمته وعطست فلم تشمتني؟ فقال: «هذا حمد الله، وإنك لم تحمد الله»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا عطس أحدكم، فليشمته جليسه، فإن زاد على ثلاثة فهو مزكوم، ولا يشمت بعد ثلاث»^(٢).

(١) البخاري (٦٢٢٥)، ومسلم (٢٩٩١).

(٢) صحيح بشواهده - أخرجه ابن السني (٢٥١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/٣٩١).

من طريق محمد بن سليمان ابن أبي داود نا أبي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عنه به.

قلت: إسناده ضعيف؛ من أجل سليمان بن أبي داود وهو الحراني الملقب بـ«بومة».

قال الذهبي: «ضعفه أبو حاتم، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن حبان: لا يحتج به».

لكنه لم يتفرد به؛ فقد أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٧/١/١) من طريق علي بن عاصم ثنا ابن جريج عن سعيد المقبري به.

قلت: إسناده رجاله ثقات، غير علي بن عاصم؛ فهو صدوق يخطئ ويهم قاله الحافظ. وتابعه ابن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري به مرفوعاً بلفظ: «تشمت المسلم إذا عطس ثلاث مرات، فإن عطس؛ فهو مزكوم».

أخرجه أبو داود (٥٠٣٤)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٥٠).

قلت: إسناده حسن.

وبالجملة؛ فالحديث صحيح، والله أعلم.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ قال: كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله ﷺ يرجون أن يقول لهم: يرحمكم الله، فيقول: «يهديكم الله ويصلح بالكم»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - المسلم لا يشمت في حالتين:

الأولى: إذا لم يحمد الله.

الثانية: إذا زاد عن ثلاث، فإنه يكون مريضاً وليس ممن يشمت.

٢ - الكافر لا يشمت بل يدعى له بالهداية، وذلك لأنه أحوج ما يحتاج إليه الهداية، وهي أعظم رحمة من الله له.

٦٣٥ - باب النهي عن التسمية بالأسماء المكروهة

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه؛ قال: «نهانا رسول الله ﷺ أن نسمي رقيقنا بأربعة أسماء: أفلح، ورباح، ويسار، ونافع»^(٢).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت، ولا تسمين غلامك يساراً، ولا رباحاً ولا نجيحاً، ولا أفلح، فإنك تقول: أئنم هو؟ فلا يكون فيقول: لا. إنما هن أربع، فلا تزيدن

(١) حسن - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٤٠)، وأبو داود (٥٠٣٨)،

والترمذي (٢٧٣٩)، وأحمد (٤٠٠/٤)، والحاكم (٢٦٨/٤) وغيرهم.

من طريق سفيان عن حكيم بن ديلم عن أبي بردة بن أبي موسى عنه به.

قلت: إسناده حسن رجاله ثقات غير حكيم بن ديلم، وهو صدوق.

(٢) مسلم (٢١٣٦).

علي^(١).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: أراد النبي ﷺ أن ينهى عن أن يسمى بيعلى، وببركة، وبأفلح، وبيسار، وبنافع وبنحو ذلك. ثم رأيت سكت بعد عنها، فلم يقل شيئاً، ثم قبض رسول الله ﷺ ولم ينه عن ذلك، ثم أراد عمر أن ينهى عن ذلك، ثم تركه^(٢).

● من فقه الباب:

١ - قال النووي رحمه الله في «شرح صحيح مسلم» (١٩/١٤): «يكره التسمية بهذه الأسماء المذكورة في الحديث وما في معناها، ولا تختص الكراهة بها وحدها، وهي كراهة تنزيه لا تحريم، والعلة في الكراهة ما بينه ﷺ في قوله: فإنك تقول: أثم هو فيقول: لا، فكره لبشاعة الجواب، وربما أوقع بعض الناس في شيء من الطيرة».

٢ - قوله: «إنما هن أربع فلا تزيدن علي» معناه: لا تنقلوا عني غير الأربع وليس فيه منع القياس عليها وما يلحق بها في معناها يدل على ذلك قول جابر: وبنحو ذلك.

٣ - قول جابر: «ثم قبض ولم ينه عن ذلك» إنما هو لعلم جابر، وإلا فقد حفظ غيره النهي عن ذلك كما تقدم في أحاديث الباب.

٦٣٦ - باب النهي عن التقعير في الكلام

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ؛ قال: «هلك

(١) مسلم (٢١٣٧).

(٢) مسلم (٢١٣٨).

المتنطعون» قالها ثلاثاً^(١).

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة»^(٢).

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «إن من أحبكم إلي، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقاً، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة: الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون»؛ قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»^(٣).

عن أبي أمامة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «شرار

(١) مسلم (٢٦٧٠).

(٢) صحيح بشواهد - أخرجه أبو داود (٥٠٠٥)، والترمذي (٢٨٥٣)، وأحمد (١٦٥/٢) و (١٨٧).

من طريق نافع بن عمر عن بشر بن عاصم بن سفيان عن أبيه عنه به مرفوعاً.

قلت: إسناده حسن رجاله ثقات غير عاصم بن سفيان، فإنه صدوق.

وله شاهد من حديث سعد، أخرجه أحمد (١٧٥/١ - ١٧٦ و ١٨٤).

وبالجملة؛ فالحديث صحيح بشواهد.

(٣) صحيح لغيره - أخرجه الترمذي (٢١٠٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٦٣/٤).

من طريق مبارك بن فضالة ثنى عبدربه بن سعيد عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً.

قلت: إسناده حسن، لأن مبارك بن فضالة صدوق يدلّس وقد صرح بالحديث.

وله شواهد عن عبدالله بن مسعود، وأبي ثعلبة، وأبي هريرة؛ يصح بها الحديث، والله أعلم.

أمتي الذين غدوا بالنعيم، الذين يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون في الكلام»^(١).

● من فقه الباب:

١ - تحريم التعيير في الكلام بالتشديق، وتكلف السجع، والفصاحة، والتصنع بالمقدمات التي يعتادها المتفاسحون من زخارف القول، فكل ذلك من التكلف المذموم، وكذلك تحري دقائق الإعراب ووحشي اللغة في حال مخاطبة العوام.

٢ - التشديق والتفيهق والثرثرة في الكلام سبب بغض الله تعالى لذلك المتفاسح، ومؤدٍ إلى خذلانه وهوانه وجرمانه، وهذا يدل على أن النهي للتحريم.

٣ - التحذير من التشديق في الكلام بإظهار الدعاوي، والتفاخر، وتركبة النفس، والتفيهق في الكلام لإظهار البلاغة والفصاحة؛ فإن هذه صفات المتكبرين المرائين.

٤ - لا يدخل في الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها إفراط وإغراب، لأن المقصود تهيج القلوب إلى طاعة الله ورسوله، ولحسن اللفظ أثر ظاهر لا ينكره إلا مكابر، ويؤخذ هذا من كون خطب رسول الله ﷺ ومواعظة بليغة تذرف منها العيون وتضطرب القلوب، ومن قوله ﷺ: «إن من البيان لسحراً».

(١) سبق تخريجه (ص ١٠٥).

٦٣٧ - باب تغليظ تحريم الكبر والعجب والفخر

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]. وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَصْغُرْ خِذْلَكِ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]. وقال عز شأنه: ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَبْلِهِ مُوَحَّدَةً فُجِعَ عَلَيْهِمْ وَأُفْسِنَتْ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنَّ مَفَاجِعَهُمْ لَشَنُوءًا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ أَهْلُكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَآكْرَهُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْنَا مَا آتَاكُمُ الْقُرْآنُ إِنَّمَا أَنْتُمْ لَدُوٌّ حَظِيظٌ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلِحُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُغْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاءُ وَبَنَاتُهُ لَا يَفْقَهُونَ * ذَلِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ يَجْمَعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الفصل: ٧٦ - ٨٣].

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»؛ فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر يطرد الحق وغمط الناس»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «قال الله عز وجل: العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن ينزعني عذبت»^(٢).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر»^(٣).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يتبختر في بردين وقد

(١) مسلم (٩١).

(٢) مسلم (٢٦٢٠).

(٣) مسلم (١٠٧).

أعجبته نفسه خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل^(١) فيها إلى يوم القيامة^(٢).

عن حارثة بن وهب رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل^(٣) جواظ^(٤) مستكبر^(٥)».

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «احتجت الجنة والنار فقالت النار: في الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: في ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتي، أرحم بك من أشياء، وإنك النار عذابي أعذب بك من أشياء، ولكليكما علي ملؤها^(٦)».

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «إن أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون^(٧)».

(١) يفوص في الأرض، ويضطرب.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٣) الغليظ الجافي.

(٤) المجموع المنوع الضخم المختال في مشيته.

(٥) أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

(٦) مسلم (٢٨٤٧)، واللفظ للإمام أحمد في «المسند» (٧٩/٣).

(٧) صحيح - أخرجه أحمد (١١٤/٢)، والحاكم (٤٩٩/٢)، وصححه الحاكم على

شرط مسلم، ووافقه الذهبي

قلت: وهو كما قال.

وله شواهد عن سراقه بن مالك، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان رضي الله =

وعنه عن النبي ﷺ؛ قال: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»^(١).

عن عياض بن حمار رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - الكبر والعجب والتفاخر من كبائر الذنوب التي تستحق غضب الله ومقته وعذابه في الدنيا والآخرة.

٢ - إذا وقعت هذه الذنوب ممن انتفت عنه دواعيها كانت أكبر وأعظم فالكبر إذا وقع من فقير وهو لا يملك شيئاً يدعو للكبر كان ذلك دالاً على استخفافه واستهزائه وقلة ورعه وضعف دينه.

٣ - حقيقة الكبر؛ أنه تجرؤ على مقام الله، فمن تكبر على المتكبر جل جلاله كان حقاً على الله أن يعذبه ويدخله النار.

= عنهم.

(١) حسن - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧)، والترمذي (٢٤٩٢)، وأحمد (١٧٩/٢)، ونعيم بن حماد في «زوائد الزهد» (١٥١).

من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

قلت: حسنه الترمذي، وهو كما قال.

(٢) مسلم (٢٨٦٥) (٦٤).

٤ - العجب من المهلكات، ومن اتصف به ساءت عاقبته في الدنيا والآخرة.

٥ - التفاخر يولد البغي وقطيعة الرحم، وكلاهما ذنبان معجلان في الدنيا قبل الآخرة.

وقد بسطت ما يتعلق بمسألة الباب في كتابي «التواضع» (ص ٣٥ وما بعدها).

٦٣٨ - باب تغليظ تحريم المجاهرة وإشاعة الفاحشة

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - تغليظ الزجر عن المجاهرة بالمعاصي.

٢ - المجاهرة بالمعاصي فيها خمس جنايات:

أ - الذنب نفسه.

(١) البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).

- ب - ذكره بعد إتيانه .
- ت - كشف ستر الله الذي أسدله عليه .
- ث - تحريك الرغبة في الشر فيمن أسمعته ذنبه أو أشهده فعله .
- ج - ترغيب غيره فيه ، والحمل عليه ، وتهئية الأسباب له .
- ٣ - المجاهرة تدعو إلى استمرار المعصية واستصغارها وإفهامها ، ومن عمل معصية ودعا إليها فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء ؛ لأن الدال على الشر كفاعله .
- ٤ - المجاهرة بالذنب تجعله كبيراً وإن كان صغيراً .
- ٥ - المجاهر بالمعاصي يستخف بالله ورسوله وبصالح المؤمنين ، ولذلك لا يستحق عفو الله ورحمته ، لأنه بارزه بالمعاصي .
- ٦ - غيبة المجاهر بالمعاصي لا تعد مذمومة ، فقد ذكرها أهل العلم في الوجوه المستثناة .

٦٣٩ - باب ما يكره من الأسماء

- عن سعيد بن المسيب عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال : « ما اسمك ؟ » قال : حَزَنٌ^(١) ؛ قال : « أنت سهل » ؛ قال : لا أغير اسماً سمانيه أبي . قال ابن المسيب : فما زالت الحزونة فينا بعد^(٢) .
- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ غير اسم عاصية وقال : « أنت جميلة »^(٣) .

(١) من الحزونة : وهي غلظ الوجه وشيء من القساوة .

(٢) أخرجه البخاري (٦١٩٠) .

(٣) مسلم (٢١٣٩) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: كانت جويرية اسمها بَرَّة، فَحَوَّلَ رسول الله ﷺ اسمها جويرية، وكان يكره أن يقال: خرج من عند بَرَّة^(١).

عن أسامة بن أخدري رضي الله عنه: أن رجلاً يقال له أصرم كان في النفر الذين أتوا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ما اسمك؟» قال: أصرم. قال: «بل أنت زرعة»^(٢).

عن أبي شريح الحارثي رضي الله عنه: أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ؛ فقال: «إن الله هو الحكم، وإليه الحكم، فلم تُكْنَى أبا الحكم؟» فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، ف رضي كلا الفريقين. فقال رسول الله ﷺ: «ما أحسن هذا، فمالك من الولد؟» قال: لي شريح، ومسلم، وعبدالله؛ قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شريح. قال: «فأنت أبو شريح»^(٣).

● من فقه (الباب):

- ١ - استحباب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه.
- ٢ - كراهة الأسماء التي تدل على شؤم، أو تزكية للنفس، أو تدعو

(١) مسلم (٢١٤٠).

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٩٥٤).

قلت: إسناده صحيح.

(٣) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٢٢٦/٦ - ٢٢٧).

من طريق يزيد بن شريح عن أبيه عن جده.

قلت: إسناده صحيح.

للفتنة، أو بصفة لله تعالى، أو اسم شيطان أو معصية.

٣ - قال أبو داود في «سننه» (٢٨٩/٤): «وغير النبي ﷺ اسم العاص، وعزيز، وعتلة، وشيطان، والحكم، وغراب، وخباب، وشهاب فسماه هشاماً، وسمى حرباً مسلماً، وسمى المضطجع المنبعث، وأرضاً تسمى عفرة سماها خضرة، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى، وبنو الزينة سماهم بني الرشدة، وسمى بني مُغويه بني رِشْدَه». قال أبو داود: تركت أسانيداً للاختصار^(١).

٦٤٠ - باب الزجر عن قول المرء: قبح الله وجهك

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «لا يقولن أحدكم قَبَحَ الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته^(٢)»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - تحريم قول المرء لأخيه: قَبَحَ الله وجهك ووجه من أشبه وجهك.

(١) قال الحافظ في «فتح الباري» (٥٧٧/١٠): «وأسانيداً مبينة في كتابي في الصحابة».

(٢) على صورة آدم؛ لأن الضمير يعود على أقرب مذكور، وقد صرح بذلك في حديث أبي هريرة عند البخاري مرفوعاً بلفظ: «خلق الله آدم على صورته ستون ذراعاً».

(٣) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٧٢ و ١٧٣)، وأحمد (٢٥١/٢ و ٤٣٤)، وابن حبان (٥٧١٠)، واللفظ له، والحميدي (١١٢٠) وغيرهم.

قلت: هو صحيح.

٢ - إذا شتم المسلم أخاه وقال له: «قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك»، شمل الشتم آدم عليه السلام، فإن وجه المشتوم يشبه وجه آدم، لأن الله خلق آدم على هذه الصورة التي نشاهدها في أنفسنا. قال ابن حبان: «يريد به على صورة الذي قيل له: قبح الله وجهك من ولده، والدليل على أن الخطاب لبني آدم دون غيرهم قوله ﷺ: «وجه من أشبه وجهك»؛ لأن وجه آدم في الصورة تشبه صورة ولده».

٦٤١ - باب زجر المرء أن يستعمل في أسبابه اللو

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي^(١) خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير^(٢)، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(٣).

● من نقه (الباب):

١ - الزجر عن قول «لو أني فعلت كذا وكذا»، لأن ذلك دال على عدم الانقياد لحكم الله والرضى بما قدره الله، فإن ما قدره الله كائن لا راد له، واستخدام لو في هذه الحال يلقي في القلب معارضة القدر، ويوسوس به الشيطان.

(١) في إيمانه وعزيمته وعبادته وجهاده.

(٢) لاشتراكهما في أصل الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من الطاعات.

(٣) مسلم (٢٦٦٤).

٢ - إذا استخدم لو في مستقبل لا اعتراض فيه على قدر أو قالها
تأسفاً على ما فات من طاعة الله فلا بأس بذلك وعلى ذلك تحمل
الأحاديث الواردة في السنة النبوية.

٣ - الزجر في الباب للتحريم؛ لأن ما يفتح عمل الشيطان ويورث
العجز ويفضي إلى الحسرة، لا شك في تحريمه، خلافاً لمن قال النهي
للتنزيه، والله أعلم.

٤ - الندم على ما فات لا يعيده، وعلى الإنسان أن يجتهد في
تعويضه بالرضى بما قدر الله، والازدياد من الطاعات القادمة.

٥ - الندم على ما فات من أحاييل الشيطان يفسد فيها قلب
الإنسان؛ فيحزنه ويقنطه من رحمة الله.

٦٤٢ - باب الزجر عن قول المرء لما حرث: زرعت

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا
يقولن أحدكم: زرعت، ولكن ليقل: حرثت».

قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قول الله تبارك وتعالى:
﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿ [الواقعة: ٦٣،
٦٤] ^(١).

(١) صحيح - أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١١٤/٢٧)، وابن حبان
(٥٧٢٣)، والبزار (١٢٨٩)، والبيهقي (١٣٨/٦)، وأبو نعيم في «الحلية»
(٢٦٧/٨)، والطبراني في «الأوسط» (٨٠٢٤).

من طريق مسلم بن أبي مسلم قال: حدثنا مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن
ابن سيرين عنه به.

● من فقه الباب:

١ - الزجر عن قول المرء: زرعت، بل حرثت؛ لأن المرء يحرث وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها ولا يملك أن ينبته، فإن الله تعالى هو الذي ينبته.

٢ - الله سبحانه وتعالى هو الذي ينبت الزرع، ولذلك كان بعض السلف إذا قرأ ﴿أَنْتَ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤]؛ قال: بل أنت يا رب.

٦٤٣ - باب ما يكره من كثرة الشعر

قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا * وَسِعَعُوا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يمتلىء جوف رجل قيحاً حتى يريه»^(٢) خير من أن يمتلىء

= قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٢٠/٤): «وفيه مسلم بن أبي مسلم الجرمي ولم أجد من ترجمه».

قلت: ترجمه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠٠/١٣)؛ وقال: «وكان ثقة». وذكره ابن حبان في «الثقات» (١٨٩/٩).

(١) أخرجه البخاري (٦١٥٤).

(٢) داء يأكل جوفه ويفسده.

شعراً^(١).

عن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً يريه خير من أن يمتلىء شعراً»^(٢).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعُجَاج^(٣) إذ عرض شاعر ينشد، فقال ﷺ: «خذوا الشيطان، أو امسكوا الشيطان، لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً، خير له من أن يمتلىء شعراً»^(٤).

وفي الباب عن عوف بن مالك رضي الله عنه.

● من فقه الباب:

١ - أحاديث الباب محمولة على من تجرد للشعر بحيث يكثر فيه ويغلب عليه، فيشغله عن القرآن، والذكر، والواجبات، ولذلك قال الحافظ في «فتح الباري» (٥٥٠/١٠): «مناسبة هذه المبالغة في ذم الشعر أن الذين خوطبوا بذلك كانوا في غاية الإقبال عليه والاشتغال، فزجرهم عنه ليقبلوا على القرآن وعلى ذكر الله تعالى وعبادته، فمن أخذ من ذلك ما أمر به لم يضره ما بقي عنده ما سوى ذلك، والله أعلم».

٢ - لا فرق في ذلك بين من ينشئ الشعر، أو يتعانى حفظه من شعر غيره.

(١) أخرجه البخاري (٦١٥٥)، ومسلم (٢٢٥٧).

(٢) مسلم (٢٢٥٨).

(٣) قرية من عمل الفرع.

(٤) مسلم (٢٢٥٩).

٣ - الشعر الفاحش، والقول البذي، حرام وإن قلَّ، فمن حمل الأحاديث على كثير الشعر القبيح لا معنى له.

٦٤٤ - باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة»^(١).

وعنه أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة»^(٢)، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة»^(٣).

وعنه أيضاً عن النبي ﷺ: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه، ولم يصلوا على نبيهم فيه، إلا كانت عليهم ترة، فإن شاء

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٨٥٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٠٨)، وأحمد (٣٨٩/١) و٥١٥ و٥٧٢، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٤٧)، والحاكم (٤٩٢/١).

قلت: صححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

(٢) تبعة أو حسرة أو نقص.

(٣) صحيح لغيره - أخرجه أبو داود (٤٨٥٦) و٥٠٥٩، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٠٤) - وزاد: «ومن قام مقاماً لم يذكر اسم الله فيه كانت عليه من الله ترة»، والحميدي في «مسنده» (١١٥٨) شطره الأول، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧٤٥) شطره الأخير.

من طريق محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عنه به.

قلت: إسناده حسن، ويشهد له ما قبله؛ فيصح به.

عذبهم، وإن شاء غفر لهم»^(١).

● من نقه (الباب):

١ - كراهة أن يقوم الرجل من مجلسه ولم يذكر الله تعالى، فإن هذا نقص وحسرة.

٢ - كل وقت لا يشغل بطاعة الله عاقبته الحسرة والندامة يوم القيامة.

٣ - كل من جلس مجلساً، وغفل عن ذكر الله استحق العذاب من الله، وذلك أن من نسي ذكر الله والصلاة والسلام على رسوله كانوا في وقوفهم عند حدود الله أكثر نسياناً؛ فيقعون في الحرام، وما يسخط الله، ويعذبون بسبب ما ارتكبوه.

٤ - كمال المجالس بذكر الله؛ فإنها لا تطيب إلا بذكر الله

(١) صحيح بطرقة - أخرجه الترمذي (٣٤٤٠ - تحفة)، وأحمد (٤٤٦/٢) و٤٥٣ و٤٨١ و٤٨٤ و٤٩٥)، والحاكم (٤٩٦/١).

من طرق عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة به.
قال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من غير وجه.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وصالح ليس بالساقط.
وتعقبه الذهبي بأن صالحاً ضعيف.

قلت: صدق الذهبي، فإن صالحاً ضعيف؛ لاختلاطه، ولكنه لم ينفرد به بل تابعه جماعة - كما ذكر الترمذي - منهم: أبو صالح السمان ذكوان.

أخرجه أحمد (٤٦٣/٢)، وابن حبان (٢٣٢٢)، والحاكم (٤٩٢/١).

قلت: إسناده صحيح.

والصلاة والسلام على رسول الله، ولذلك فإن المجالس التي لا يذكر الله فيها لا خير فيها.

٦٤٥ - باب تغليظ تحريم الغناء

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَاطٌ فَلَنَبَِّشَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [القمان: ٦، ٧].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

وقال: ﴿أَفَنَ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْبُودُونَ * وَتَصْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦١].

وقال: ﴿وَأَسْتَفْزِزُ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِم بِخَبْلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ مَا يُعَدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤].

عن أبي عامر - أو أبي مالك - الأشعري رضي الله عنه سمع النبي ﷺ يقول: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحرَّ، والعمر، والمعاذف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم لحاجة فيقولوا: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسح آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»^(١).

عن عائشة قالت: دخل عليّ رسولُ الله ﷺ وعندي جاريتان

(١) سبق تخريجه (ص ١٦٦).

تغنيان بغناء بُعث، فاضطجع على الفراش وحول وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ، فأقبل عليه رسول الله عليه السلام فقال: «دعهما»، فلما غفل غمزتهما فخرجتا^(١).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال رسول الله ﷺ: «صوتان ملعونان: صوت مزمار عند نعمة، وصوت ويل عند مصيبة»^(٢).

عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ؛ قال: «لا تبيعوا القينات، ولا تشتروهن، ولا تعلّموهن، ولا خير في تجارة فيهن، وثمانهن حرام. في مثل هذا أنزلت هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]»^(٣).

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «في هذه الأمة خسف، ومسح، وقذف، إذا ظهرت القيان، والمعازف، وشربت الخمر»^(٤).

والأحاديث في الباب كثيرة.

● من نقه (الباب):

١ - تغليظ تحريم الغناء والاستماع إليه، وعلى ذلك أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين، ولذلك قال البغوي في «شرح السنة»

(١) البخاري (٩٤٩)، ومسلم (٨٩٢).

(٢) «الصحيح» (٤٢٧).

(٣) مضي تخريجه (٢/٢٦٩).

(٤) «الصحيح» (٢٢٠٣).

(٣٨٣/١٢): «واتفقوا على تحريم المزامير والملاهي والمعازف» ولا نعلم خلافاً إلا ما ذكر عن ابن حزم ومن قلده في هذا العصر، ولشيخنا رسالة ماتعة في تفنيد دعواه.

٢ - مضار الغناء لا تعد ولا تحدد فهو: ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع، ورقية الزنى، وشعار الفساق وشاربي الخمر.

٣ - لا يجوز تعاطي شيئاً من أسبابه، ولا مجالسة أربابه، فإنهم كنافخ الكير.

٤ - وللمغنيين والمفتونين بالسماع شبه ذكرها ابن قيم الجوزية وأتى على أصولها ونقضها نقضاً في كتابيه «الكلام على مسألة السماع» و«إغاثة اللهفان»؛ فعليك بهما تكن على حق في هذه المسألة.

٥٧) كتاب الاستئذان

٦٤٦ - باب النهي عن النجوى دون إذن

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَرَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة: ١٠].

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى إثنان دون الثالث»^(١).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى إثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يحزنه»^(٢).

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه.

● من فقه (الباب):

١ - النجوى بالإثم والعدوان حرام مطلقاً لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨٨)، ومسلم (٢١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤).

الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَ عَنْهُ وَيَنْتَجِبُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيَقْسُوا الْقُلُوبَ عَلَى الَّذِينَ فِيهَا أُولَئِكَ عَدُوٌّ لَكَ ذَلِكُمْ فَإِنْ أَتَوْا بِبُرْهَانٍ كَرِيمٍ فَلَا تَنْتَجِبْ لَهُمْ وَلَكِنَّكُمْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَالْعَدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنْجَوا بِالْبَرِّ وَالنَّقْوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٨، ٩﴾ [المجادلة: ٨، ٩].

٢ - تناجي الاثنين دون الثالث حرام؛ لأن ذلك يؤدي إلى إيذائه وحزنه وهذا محرم بنص القرآن: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا ظَاهِرًا أُولَئِكَ سَيُعَذِّبُ اللَّهُ النَّاسَ فِي آيَاتِهِ وَلَهُ الْعَذَابُ عَظِيمٌ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

٣ - إذا زاد عدد الوجود عن الثلاثة، جاز تناجي الاثنين، بشرط أن لا يكون في الإثم والعدوان، فقد وردت زيادة تدل على ذلك. قال أبو صالح: قلت لابن عمر: فأربعة؟ قال: لا يضررك^(١).

عن عبدالله بن دينار؛ قال: كنت أنا وعبدالله بن عمر عند دار خالد بن عقبة التي بالسوق، فجاء رجل يريد أن يناجيه، وليس مع عبدالله أحد غيري وغير الرجل الذي يريد أن يناجيه. فدعا عبدالله بن عمر رجلاً آخر حتى كنا أربعة فقال لي وللرجل الذي دعاه: استأخرا شيئاً، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يتناجى اثنان دون واحد»^(٢).

قال البخاري (٨٢/١١ - فتح) باب «إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة».

(١) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٧٠)، وأبو داود (٤٨٥٢)، وأحمد (١٨/٢) و١٤١ و١٤٢، وابن أبي شيبة (٥٨١/٨ و٥٨٢)، وابن حبان (٥٨٤).

قلت: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) صحيح - أخرجه مالك (٩٨٨/٢)، ومن طريقه البغوي (٣٥٠٩)، وابن حبان (٥٨٢). قلت: إسناده صحيح.

قال البغوي (٩١/١٣): «فيه دليل على أن المسارة في الجمع، وحيث لا رية جائزة والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب».

٤ - تناجي الاثنين دون الثالث جائز في حالتين:

أ - أن يأذن بذلك .

ب - أن يختلطوا في الناس .

٥ - استنبط بعض أهل العلم من الحديث عدم جواز تناجي ثلاثة دون واحد ولا عشرة؛ لأنه نهى أن يترك واحداً، وترك الجماعة للواحد كترك الاثنين للواحد، وهو حسن .

٦ - لا يجوز لأحد أن يدخل بين المتناجين في حال تناجيهما .

٧ - حمل بعض أهل العلم أحاديث الباب على السفر، وهذا تحكم وتخصيص لا دليل عليه، لأن ظاهر الأحاديث يأباه، وعلة التحريم غير منتفية في الحضر والعمار، فوجب أن يعم النهي السفر والحضر جميعاً، والله أعلم .

٦٤٧ - باب النهي أن يقام الرجل من مجلسه

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نهى النبي ﷺ أن يقيم الرجل أخاه من مقعده ويجلس فيه»^(١).

وفي رواية: «ولكن تفسحوا وتوسعوا».

وفي أخرى: كان ابن عمر إذا قام له رجل عن مجلسه لم يجلس فيه .

(١) أخرجه البخاري (٩١١)، ومسلم (٢١٧٧).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة، ثم ليخالف إلى مقعده فيقعده فيه، ولكن يقول تفسحوا»^(١).

● من فقه (الباب).

- ١ - حرمة إقامة الرجل من مجلسه والجلوس مكانه.
- ٢ - السنة في التوسع وهو قول: تفسحوا يفسح الله لكم.
- ٣ - ذهب بعض أهل العلم إلى أن فعل ابن عمر رضي الله عنهما من باب الورع.

قلت: بل هو من باب التزام النهي الذي يفيد التحريم، لأنه ولو لم يقم الرجل بل قام من تلقاء نفسه، فإن الجلوس مكانه من باب إعانة القائم على الإثم والعدوان، فأراد ابن عمر رضي الله عنهما أن يسد هذا الباب، لأن ما يفضي إلى الحرام حرام.

وثمة أمر آخر وهو: أن القائم قد يكون فعل ذلك استحياء دون رغبة، فالجلوس مكانه يفسد قلبه أما عدم الجلوس فيكبت وسوسة الشيطان وشيء آخر أن تصدر المجالس أمر غير مستحب، والجلوس مكان القائم يفضي إلى ذلك.

وبهذه الأمور مجتمعة نعلم أن فعل ابن عمر رضي الله عنهما من باب التزام السنة وبيان لها، وأن الإنسان أولى بمجلسه، يؤكد حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قام أحدكم من

(١) مسلم (٢١٧٨).

مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به»^(١)، فإذا كان أحق به بعد رجوعه فهو أحق به قبل أن يقوم.

٤ - هذا النهي لا يختص بيوم الجمعة؛ كما هو ظاهر حديث جابر بل جميع المجالس، ولذلك قال نافع في حديث ابن عمر عندما سئل: الجمعة؟ فقال: الجمعة وغيرها.

٦٤٨ - باب الزجر عن الجلوس بين رجلين إلا بإذنهما

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُجلس بين رجلين إلا بإذنهما»^(٢).
وعنه أيضاً عن رسول الله ﷺ: «لا يحل لرجل أن يُفَرِّق بين اثنين إلا بإذنهما»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - النهي عن الجلوس بين اثنين إلا بإذنهما.

٦٤٩ - باب النهي عن انصراف الزائر قبل الاستئذان

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إذا زار أحدكم أخاه، فجلس عنده، فلا يقومنَّ حتى يستأذنه»^(٤).

(١) مسلم (٢١٧٩).

(٢) حسن - أخرجه أبو داود (٤٨٤٤).

قلت: إسناده حسن.

(٣) حسن - أخرجه أبو داود (٤٨٤٥)، والترمذي (٢٧٥٢)، بإسناد حسن.

(٤) صحيح - أخرجه أبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (١٩٩)، وعده من

حسان حديث يحيى بن واقد.

قلت: إسناده صحيح، وصححه شيخنا حفظه الله في «الصحيحة» (١٨٢).

● من فقه (الباب:

قال المناوي في «فيض القدير» (١/٣٦٦): «لا يقوم لينصرف إلا بإذنه، لأنه أمير عليه كما في الخبر المار، ولثلا يفوته ما عساه يشرع فيه من إكرامه بنحو ضيافة، والأمر للندب، وهذا من مكارم الأخلاق وحسن الإخاء».

٦٥٠ - باب النهي عن الجلوس على الطرقات إلا بحقها

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «ياكم والجلوس في الطرقات»؛ فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بُدّ، نتحدث فيها. فقال: «إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه». قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ نهى عن المجالس بالصعداء، فقالوا: يا رسول الله ليشق علينا الجلوس في بيوتنا؟ قال: «فإن جلستم فأعطوا المجالس حقه؟» قالوا: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «إدلال السائل، ورد السلام، وغض الإبصار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٩)، ومسلم (٢١٢١).

(٢) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٤٩)، وأبو داود (٤٨١٦)، وابن حبان (٥٩٦)، والبيهقي في «شرح السنة» (٣٣٣٩)، والحاكم (٢٦٤/٤) و (٢٦٥)، من طرق عنه. قلت: وهو صحيح.

عن البراء رضي الله عنه؛ قال: مرَّ النبي ﷺ على مجلس الأنصار فقال: «إن أبيتم إلا أن تجلسوا فاهدوا السبيل، وردوا السلام، وأغيثوا الملهوف»^(١).

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أتى علينا رسول الله ﷺ ونحن جلوس على الطريق، فقال: «ياكم والجلوس على هذه الطرق؛ فإنها مجالس الشيطان، فإن كنتم لا محالة، فأدوا حق الطريق» ثم مضى رسول الله عليه السلام، فقلت: قال رسول الله عليه السلام: «أدوا حق الطريق» ولم أسأله ما هو؟ فلحقته، فقلت: يا رسول الله إنك قلت كذا وكذا، فما حق الطريق؟ قال: «حق الطريق أن ترد السلام، وتغض البصر، وتكف الأذى، وتهدي الضال، وتعين

(١) صحيح - أخرجه أبو داود الطيلسي (٧١٠)، والترمذي (٢٧٢٦)، وأحمد (٢٨٢/٤) و٢٩١ و٢٩٣ و٣٠١، وابن حبان (٥٩٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٧٠) - (١٧٢) وغيرهم.

من طريقين عن أبي إسحاق عنه به.

قال شعبة: ولم يسمع أبو إسحاق هذا الحديث من البراء.

وصرح عند الطحاوي (١٧٠) بسماع أبي إسحاق من البراء.

ولذلك قال الطحاوي: وهذا اختلاف شديد على شعبة في هذا الحديث؛ لأنَّ حجاجاً يذكر فيه سماع أبي إسحاق إياه من البراء، وأبو الوليد ينفي ذلك، والله أعلم بالصواب فيه.

قلت: رواية الإثبات مقدمة لوجوه:

أ - المثبت مقدم على النافي.

ب - ثبت سماع أبي إسحاق من البراء جملة.

فالإسناد عندي صحيح؛ فقد انتفت شبهة تدليس أبي إسحاق، وأما اختلاطه؛ فأمناه برواية شعبة وإسرائيل عنه، والله أعلم.

الملهوف»^(١).

وفي الباب عن أبي طلحة، وأبي شريح الخزاعي، وابن عباس، وسهل بن حنيف، ووحشي بن حرب.

● من نقه (الباب).

١ - التحذير الشديد من الجلوس في الطرقات؛ فإنها مجالس الشيطان، إلا بحقها.

قال أبو جعفر الطحاوي في «مشكل الآثار» (١/١٥٨ - ١٥٩): «فتأملنا ما في هذه الآثار، فوجدنا فيها نهي رسول الله ﷺ عن الجلوس بالصعدات، ثم أباح بعد ذلك ما أباحه فيها على الشرائط التي اشترطها على من أباحه ذلك منها: فوقفنا بذلك على أن نهيه كان على الجلوس فيها، أنما كان على الجلوس الذي ليس معه الشرائط التي اشترطها عند إباحة الجلوس فيها على ما آثر أن يجلس فيها، وعلى أن إباحته الجلوس فيها مُضْمَنٌ بالشرائط التي اشترطها في إباحته الجلوس فيها على من أباحه ذلك منها.

وفي ذلك ما قد دل على تباين نهيه ﷺ، وتباين إباحته، وأن كل واحد

(١) حسن لغيره - أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١٦٥)، والبزار (٢٠١٨) - كشف الأستار).

من طريق عبدالله بن سنان حدثنا عبدالله بن المبارك عن جرير بن حازم قال: سمعت إسحاق بن سويد يحدث عن ابن حجر العدوي قال: سمعت عمر بن الخطاب وذكره.

قلت: إسناده ضعيف؛ فيه ابن حجر العدوي، وهو مجهول. ولكن يشهد له ما قبله.

منهما لمعنى ليس في الآخر منهما.

وفي هذه الآثار ما يدل على إباحة الناس الاستعمال من طرقهم العامة ما لا ضرر فيه على أحد من أهلها، وإذا كان ذلك كذلك، كان معقولاً أن الجلوس فيها إن كان مما يضيق على المارين بها جلوس الجالسين بها إياها، غير داخل فيما أباحه عليه السلام منها، وأن ذلك راجع إلى ما في حديث سهل بن معاذ الجهني عن أبيه أن رسول الله عليه السلام أمر منادياً في بعض غزواته لما ضيق الناس المنازل، وقطعوا الطرقات: «أن من ضيق منزلاً وقطع طريقاً فلا جهاد له»^(١).

والواجب على ذوي اللب أن يعقلوا عن رسول الله ﷺ ما يخاطب به أمته، فإنه إنما يخاطبهم به ليوافقهم على حدود دينهم، وعلى الآداب التي يستعملونها فيه، وعلى الأحكام التي يحكمون بها فيه، وأن يعلم أنه لا تضاد فيها وأن كل معنى منها يخاطبهم به يخالف ألفاظه فيه الألفاظ التي قد كان خاطبهم فيما قبله من جنس ذلك المعنى، وأن يطلبوا ما في كل واحد من ذينك المعنيين إذا وقع في قلوبهم أن في ذلك تضاداً أو خلافاً، فإنه يُجرونه بخلاف ما ظنوه فيه، وإن خفي ذلك على بعضهم، فإنما هو لتقصير علمه عنه، لا لأن فيه ما ظنه من تضاد أو خلاف، لأن ما تولاه الله بخلاف ذلك.

كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، والله نسأله التوفيق.

٢ - قال الحافظ في «فتح الباري» (١١/ ١١ - ١٢): «ومجموع ما في هذه الأحاديث أربعة عشر أدباً وقد نظمها في أبيات وهي:

جمعت آداب من رام الجلوس على الطر
يق من قول خير الخلق إنساناً
أفشى السلام وأحسن في الكلام
وشمت عاطساً وسلاماً رد إحساناً
في الحمل عاون ومظلوماً أعن وأغث
لهفان أهد سبيلاً وأهد حيراناً
بالعرف مُر وائنة عن نكر وكف أذى
وغض طرفاً وأكثر ذكر مولانا

وقد اشتملت على معنى علّة النهي عن الجلوس في الطرق من
التعرض للفتن بخطر النساء الشواب، وخوف ما يلحق من النظر إليهن
من ذلك، إذ لم يمنع النساء من المرور في الشوارع لحوائجهن ومن
التعرض لحقوق الله وللمسلمين مما لا يلزم الإنسان إذا كان في بيته
وحيث لا يتفرد أو يشتغل بما يلزمه، من رؤية المناكير وتعطيل
المعارف، فيجب على المسلم الأمر والنهي عند ذلك، فإن ترك ذلك
فقد تعرض للمعصية، وكذا يتعرض لمن يمر عليه يُسلم عليه، فإنه ربما
كثر ذلك فيعجز عن الرد على كل مار، ورده فرض فيأثم، والمرء
مأمور بأن لا يتعرض للفتن وإلزام نفسه ما لعله لا يقوى عليه، فنديهم
الشارع إلى ترك الجلوس حسماً للمادة، فلما ذكروا له ضرورتهم إلى
ذلك، لما فيه من المصالح من تعاهد بعضهم بعضاً، ومذاكرتهم في
أمور الدين، ومصالح الدنيا، وترويح النفوس بالمحادثة في المباح،
دلّهم على ما يزيل المفسدة من الأمور المذكورة.

٦٥١ - باب زجر النساء عن وسط الطريق

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس للنساء وسط الطريق»^(١).

عن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله ﷺ للنساء: «استأخرن فليس لكن أن تُحَقِّقْنَ الطريق، عليكن بحافات الطريق»؛ فكانت المرأة تلتصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها^(٢).

● من فقه الباب:

١ - تحريم مشي النساء في وسط الطريق:

قال ابن حبان: «قوله ﷺ: «ليس للنساء وسط الطريق» لفظة إخبار مرادها الزجر عن شيء مضمّر فيه، وهو مماسة النساء للرجال في المشي، إذ وسط الطريق الغالب على الرجال سلوكه، والواجب على

(١) حسن لغيره - أخرجه ابن حبان (٥٦٠١)، وابن عدي (١٣٢١/٤)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٢٣).

من طريق مسلم بن خالد حدثنا شريك بن أبي نمر عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عنه به.

قلت: إسناده ضعيف؛ لأن مسلم بن خالد - وهو الزنجي - ضعيف لسوء حفظه، ولكن يشهد له ما بعده.

(٢) حسن بما قبله - أخرجه أبو داود (٥٢٧٢)، والبيهقي في «الشعب» (٧٨٢٢)، و«الآداب» (٩٧١).

من طريق شدداد بن أبي عمرو بن حماس عن أبيه عن حمزة ابن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه وذكره مرفوعاً.

قلت: شدداد مجهول، ولكن يشهد له ما قبله، والله أعلم.

النساء أن يتحللن الجوانب حذر ما يتوقع من مماساتهم إياهن».

٢ - السنة أن تمشي المرأة على جانبي الطريق وتبتعد عن مزاحمة الرجال.

قال المناوي في «فيض القدير» (٥/٣٧٩): «بل يمشين في الجنبات ويجتنبن الزحمت».

٦٥٢ - باب تحريم النظر في بيت غيره

عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رجلاً اطلع من جحر في باب رسول الله ﷺ، ومع رسول الله ﷺ مدرى^(١) يحك به رأسه، فما رآه رسول الله ﷺ؛ قال: «لو أعلم أنك تنتظرني لطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»^(٢).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً اطلع من بعض حجر النبي ﷺ؛ فقام إليه بمشقص أو مشاقص^(٣)، فكأنني انظر إلى رسول الله ﷺ يَخْتَلُهُ^(٤) لِيَطْعَنَهُ^(٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم، فقد حلّ لهم أن يققوا عينه»^(٦).

(١) حديدة أو خشبة يسوى به الشعر المتلبد تشبه المشط.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٤١)، ومسلم (٢١٥٦).

(٣) جمع مشقص، وهو نضل عريض السهم.

(٤) يراوغه ويستغفله.

(٥) أخرجه البخاري (٦٢٤٢)، ومسلم (٢١٥٧).

(٦) أخرجه البخاري (٦٨٨٨)، ومسلم (٢١٥٨).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم النظر في بيت غيره عن قصد، وأما من وقع بصره دون قصد فليصرفه.

٢ - شرع الاستئذان من أجل البصر.

٣ - من تعمد النظر في بيت غيره، فأبصره أهل البيت؛ ففقؤوا عينه، فهي هدر؛ فلا دية ولا قصاص.

٦٥٣ - باب زنى الجوارح دون الفرج

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب على ابن آدم حظّه من الزنى أدرك ذلك لا محالة، فزنى العينين النظر، وزنى اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم تعمد النظر وعدم غض البصر؛ لأنه زنى العينين.

٢ - سميت هذه المعاصي زنى؛ لأنها وسيلة إلى الزنى الحقيقي، وبذلك يتبين أن ما أفضى إلى حرام فله حكمه.

٦٥٤ - باب النهي عن إفشاء السر

قال رسول الله ﷺ: «لا يتجالس قوم إلا بالأمانة»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

(٢) «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٧٦٠٤).

عن ثابت عن أنس قال: أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان؛ قال: فسَلَّم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة. قالت: ما حاجته. قلت: إنها سرٌّ. قالت: لا تحدثنَّ بسرِّ رسول الله ﷺ أحداً.

قال أنس: والله لو حدّثت به أحداً لحدّثتك يا ثابت^(١).

● من نقه الباب:

- ١ - المجالس أمانة، فلا يحل لأحد أن يفشي سر غيره.
قال المناوي (٤٤٣/٦): «وهو خبر بمعنى النهي».
- ٢ - كتم سر الإخوان وعدم إفشائه من كرم الأخلاق والآداب الإسلامية.
- ٣ - والذي ينبغي أن يعلم في باب حفظ السر، أنه لا يجوز البوح به إذا كان على صاحبه مضرة في حياته، فإذا مات وعلم أنه يلحق به غضاظة فحكمه لو كان صاحبه حياً.
- وأما إذا كان في حفظ السر سفك دم حرام، أو هتك فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق، فحفظه حينئذ حرام بل يجب التحذير من ذلك، والله أعلم.

٦٥٥ - باب النهي عن الكلام قبل السلام

عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨٩)، ومسلم (٢٤٨٢) واللفظ له.

«السلام قبل السؤال، فمن بدأكم بالسؤال قبل السلام فلا تجيبوه»^(١).
 عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال:
 «لا تأذنوا لمن لم يبدأ بالسلام»^(٢).
 ● من فقهه (الباب):

- ١ - النهي عن السؤال أو الاستئذان قبل السلام.
- ٢ - من سأل قبل السلام فلا يجاب.
- ٣ - من استأذن قبل السلام فلا يؤذن له، وينبغي أن يُعَلِّمَ؛ فعن رجل من بني عامر: أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أَلْحُ؟ فقال النبي ﷺ: «أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل: السلام عليكم أَدْخِلْ»؛ فسمعه الرجل. فقال: السلام عليكم؛ أَدْخِلْ، فأذن له النبي ﷺ فدخل^(٣).

٦٥٦ - باب النهي عن تحية الموتى

عن أبي جُرَيِّ جابر بن سليم رضي الله عنه؛ قال: رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه؛ لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه؛ قلت: من هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ. قلت: عليك السلام يا رسول الله - مرتين - قال: «لا تقل عليك السلام، عليك السلام تحية الموتى، قل: السلام

(١) حسن، «الصحيح» (٨١٦).

(٢) حسن، «الصحيح» (٨١٧).

(٣) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٨٤)، أبو داود (٥١٧٧) وغيرهما.

قلت: إسناده صحيح.

وله شاهد من حديث صفوان بن أمية رضي الله عنه.

عليك»^(١).

● من فقه الباب:

- ١ - الزجر عن تحية الموتى وهي: عليك السلام.
 - ٢ - ظن بعض الناس أن تحية الموتى تختلف عن تحية الأحياء، واستدلوا بحديث الباب، ورده الخطابي في «معالم السنن» (٤٨/٦) - (٥٠) بقوله: «عليك السلام تحية الميت»، يوهم أن السنة في تحية الميت أن يقال له: عليك السلام كما يفعله كثير من العامة.
 - وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه دخل المقبرة، فقال: «السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين»، فقدم الدعاء على اسم المدعو له كما هو في تحية الأحياء.
 - وإنما قال ذلك القول منه إلى ما جرت به العادة منهم في تحية الأموات، إذ كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء، وهو مذكور في أشعارهم؛ كقول الشاعر:
- عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحمنا
وكقول الشماخ:
- عليك سلام من أديم وباركت يدالله في ذاك الأديم الممزق
- فالسنة لا تختلف في تحية الأحياء والأموات، بدليل حديث أبي هريرة الذي ذكرناه، والله أعلم.

(١) مضى تخريجه (ص ٢٠٦).

٦٥٧ - باب تحريم ابتداء الكافر بالسلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه^(١) إلى أضيقه»^(٢).

عن أبي بصرة الغفاري: عن النبي ﷺ؛ قال: «إني راكب غداً إلى يهود، فلا تبدؤوهم بالسلام، فإذا سلموا عليكم فقولوا: وعليكم»^(٣).

● من فقه (الباب):

١ - تحريم ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

٢ - إذا كان المجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين يُسَلَّم عليهم بلفظ التعميم ويقصد المسلمين؛ لحديث أسامة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ مرَّ على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين - عبدة الأوثان واليهود - فسَلَّم عليهم النبي ﷺ»^(٤).

٦٥٨ - باب الزجر عن التسليم بالأكف والأصابع

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ؛ قال: «ليس منا من تشبه بغيرنا، ولا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة

(١) أَلْجَئُوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ.

(٢) مسلم (٢١٦٧).

(٣) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠١٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٨٨)، وابن ماجه (٣٦٩٩).

قلت: وهو صحيح.

(٤) البخاري (٦٢٥٤)، ومسلم (١٧٩٨).

بالأُكْف»^(١).

● من فقه الباب.

١ - الزجر عن التشبه باليهود والنصارى في التسليم بالكفوف، وقد سرت هذه العادة الخبيثة إلى العسكر عندما يحيون قوادهم، وهي من مخلفات الغرب الصليبي المستعمر.

٢ - ولا يرد على الباب حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ مر في المسجد يوماً، وعصبة من النساء قعود فألوى بيده بالتسليم»؛ لأن الإشارة فيه منكرة؛ كما بينته في كتابي «بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين» (٢/ ١٣٤ - ١٣٦)، وبينت خطأ قول النووي رحمه الله: «وهذا محمول على أنه ﷺ جمع بين اللفظ والإشارة».

٦٥٩ - باب الزجر عن سلام المعرفة

عن طارق بن شهاب قال: كنا عند عبدالله جلوساً، فجاء رجل فقال: قد أقيمت الصلاة. فقام وقمنا معه فلما دخلنا المسجد؛ رأينا الناس ركوعاً في مقدم المسجد، فكبر وركع، وركعنا، ثم مشينا وصنعنا مثل الذي صنع، فمر رجل يسرع فقال: عليك السلام يا أبا

(١) صحيح لغيره - أخرجه الترمذي (٢٦٩٥) حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وقال: «هذا حديث ضعيف».

قلت: كلا بل إسناده حسن؛ لأن قتيبة بن سعيد ممن صحت روايتهم عن ابن لهيعة، وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده حديثه حسن.

وله شاهد من حديث جابر أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٠)، وفيه عننة أبي الزبير، ولكن الحديث به صحيح.

عبدالرحمن، فقال: صدق الله ورسوله. فلما صلينا ورجعنا دخل إلى أهله؛ جلسنا، فقال بعضنا لبعض: أما أسأله، فسأله حين خرج، فذكر عن النبي ﷺ: «أن بين يدي الساعة: تسليم الخاصة، وفشو التجارة؛ حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور؛ وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم»^(١).

وفي رواية: «إن من أشراط الساعة إذا كانت التحية على المعرفة»^(٢).

وفي أخرى: «أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه إلا للمعرفة»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - الزجر عن سلام المعرفة؛ لأن ذلك ينافي مقصد السلام.

٢ - السنة إفشاء السلام على من تعرف ومن لا تعرف؛ لأن المؤمنين إخوة؛ كما في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن

(١) صحيح - أخرجه أحمد (٤٠٧/١ - ٤٠٨)، بإسناد صحيح.

وروى البزار (٣٤١٧ - كشف الأستار) الجملة الأولى منه وزاد: «وأن يجتاز الرجل بالمسجد لا يصل فيه».

(٢) حسن لغيره - أخرجه أحمد (٣٨٧/١).

قلت: إسناده فيه مجالد بن سعيد، وفيه ضعف، لكن يشهد له ما بعده.

(٣) حسن لغيره - أخرجه أحمد (٤٠٥/١ - ٤٠٦).

قلت: إسناده فيه شريك بن عبدالله، وهو سيء الحفظ، لكن يصلح للمتابعات والشواهد.

رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لا تعرف»^(١).

٦٦٠ - باب كراهة قول المستأذن: أنا

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي، فذقت الباب. فقال: من ذا؟ فقلت: أنا. فقال: «أنا أنا، كأنه كرهها»^(٢).

● من فقه الباب:

- ١ - كراهة قول المستأذن: أنا، إذا قيل من ذا؟ لأنه ليس فيه بيان فيؤدي إلى الالتباس، ومن حق صاحب البيت أن يعرف اسم المستأذن.
- ٢ - كان من هدي السلف إذا استأذنوا ذكروا أسماءهم؛ فعن ابن عباس؛ قال: استأذن عمر على النبي ﷺ: فقال: «السلام على رسول الله، السلام عليكم، أيدخل عمر»^(٣).

٦٦١ - باب الزجر عن ترك النار في البيت عند النوم

عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون»^(٤).

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: قال: احترق بيت

(١) أخرجه البخاري (٦٢٣٦)، ومسلم (٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٥٠) والسياق له، ومسلم (٢١٥٥).

(٣) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب» (١٠٨٥)، وأبو داود (٥٢٠١)، والنسائي في

«عمل اليوم والليلة» (٣٢١ و ٣٢٢)، وأحمد (٣٠٣/١)، وغيرهم وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٩٣)، ومسلم (٢١٠٥).

بالمدينة على أهله من الليل، فَحَدَّثَ بِشَأْنِهِمُ النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقَالَ: «إِنْ هَذِهِ النَّارُ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ فَإِذَا نَمْتَمُ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ»^(١).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ؛ قَالَ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ، وَأَطْفِئُوا السَّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سَقَاءَ، وَلَا يَفْتَحُ بَاباً، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدَكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْزُضَ عَلَى إِنَائِهِ عَوْدًا، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفَوَيْسِقَةَ^(٢) تُضْرِمُ^(٣) عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ»^(٤).

● مِنْ فَقْهِ الْبَابِ:

١ - الزجر عن ترك النار سواء أكانت في السراج أو غيره؛ لأن الأمر بالإطفاء يتعدى لكل مشتعل، فربما أدى إلى الاحتراق أو الاختناق.

٢ - ذكر في حديث ابن عمر الزجر عن ترك النار في البيوت عند النوم، وفي حديث أبي موسى حكمة النهي وهي خشية الاحتراق، لأن النار عدو لكم في أموالكم وأبدانكم، وحديث جابر علة الخشية وأن الفأرة ربما جَرَّتْ الْفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ الْبَيْتَ.

٦٦٢ - بَابُ إِثْمٍ مِنْ أَحَبَّ أَنْ يَتِمَثَّلَ لَهُ النَّاسُ قِيَامًا

عن أبي مجلز؛ قَالَ: إِنْ مَعَاوِيَةَ خَرَجَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ

(١) أخرجه البخاري (٦٢٩٤)، ومسلم (٢١٠٦).

(٢) الفأرة.

(٣) تحرق سريعاً.

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٩٥) مختصراً، ومسلم (٢٠١٢) واللفظ له.

ابن الزبير قعود، فقام ابن عامر وقعد ابن الزبير - وكان أرزنها - فقال معاوية: قال النبي ﷺ: «من سره أن تمثّل له عبادة الله قياماً فليتبوأ بيتاً من النار»^(١).

عن أنس رضي الله عنه؛ قال: «ما كان في الدنيا شخص أحب إليهم رؤية من النبي ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له، لما كانوا يعلمون من كراهته لذلك»^(٢).

● من فقه الباب:

- ١ - تحريم حب الداخل على الناس أن يقوموا له.
- ٢ - كراهة القيام من الجالسين للدخل ولو كان لا يحب القيام، لأنهم بقيامهم يتعاونون على الإثم والعدوان للوجوه الآتية:
- أ - إنكار معاوية على عبدالله بن عامر قيامه له واحتجاجة بالحديث.

ب - دلالة الحديث الثاني في المنع ظاهرة، فإنهم إذا علموا كراهته للقيام، فمن إكرامه عدم القيام تحقيقاً لما يحب وبعداً عما يكرهه، فقد كان رسول الله ﷺ عظيماً في نظر الصحابة وعلموا كراهته لذلك، فحققوا ما أحبه وابتعدوا عما كرهه ولا شك أن ذلك محض

(١) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٧)، وأبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥)، وأحمد (٩٣/٤ و ١٠٠) وغيرهم.
قلت: إسناده صحيح.

(٢) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٤٦)، والترمذي (٢٧٥٤)، وأحمد (١٣٢/٣) وغيرهم بإسناد صحيح.

الإكرام وليس القيام.

ت - إذا كان رسول الله ﷺ يكره أن يمثل له الناس فعلى المسلم أن يكره ذلك لنفسه اقتداء برسول الله ﷺ.

ث - وإذا كره المسلم ذلك لنفسه فينبغي أن يكرهه لإخوانه المسلمين، لأنه يحب لهم الخير ويكره لهم الإثم.

تنبيه:

حمل بعض أهل العلم أحاديث الباب على أن يقوم الناس قياماً وهو جالس، وهذه صورة بعيدة وحمل الحديث عليها لا يصح كما وضحه ابن قيم الجوزية في «تهذيب السنن» (٩٣/٨)، فقال: «وحمل أحاديث النهي عن القيام على مثل هذه الصورة ممتنع، فإن سياقها يدل على خلافه، وأنه ﷺ كان ينهى عن القيام له إذا خرج عليهم، ولأن العرب لم يكونوا يعرفون هذا، وإنما هو من فعل فارس والروم، ولأن هذا لا يقال له: قيام للرجل، إنما هو قيام عليه، ففرق بين القيام للشخص المنهي عنه، والقيام عليه المشبه لفعل فارس والروم، والقيام إليه عند قدومه الذي هو سنة العرب، وأحاديث الجواز تدل عليه فقط».

٦٦٣ - باب كل لهو باطل إلا ما استثنى

عن عطاء بن أبي رباح؛ قال: رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصاريين يرتميان، فمَلَّ أحدهما فجلس، فقال له الآخر: كسلت؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل شيء ليس من ذكر الله عز وجل، فهو لغو ولهو أو سهو، إلا أربع خصال: مشي الرجل بين

الْعَرَضَيْنِ^(١)، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعلم السباحة^(٢).
وفي الباب عن عقبة بن عامر، وعبدالله بن عمرو رضي الله
عنهم.
● من فقه الباب:

١ - كل لهو باطل إذا شغل عن ذكر الله وطاعته.
قال الحافظ في «فتح الباري» (٩١/١١): «كمن التهيّ بشيء من
الأشياء مطلقاً سواء كان مأذوناً في فعله أو منهيّاً عنه، كمن اشتغل
بصلاة نافلة، أو بتلاوة، أو ذكر، أو تفكر في معاني القرآن مثلاً حتى
خرج وقت الصلاة المفروضة عمداً، فإنه يدخل تحت هذا الضابط.
وإذا كان هذا في الأشياء المرغوب فيها المطلوب فعلها، فكيف حال ما
دونها؟».

٢ - يستثنى ما قيد به الحكم كرمي القوس، وتأديب الفرس،
والسباحة، وملاعبة الأهل، وإنما أطلق عليها لهو؛ لأن فيها ميل إلى
تعلمها والاشتغال بها فهي لهو في الصورة، لكن المقصود منها أعظم
من ذلك، فرمي السهم وتأديب الفرس والسباحة للإعانة على الجهاد،
وملاعبة الأهل للتأنيس.

(١) العَرَضُ: هو الجيش، والمراد بين الصّفين.

(٢) صحيح - أخرجه النسائي في «عشرة النساء» (٥٢، ٥٣، ٥٤)، والطبراني في
«الكبير» (١٧٨٥)، و«الأوسط» (٢٦٧٧ - مجمع البحرين)، والبراز (١٧٠٤) - كشف
الاستار وغيرهم.

قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات؛ صححه الحافظ في «الإصابة» (٢١٥/١)
و«تهذيب التهذيب» (٣٩/٢)، وشيخنا في «الصحيحة» (٣١٥).

٣ - أطلق على ما يقابلها البطلان للمقابلة، وليس لأنها مُحَرَّمَة، وإنما تصبح كذلك لقصد الإضلال كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٦].

(٥٨) كتاب الدعوات

٦٦٤ - باب الزجر عن ترك الدعاء

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله غضب الله عليه»^(١).

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٢). [غافر: ٦٠].

وفي الباب عن أنس رضي الله عنه.

● من فقه (الباب):

١ - الدعاء ليس من باب إعلام العبد ربه بحاجته، فهو يعلم السر وأخفى، ولكن بإظهار الافتقار للعزیز الغفار، وتلك سمة العبودية التي خلقنا من أجلها رب البرية، ولذلك فإن الذي لا يظهر سمة العبودية

(١) حسن - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٨)، والترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، وأحمد (٤٧٧/٢)، والحاكم (٤٩١/١) وغيرهم. قلت: إسناده حسن؛ كما بينته في «النبد المستطابة» (ص ١٤ - ١٥)؛ فانظره غير مأمور ففيه فوائد زوائد.

(٢) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب» (٧١٤)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣٧٢)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (٢٦٧/٤) و٢٧١ و٢٧٦ و٢٧٧)، وابن منده في «التوحيد» (٣٢٥)، والحاكم (٤٩١/١). قلت: وهو صحيح.

يغضب الله عليه.

٢ - ولذلك ضلت طوائف كثيرة من الصوفية بزعمهم: إن الدعاء سوء أدب مع الله، محتجين بالأثر الذي لا أصل له وإنما هو من الإسرائيليات: «علمه بحالي يغنيه عن سؤال»

٣ - دحض لفرية القدرية الذين زعموا: أن الدعاء صنف واحد لا معنى له ولا طائل من ورائه؛ لأن الأقدار سابقة والأقضية متقدمة، والدعاء لا يزيد فيها ولا يردّها، وتركه لا ينقص منها، ولذلك فلا فائدة في الدعاء والمسألة. وقد فند مقولتهم، وبَيَّن جهل عقولهم العالم الرباني شيخ الإسلام الثاني ابن قيم الجوزية في بداية «الجواب الكافي»؛ فانظره فإنه من المهمات.

٤ - رضا الله في سؤاله ودعائه وطاعته، وإذا رضي الرب فكل خير في رضاه، وكل بلاء ومصيبة في غضبه، ونعوذ بالله من غضبه وعقابه وعذابه.

٦٦٥ - باب الزجر عن الاعتداء في الدعاء

عن أبي نعامة: أن عبدالله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: أي بني سل الله الجنة، وتعوذ من النار، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»^(١).

عن أبي نعامة عن ابن سعد أنه قال: سمعني أبي وأنا أقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها، وكذا، وكذا، وأعوذ بك من

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٩٦)، وابن ماجه (٣٨٦٤) وغيرهم.

قلت: وهو صحيح.

النار وسلاسلها وأغلالها، وكذا، وكذا، فقال: يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء»؛ فإياك أن تكون منهم، إن أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها، وإن أعدت من النار أعدت منها وما فيها من الشر^(١).

● من فقه الباب:

١ - تحريم مجاوزة الحد في الدعاء؛ لأنه اعتداء، والله لا يحب المعتدين.

٢ - من صور الاعتداء في الدعاء:

أ - طلب ما منعه الله وحرّمه على عباده في الحياة الدنيا، كما سأل بنو إسرائيل موسى عليه السلام: ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣].

ب - رفع الصوت بالدعاء؛ كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

ت - التنطع في سؤال تفاصيل الأمور.

٦٦٦ - باب الزجر عن شرود القلب عند الدعاء

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»^(٢).

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (١٤٨٠). قلت: وهو صحيح.

(٢) حسن لغيره - أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، والحاكم (٤٩٣/١). =

● من فقه الباب:

- ١ - غاية الدعاء حضور القلب واستجماع الفكر، ولذلك لا يليق بك وأنت العبد الفقير الذليل مخاطبة مولاك الغني الجليل بكلام لا تعيه أو أدعية عفوية دون فهم أو نية.
- ٢ - الغفلة وشرود القلب تجعل الله يكلك إلى نفسك فلا يستجيب لك ولا يرتفع دعائك.

٦٦٧ - باب الزجر عن قول: إن شئت عند الدعاء

عن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة»^(٢).

● من فقه الباب:

- ١ - الزجر عن الضعف في الطلب والتعليق على المشيئة، فإنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه، والله منزّه عن ذلك.

= قلت: إسناده فيه صالح المري وفيه ضعف. وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد (١٧٧/٢) بإسناد فيه ابن لهيعة وهو سيء الحفظ. وبالنجملة؛ فالحديث حسن بمجموعهما، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٨)، ومسلم (٢٦٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

٢ - المستثني في هذه الحالة في صورة المستغني عن ربه.

٣ - استحباب الجزم في الطلب والعزم في المسألة، ففيه إحسان الظن بالله في الإجابة، لأن العبد إذا عَظَّمَ رغبته دل على تعظيمه للمطلوب منه حيث يستقر في قلبه أنه لا يتعاضمه شيء، ويؤيده رواية أبي العلاء عن أبي هريرة عند مسلم: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاضمه شيء أعطاه».

٦٦٨ - باب الزجر عن الاستعجال في الدعاء

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - الإنسان عجول، والعجلة تهب ريئاً، فتهب رياح اليأس والقنوط في نفس المستعجل، فيترك الدعاء ويصرف وجهه عن باب الخير.

٢ - الاستعجال محبط للدعاء.

٣ - المستعجل كالمان في دعائه، والمغرور في عمله، وكأنه أتى من الدعاء ما يستحق الإجابة، فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا يعجزه شيء، ولا تنفذ خزائنه، ولا ينقصه العطاء.

٤ - الاستعجال لا يترك إلا حسرة آجلاً أو عاجلاً، فأما الآجل

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤١)، ومسلم (٢٧٣٥).

فإنه يمنع الاستجابة، فلا ير العبد ما دعا به محققاً، فتبقى رغبته مكبوتة في نفسه، يجتر الحسرات، ويكتال الزفرات، وأما العاجل، فإن وضع حد للانتظار يعظم الشوق في تحقيق الرغبة، فإن تجاوز ذلك حدث إحباط في نفس الإنسان، وهذه حسرة على حسرة، لأنه ييأس ويقطع الرجاء، وفي هذا المعنى يقال:

كفى حزناً أني أناديك دائماً كأي بعيداً أو كأنك غائب

٥ - الاستعجال لا يعني الدعاء بتعجيل الإجابة، فقد صح ذلك عن رسول الله ﷺ في مواطن كثيرة، منها الاستسقاء، ويوم بدر وغيرهما، بل هو الانقطاع عن الدعاء، لأنك تستبطئ الاستجابة.

٦٦٩ - باب الزجر عن الدعاء بإثم أو قطيعة رحم

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل» قيل يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: «يقول: قد دعوت، وقد دعوت فلم أر يستجب لي، فيستحسر»^(١) عند ذلك، ويدع الدعاء»^(٢).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ؛ قال: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجاب لكم»^(٣).

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال:

(١) ينقطع عن الدعاء.

(٢) مسلم (٢٧٣٥) (٩٢).

(٣) مسلم (٣٠٠٩).

«ما على وجه الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم» فقال رجل من القوم: إذاً نكثر، قال: «الله أكثر»^(١).

● من نقه (الباب):

١ - الزجر عن الدعاء على الأموال أو الأولاد أو الخدم أو النفس بالشر، كالموت أو اللعنة أو الدمار ونحو ذلك كما قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْهُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

٢ - الدعاء بالإثم وقطيعة الرحم من صوارف الإجابة، وهذا من رحمة الله وفضله على الإنسان، فلو استجاب لدعائه في هذه الحالة لهلك: ﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعَجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَبُذِّرَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١].

٣ - لا ينبغي الإكثار من الدعاء بالإثم وقطيعة الرحم وعلى المال والنفس والولد، خشية أن يوافق ساعة إجابة فيستجاب فيحدث الهلاك عياداً بالله.

٦٧٠- باب الزجر عن ترك الصلاة على النبي ﷺ

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي»^(٢).

(١) صحيح - أخرجه الترمذي (٣٦٤٤ - تحفة) وقال: حسن غريب صحيح.

قلت: وهو كما قال.

(٢) صحيح بشواهده - أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وأحمد (٢/٢٥٤)، والقاضي إسماعيل في «فضل الصلاة على النبي» (١٥ و ١٦)، وابن أبي عاصم في «الصلاة =

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي»^(١).

● من فقه الباب:

١ - بيان إثم من ذكر عنده رسول الله ﷺ ولم يصل عليه مما يدل علي وجوب الصلاة عليه ، لأن الدعاء بالرغم والإبعاد والوصف بالبخل والجفاء ، يدل على إثم ترك الصلاة على رسول الله ﷺ .

٢ - الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، أدب مستحب استحباباً مؤكداً في الدعاء ؛ كما بينته في «النبد المستطابة» (ص ٣٠ - ٣١) .

٦٧١ - باب الزجر عن تمني البلاء

عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من

على النبي « (٦٥) ، وابن حبان (٩٠٨) ، والحاكم (٥٤٩/٢) ، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١٥٢) . قلت : إسناده حسن ، وله شواهد عن جمع من الصحابة منهم : جابر بن سمرة ، ومالك بن الحويرث ، وعبدالله بن عباس ، وجابر بن عبدالله ، وعمار بن ياسر ، وبريدة ، وعبدالله بن الحارث الزبيدي ، وأحاديثهم دالة على أن هذا الكلام من كلام جبريل يخاطب رسول الله ﷺ وهو يؤمن . وبالجمله ؛ فالحديث صحيح ، والله أعلم .

(١) صحيح بشواهد - أخرجه الترمذي (٣٥٤٦) ، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٥ و ٥٦) ، وأحمد (٢٠١/١) ، وابن حبان (٩٠٩) ، وابن السني (٣٨٤) ، والحاكم (٥٤٩/١) ، والقاضي إسماعيل في «فضل الصلاة على النبي» (٣٢) وغيرهم . قلت : إسناده حسن ، وله شواهد أوردها القاضي إسماعيل (٣٧ - ٣٩) ، وآخر من حديث أنس صحيحه النسائي .

وبالجمله ؛ فالحديث صحيح بمجموع شواهد ، والله أعلم . وقال الحافظ في «فتح الباري» (١٦٨/١١) : «ولا يقصر عن درجة الحسن» .

المسلمين قد خَفَت فصار مثل الفرخ^(١)، فقال له رسول الله ﷺ: «هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟» قال: نعم. كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعجله لي في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله لا تطيقه - أو لا تستطيعه - أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟» قال: فدعا الله له، فشفاه^(٢).

● من فقه الباب:

١ - قال النووي (١٣/١٧): «وفي هذا الحديث النهي عن الدعاء بتعجيل العقوبة... وفيه كراهة تمنى البلاء لئلا يضجر منه ويسخطه».

٦٧٢ - باب الزجر عن الدعاء بظهور الأكف

عن مالك بن يسار رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «إذا سألتكم الله فسلوه بباطن أكفكم، ولا تسألوها بظهورها»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - الدعاء يكون بباطن الأكف، وهي هيئة الطالب المتذلل الفقير المنتظر أن يُعطى.

٢ - الزجر عن الدعاء بظهور الأكف، لأنها عكس ما تقدم.

(١) من الضعف.

(٢) مسلم (٢٦٨٨).

(٣) صحيح لغيره - أخرجه أبو داود (١٤٨٦).

قلت: إسناده حسن. وله شاهد من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أخرجه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/٢٢٤). قلت: إسناده صحيح.

- ٣ - من الأخطاء التي يقع فيها كثير من العامة إذا سمعوا دعاء على الكفرة والمشركين قلبوا أكفهم وجعلوا ظهورها إلى أعلى .
- ٤ - كيفية رفع الأيدي في الدعاء ورد تفصيلها في كتابي «النبد المستطابة» (ص ١٧ - ١٩) .

٦٧٣ - باب النهي عن السجع في الدعاء

عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: حدثت الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع حديثهم فتملهم، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه، فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإنني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب^(١).

● من فقه الباب:

- ١ - السجع المنهي عنه في الدعاء هو الكلام المقفى بدون وزن، المتكلف الذي ينافي الضراعة والذلة والمسكنة، ولا يلائم الخضوع والخضوع، وهو يشاكل كلام الكهنة.
- ٢ - الكلمات المتوازية غير المتكلفة إذا جرت على اللسان سليقة وفطرة فلا إشكال في ذلك، ففي الأدعية المأثورة الصحيحة من ذلك كثير، ولكنه يأتي دون قصد، ولذلك فهو في غاية الانسجام.

(١) البخاري (٦٣٣٧).

٦٧٤ - باب تحريم اللعن

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «ليس على رجل نذر فيما لا يملك، ولعن المؤمن كقتله، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة، ومن ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزد الله إلا قلة، ومن حلف على يمين صبر فاجرة»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً»^(٢).

عن زيد بن أسلم: أن عبد الملك بن مروان بعث إلى أم الدرداء بأنجاد^(٣) من عنده، فلما أن كانت ذات ليلة، قام عبد الملك من الليل فدعا خادمه، فكأنه أبطأ عليه، فلعنه، فلما أصبح قالت له أم الدرداء: سمعتك الليلة لعنت خادمك حين دعوته، فقالت سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»^(٤).

عن عمران بن حصين رضي الله عنه؛ قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقه فضجرت^(٥) فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة».

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم (١١٠) واللفظ له.

(٢) مسلم (٢٥٩٧).

(٣) متاع البيت الذي يزينه: من فرش، ونمارق، وستور.

(٤) مسلم (٢٥٩٨).

(٥) اغتمت من معالجة الناقة وصعوبتها.

قال عمران: فكأنني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد^(١).

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه؛ قال: بينما جارية على ناقه، عليها بعض متاع القوم، إذ أبصرت بالنبي ﷺ وتضايق بهم الجبل، فقالت: صل^(٢) اللهم ألعنها، فقال النبي ﷺ: «لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة»^(٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين. قال: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة»^(٤).

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلعنوا بلعنة الله، ولا بغضبه، ولا بالنار»^(٥).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء»^(٦).

(١) مسلم (٢٥٩٥).

(٢) كلمة زجر واستحثاث للإيل.

(٣) مسلم (٢٥٩٦).

(٤) مسلم (٢٥٩٩).

(٥) حسن بشواهده - أخرجه أبو داود (٤٩٠٦)، والترمذي (١٩٧٦)، وأحمد (١٥/٥)، والحاكم (٤٨/١).

قلت: إسناده فيه عنقه الحسن.

وأخرجه عبدالرزاق (١٩٥٣١)، والبيهقي في «شرح السنة» (٣٥٥٧) عن حميد بن هلال مرسلًا.

فالحديث حسن بمجموع ذلك.

(٦) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٣٢)، والترمذي (١٩٧٧)، وأحمد

(٤٠٤ - ٤٠٥)، والحاكم (١٢/١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٣٥/٤) و (٥٨/٥)،

والخطيب البغدادي في «تاريخه» (٣٣٩/٥). قلت: إسناده صحيح.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض، فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساعاً^(١)، رجعت إلى الذي لعن، فإن كان أهلاً لذلك وإلا رجعت إلى قائلها»^(٢).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو في فطر إلى المصلى، فمر على النساء فقال: «يا معشر النساء تصدقن، فإني أريتكن أكثر أهل النار». فقلن وبم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن» قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟» قلن: بلى قال: «فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟» قلن: بلى. «قال فذلك من نقصان دينها»^(٣).

● من نقه (الباب):

١ - تغليظ تحريم لعن المسلمين بعضهم بعضاً؛ حيث أن إثم لعن المسلم مماثل لإثم قاتله.

(١) مدخلاً وطريقاً.

(٢) حسن لغيره - أخرجه أبو داود (٤٩٠٥)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٨١).

قلت: إسناده فيه ضعف؛ لأن عمران بن عتبة فيه جهالة.

وله طريق آخر عند أحمد (٤٠٨/١ و ٤٢٥) وغيره

وبالجملة؛ فالحديث حسن بهما.

(٣) البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩).

- ٢ - من تَخَلَّق بصفة اللعن خرج من كمال الإيمان، لأن كثرة اللعن يتنافى مع كمال التصديق والتفويض.
- ٣ - اللعانون لا يشفعون ولا تقبل شهادتهم يوم القيامة، لأن الشاهد والشفيع يجب أن يكون عدلاً ليس فيه شيء من خوارم المروءة أو رقة دين أو جرأة على عباد الله.
- ٤ - تحريم التلاعن بلعنة الله أو بغضبه أو بالنار.
- ٥ - اللعنة تلحق صاحبها إذا لم يكن من لعن أهلاً لذلك.
- ٦ - لا يجوز لعن الدواب أو الجماد أو النبات.
- ٧ - تحذير النساء من كثرة اللعن، لأن ذلك يوجب لهن النار عياداً بالله.

* * *

٥٩) كتاب الرقاق

٦٧٥ - باب الزجر عن كثرة الكلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»^(١).

وعنه عن النبي ﷺ؛ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»^(٢).

عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ؛ قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه»^(٣).

(١) البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٢) البخاري (٦٤٧٨).

(٣) صحيح - أخرجه الترمذي (٢٣١٩)، وابن ماجه (٣٩٦٩)، وأحمد (٤٦٩/٣) =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشكروا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(١).

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، وواد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - الزجر الشديد عن كثرة الكلام في غير أبواب الخير مما

= وغيرهم.

من طريق محمد بن عمرو حدثني أبي عن جدي قال: سمعت بلال بن الحارث المزني صاحب رسول الله ﷺ يقول: (وذكره).

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح، وهكذا روى غير واحد عن محمد بن عمرو نحو هذا، وقالوا: عن محمد بن عمرو عن أبيه عن جده عن بلال بن الحارث، وروى مالك بن أنس هذا الحديث عن محمد بن عمرو عن أبيه عن بلال بن الحارث ولم يذكر فيه عن جده».

قلت: أخرجه مالك (٩٨٥/٢) من الوجه المشار إليه وفيه وجوه أخرى من الاختلاف، خرّجها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/٢٧٩ و٢٨٦ - طبع المجمع العلمي)، ثم قال: «وهذه الأسانيد كلها فيها خلل، والصواب رواية محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه عن جده، كذلك رواه الثوري وابن عيينة».

ثم أخرج رواياتهم كلها مما يؤكد أن هذه هي المحفوظة.

ثم ساقه من طرق أخرى عن علقمة بن وقاص الليثي عن بلال به، وعلقمة ثقة ثبت؛ فصح الحديث.

(١) مسلم (١٧١٥).

(٢) البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣) (١٢) (ص ١٤٣٠).

يفضي إلى قيل وقال الذي يستلزم كثرة السقط الذي يوجب السخط من الله تعالى.

٢ - ينبغي على المؤمن أن يحفظ منطقه ويكف عنه لسانه، لأن حصائد الألسن تكب الناس على وجوههم في جهنم.

٣ - إذا لم يتبين المرء حسن الكلمة من شرها ينبغي عليه أن يمسك عنها.

٤ - ينبغي لمن أراد أن يتكلم أن يتدبر ما يقول قبل أن ينطق، فإن ظهر فيه خير تكلم وإلا أمسك.

٦٧٦ - باب الزجر عن محقرات الذنوب

عن سهل بن سعد رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب؛ كقوم نزلوا في بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبه تُهلكة»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنه رضي منكم بما تحقرون»^(٢).

(١) صحيح - أخرجه أحمد (٢٣١/٥)، والرويان في «مسنده» (١٠٦٥)، والطبراني في «الكبير» (٥٨٧٢)، و«الأوسط» (٧٣٢٣)، و«الصغير» (٤٩/٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٢٦٧)، والبيهقي في «شرح السنة» (٤٢٠٣). من طريق أنس بن عياض حدثني أبو حازم لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد قال وذكره. قلت: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وله شواهد من حديث عائشة، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما.

(٢) صحيح - أخرجه أحمد (٣٦٨/٢)، والبخاري (٢٨٥٠ - كشف الأستار). =

● من فقه الباب:

١ - الزجر عن محقرات الذنوب، فإنها إذا كثر صارت كباراً فأهلكت العبد.

٢ - كلما استعظم العبد الذنب صَغُرَ عند الله، لأن استعظامه يصدر من نفور القلب عنه وكراهيته له، وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به، واستصغاره يصدر عن الإلف به، وذلك يوجب الأثر في القلب، والقلب المطلوب تنويره بالطاعات، والمحذور تسويده بالسيئات.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه»^(١).

٣ - احتقار الذنب واستصغاره يحول بين العبد والتوبة، وهي واجبة على الفور من الكبائر والصغائر.

٤ - احتقار الذنب من كيد الشيطان للإنسان حتى تجتمع عليه الذنوب، فلا يستطيع منها فكاً، فيقع في أسرهِ ليسوقه إلى جهنم عياداً

= من طريق معاوية ثنا أبو إسحاق عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وذكره.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات من رجال الشيخين، وأبو إسحاق هو الفزاري، ومعاوية هو ابن عمرو بن المهلب.

وله شواهد من حديث عبد الله بن مسعود، وأبي الدرداء رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨).

بالله .

٦٧٧ - باب الزجر عما يعتذر منه

عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال رسول الله ﷺ: «إياك وكل أمر يعتذر منه»^(١).

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه؛ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: عظني وأوجز فقال: «إذا قمت في صلاتك؛ فصل صلاة مودع، ولا تكلم بكلام يعتذر منه غداً، واجمع الإياس مما في أيدي الناس»^(٢).

وفي الباب عن عبدالله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وسعد ابن عمار رضي الله عنه.

● من فقه (الباب):

١ - الزجر عن كل أمر يعتذر منه .

٢ - ينبغي على المسلم أن لا يوقع نفسه في إحراج أو غيره .

٦٧٨ - باب الزجر عن إرضاء الناس بسخط الله

كتب معاوية إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن اكتبي لي

(١) حسن - أخرجه الضياء في «المختارة» (٢١٩٩). قلت: إسناده رجاله ثقات غير

شبيب بن بشر؛ فإنه فيه كلام لا ينزل حديثه عن رتبة الحسن.

(٢) حسن بشواهد - أخرجه ابن ماجه (٤١٧١)، وأحمد (٤١٢/٥)، وأبو نعيم في

«الحلية» (٣٦٢/١). قلت: إسناده فيه ضعف؛ لجهالة عثمان بن جبير، ولكن له

شواهد تدل على ثبوته ذكرتها في كتابي «الخشوع» (ص ٤٣ - ٤٥).

كتاباً توصيني فيه، ولا تكثري عليّ، فكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية: سلام عليك. أما بعد، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكّله الله إلى الناس» والسلام عليك^(١).

● من فقه الباب:

١ - الواجب إفراد الله سبحانه بالخشية والتقوى؛ لأن الإنسان لا بد أن يتقي أشياء ويخشاه، ولو كان ملكاً مطاعاً، فإذا لم يتق الله ويخشاه اتقى المخلوق.

٢ - الخلق لا يمكن أن يتفق حبهم كلهم وبغضهم، بل الذي يريده هذا يبغضه هذا، فلا يمكن إرضاؤهم كلهم، ولذلك قال الشافعي رحمه الله: «رضى الناس غاية لا تدرك، فعليك بالأمر الذي يصلحك فالزمه، ودع ما سواه فلا تعانه».

٣ - إرضاء المخلوق لا مقدور ولا مأمور.

(١) صحيح - أخرجه الترمذي (٢٤١٤).

قلت: إسناده فيه ضعف؛ لجهالة الرجل من أهل المدينة لم يسم. وأخرجه موقوفاً بإسناد صحيح.

وله طريق آخر أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٤٩٩ و ٥٠٠)، وابن عساكر (١/٢٧٨/١٥) وغيرهما.

من طريق عثمان بن واقد عن أبيه عن محمد بن المنكدر عن عروة بن الزبير عن عائشة مرفوعاً.

قلت: إسناده حسن رجاله ثقات غير عثمان بن واقد فيه كلام لا ينزل حديثه عن درجة الحسن.

وبالجملة؛ فالحديث صحيح مرفوعاً وموقوفاً، والله أعلم.

٤ - إرضاء المخلوق لا يغني من الله شيئاً، فإذا اتقى العبد ربه كفاه الناس، وإن لم يفعل وكله لنفسه والناس، ولذلك فإن إرضاء الله غاية لا تترك، فتمسك بالذي لا يترك، ودع عنك الذي لا يدرك.

٦٧٩ - باب النهي عن التنعم

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ لما بعث به إلى اليمن قال: «إيتاي والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين»^(١).

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله، ما مرّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - نعيم الدنيا وبؤسها زائل فاني، ولذلك فإن أشعر كلمة قالتها العرب كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل.

(١) صحيح - أخرجه أحمد (٢٤٣/٥ و ٢٤٤) واللفظ له، وأبو نعيم في «الحلية» (١٥٥/٥).

من طريق بقية بن الوليد عن السري بن نعيم عن مريح بن مسروق عنه به.
قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات غير بقية مدلس، ولكنه صرح بالتحديث عند أبي نعيم؛ فزالت شبهة تدليس.

(٢) مسلم (٢٨٠٧).

٢ - الزجر عن الإغراق في التمتع والترفيه، فإن المؤمن يخشوشن، لأن النعم لا تدوم، ولذلك ثبت عن عمر قوله: «إياكم والتمتع وزبي الأعاجم، وعليكم بالشمس، فإنها حمام العرب وتمعددوا واخشوشنوا واخلولقوا».

٦٨٠ - باب الزجر عن فتنة المال والاستكثار منه وإضاعته

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله خيراً فنفع فيه يمينه وشماله، وبين يديه ووراءه»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله»^(٢).

وعنه عن النبي ﷺ؛ قال: «تَعَسَّ عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة؟ إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض»^(٣).

عن كعب بن عياض رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال»^(٤).

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما

(١) البخاري (٦٤٤٣)، ومسلم (٩٤).

(٢) مسلم (٢٩٦٣) (٩).

(٣) البخاري (٢٨٨٦).

(٤) صحيح - أخرجه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (١٦٠/٤)، وابن حبان (٣٢٢٣)،

والبحاكم (٣١٨/٤)، والقضاعي في «الشهاب» (١٠٢٢). قلت: إسناده صحيح.

ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»^(١).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه: «نهى عن التبقر»^(٢) في الأهل والمال»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - الزجر عن الاستكثار من المال وكثره وعدم إنفاقه في سبيل الله، لأنه يؤدي إلى انصراف القلب إلى الدنيا وزيتها.

٢ - المسلم في أمور الدنيا والمال ينظر إلى من هو دونه، لكي يشكر نعمة الله عليه، ففي رواية لحديث أبي هريرة: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فليُنظر إلى من هو أسفل منه»^(٤).

وأما إذا نظر إلى من هو أكثر منه مالاً وولداً يؤدي إلى الضجر والقلق وعدم شكر نعمة الله عليه، بل إلى استصغارها واحتقارها.

٣ - المال فتنة هذه الأمة حيث يظهر به صدق التزامهم وزكاة نفوسهم وتمسكهم بمنهجهم، أو أن أحدهم يبيع دينه بدنياه بل بدنياه غيره، لأن النفس شديدة العشق للمال كما قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، فمن تعلق به دون التزام بتقوى الله أفسد الحرث والنسل وقطع ما أمر الله به أن يوصل.

(١) صحيح - أخرجه الترمذي (٢٣٧٦)، وأحمد (٤٥٦/٣). قلت: إسناده صحيح.

(٢) التوسع والاستكثار.

(٣) حسن - أخرجه أحمد (٤٣٩/١)، وحسنه شيخنا في «الصحيح» (١٢).

(٤) البخاري (٦٤٩٠).

٤ - قال شيخ الإسلام في «الوصية الصغرى» (ص ٥٥ - بتحقيقي): «ثم ينبغي له أن يأخذ المال بسخاوة نفس؛ ليبارك له فيه، ولا يأخذه بإشراف وهلع، بل يكون المال عنده بمنزلة الخلاء الذي يحتاج إليه من غير أن يكون له في القلب مكانة، والسعي فيه إذا سعى كإصلاح الخلاء».

٥ - فليحذر العبد أن يكون المال إلهاً في حياته يطلب رضاه، ويتمنى لقاءه.

٦٨١ - باب تحريم طلب الرزق بمعصية الله

عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام،

(١) صحيح - أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٧/١٠)، وصححه شيخنا حفظه الله في «تخريج أحاديث مشكلة الفقر» (١٥).

وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»^(١).

● من فقه الباب:

١ - تغليظ تحريم طلب الرزق بمعاصي الله، لأن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته.

٢ - المال الحرام سبب في رد دعاء العبد وهلاكه.

٣ - الصدقات بالمال الحرام لا تقبل؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

٦٨٢ - باب الزجر عن التنافس في الدنيا

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا رَبَّ عَلَيْهِمْ سَنَتْهُمْ أَمْرًا فَلَا أَمْرَ إِلَّا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]. وقال: ﴿وَأَضْرَبَ لَكُم مَّثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنِدًا * أَلَمْ أَلْهِنُوا رَبَّنَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَتِ الصَّالِحِينَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦]. وقال: ﴿أَعَلِمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَسِيحُ فَرَيْثُهُ مُمْسِقًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُوقِ﴾ [الحديد: ٢٠]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْفُرُودُ﴾ [فاطر: ٥]. وقال: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمْ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ لَوَ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

عن عمرو بن عوف رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما، فقدم بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله

ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟» فقالوا: أجل يا رسول الله فقال: «أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»^(١).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله فقال: «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»^(٢).

وعنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة في بني إسرائيل كانت في النساء»^(٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه وعالماً ومتعلماً»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١).

(٢) البخاري (١٤٦٥)، ومسلم (١٠٥٢).

(٣) مسلم (٢٧٤٢).

(٤) صحيح لغيره - أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، والبيهقي في

«شعب الإيمان» (١٧٠٨)، وابن أبي عاصم في «الزهدي» (٥٧). من طريق

عبد الرحمن بن ثابت قال: سمعت عطاء بن قره سمعت عبد الله بن حمزة قال:

سمعت أبا هريرة (وذكره).

● من فقه (الباب):

١ - الدنيا سريعة الزوال والتمسك بها خيال، والدار الآخرة هي الحياة الباقية الهائلة التي لا زوال لها ولا انقضاء.

٢ - تحذير من فتحت عليه زهرة الحياة الدنيا من سوء عاقبتها، وشر فتنها، فلا ينبغي أن يطمئن إلى زخرفها.

٣ - التنافس في الدنيا يجبر الإنسان إلى فساد الدنيا والدين، لأن المال مرغوب فيه فترتاح النفس إلى طلبه، فتتمتع به، فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية للهلاك.

٤ - المؤمن لا يطمئن إليها ولا يغمس فيها، لأنها لا تسوى عند الله جناح بعوضة؛ ولذلك فهو يعيش فيها كأنه في سجن؛ لقوله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»^(١) فيتشوق إلى موطنه الأول في جنات الخلد، ورحم الله ابن قيم الجوزية القائل:

وحي على جنات عدن فإنها منازل الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم

= قلت: إسناده حسن.

وتابعه وهيب بن الورد العابد، عن عطاء بن قره أخرجه البغوي في «شرح السنة» (٤٠٢٨).

وللحديث شواهد عن جمع من الصحابة منهم جابر بن عبد الله، وأبي الدرداء، وأبي سعيد، وابن مسعود، وعلي رضي الله عنهم.
وبالجملة؛ فالحديث صحيح بذلك، والله أعلم.

(١) مسلم (٢٩٥٦).

وأي اغتراب فوق غربتنا التي لها أضحت الأعداء فينا تحكم
وقد زعموا أن الغريب إذ نأى وشطت به أوطانه ليس ينعم
فمن أجل ذا لا ينعم العبد ساعة من العمر إلا بعد ما يتألم

٥ - ولذلك ينبغي اتخاذ الدنيا ممراً للدار الآخرة، لأن الدنيا دار
نفاد لا محل لإخلاد، ومركب عبور لا منزل حبور، ولقد أحسن القائل:

إن لله عباداً فطنوا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحى وطناً
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفناً

٦٨٣ - باب ما يكره من البنيان

عن خباب بن الأرت قال: «إن المسلم ليؤجر في كل شيء ينفعه،
إلا في شيء يجعله في هذا التراب»^(١).

وفي حديث جبريل الطويل: «وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء
الشاء يتطاولون في البنيان»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - يكره التطاول في البنيان، وما زاد عن حاجة الإنسان

* * *

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٢) موقوفاً.

(٢) مسلم (٨).

(٦٠) كتاب القدر

٦٨٤ - باب الزجر عن الخوض في القدر

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده؛ قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفتق في وجهه حبُّ الرمان من الغضب، فقال: «بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلك الأمم قبلكم».

قال عبدالله بن عمرو: ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه^(١).

عن النبي ﷺ قال: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»^(٢).

(١) صحيح لغيره - أخرجه ابن ماجه (٨٥)، وأحمد (١٧٨/٢)، وابن أبي عاصم في «السنن» (٤٠٦). قلت: إسناده حسن.

وله شاهد من حديث أبي هريرة، أخرجه الترمذي (٢١٣٣) وضعفه بقوله: «غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري، وصالح المري له غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها».

قلت: فالحديث صحيح بمجموع ذلك.

(٢) حسن بشواهده - كما بينه شيخنا في «الصحيحة» (٣٤)؛ وقال: روي من حديث ابن=

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أخِرُ الكلام في القدر لشرار أمتي في آخر الزمان»^(١).

● من نقه (الباب)

١ - تغليظ الزجر عن الخوض في القدر، ووجوب الإمساك عند ذكره، وأن النزاع فيه من صفات شرار هذه الأمة.

قال الطحاوي في «عقيدته»: «وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسُلِّم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى على القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه؛ كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد ردَّ حكم الكتاب، ومن ردَّ حكم الكتاب كان من الكافرين».

وقال: «فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيماً، وأضر للنظر فيه قلباً سقيماً، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سراً كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً».

٢ - والخوض في القدر من المسائل التي افتقرت الأمة من أجلها طرائق قديماً، وهدى الله السلف الصالح من أهل السنة والجماعة من اتباع أهل الحديث إلى الحق والصواب، وقد فصل مذاهب الفرق وبين

= مسعود، وثوبان، وابن عمر، وطاووس مرسلًا، وكلها ضعيفة الأسانيد، ولكن بعضها يشد بعضاً.

(١) «الصحيحة» (١١٢٤).

صحيحها من سقيمها العلامة شيخ الإسلام الثاني ابن قيم الجوزية في «شفاء العليل» فانظره فإنه من المهمات.

٦٨٥ - باب القدرية مجوس هذه الأمة

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوه»^(١).

وفي رواية: «لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر؛ إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - شر القدرية الذين ينفون علم الله ويقولون أن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها، وأن الأمر أنف؛ كما نقل عن معبد الجهني وطائفته.

٢ - ثم جاء نوع آخر من القدرية وهم الذين يقولون: إن الإنسان خالق أعماله، وأن الله لا يخلق أفعال العباد، فضاهاوا المجوس حيث آل قولهم إلى وجود خالقين؛ كما قالت المجوس بوجود خالقين.

قال ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» (ص ٥٢٤): «ولكن مشابعتهم للمجوس ظاهرة، بل أرادوا من قول المجوس، فإن المجوس اعتقدوا وجود خالقين، والقدرية اعتقدوا خالقين».

٣ - ينبغي هجر أهل البدع وعدم شهود جنازتهم أو عيادتهم،

(١) حسن - «صحيح الجامع الصغير» (٤٤٤٢).

(٢) حسن - «صحيح الجامع الصغير» (٥١٦٣).

والله أعلم.

٦٨٦ - باب التحذير من إنكار القدر والتبري

ممن لا يؤمن به وإغلاظ القول في حقه

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً: عاق، ومثان، ومكذب بالقدر»^(١).

عن ابن الديلمى قال: أتيت أبي بن كعب فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله أن يذهب به من قلبي فقال: «لو أن الله عَذَّبَ أَهْلَ سَمَآوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذْبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْراً لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتُ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تَوْمَنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيَخْطُئْكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبَكَ، وَلَوْ مِتُّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتُ النَّارَ».

قال ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك. قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك^(٢).

(١) حسن - أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢٣)، والطبراني في «الكبير» (٧٥٤٧) وغيرهما.

قلت: إسناده حسن؛ كما قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/٣٢١).
(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد (١٨٩/٥)، وابن حبان (٧٢٧)، والبيهقي (٢٠٤/١٠). من طريق أبي سنان عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمى قال (وذكره) موقوفاً على أبي بن كعب وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان ومرفوعاً من حديث زيد بن ثابت.

عن يحيى بن يعمر قال: كان أوّل من قال في القَدَر^(١) بالبصرة معبدُ الجهني، فانطلقتُ أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميريّ حاجّين أو مُعتمرين فقلنا: لو لَقِينَا أَحَدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفّق لنا^(٢) عبد الله بن عمر بن الخطّاب داخلًا المسجد، فاكتفتُهُ أنا وصاحبي^(٣)؛ أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننتُ أنّ صاحبي سيكلُ الكلام إليّ، فقلتُ:

أبا عبد الرحمن إنّه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرءون القرآن ويتقرءون العلم^(٤)، وذكر من شأنهم^(٥)، وأنّهم يزعمون أن لا قَدَرَ، وأنّ الأمر أنف^(٦).

قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنّي بريء منهم، وأنّهم بُرّاء

= قلت: وإسناده صحيح رجاله ثقات، وأبو سنان هو سعيد بن سنان الشيباني، وابن الديلمي هو أبو بسر عبد الله بن فيروز.

وحديث زيد المرفوع أخرجه أحمد (١٨٥/٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٤٥)، والطبراني في «الكبير» (٤٩٤٠).

من طريق إسحاق بن سليمان قال: سمعت أبا سنان يحدث عن خالد بن وهب عن ابن الديلمي وذكره مرفوعاً.

قلت: وهذا إسناد صحيح.

(١) أول من قال بنفي القدر وابتدع ذلك.

(٢) هيء لنا الاجتماع واللقاء.

(٣) صرنا في ناحيته ذات اليمين وذات الشمال نحف به، وهكذا يكون الأدب مع الفضلاء من أهل العلم، فيا ليت طلاب العلم يفعلون.

(٤) يطلبونه ويتبعونه.

(٥) ذكر من حالهم.

(٦) مستأنف لم يسبق له قدر، ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه الله جل جلاله بعد وقوعه... سبحانه هذا بهتان عظيم.

مِنِّي، والذي يحلفُ به عبدُالله بن عمر لو أنَّ لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتَّى يؤمِّنَ بالقدر. ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب «وساق حديث جبريل الطويل في الإسلام والإيمان والإحسان وأشراف الساعة»^(١).

● من فقه الباب:

١ - الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان، ولا يصح إيمان عبد حتَّى يؤمِّنَ بالقدر خيره وشره من الله، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، رفعت الأفلام، وجفت الصحف بما هو كائن إلى يوم القيامة، وأن الله يعلمه قبل وقوعه وحدوثه. وخلق السماوات والأرض، ومن كذب بذلك فهو من الخاسرين ولو أنفق ملء الأرض ذهباً فلن يقبل منه.

٢ - إجماع الصحابة رضي الله عنهم على التبري من مكذبي القدر، ووجوب إغلاظ القول فيهم.

٣ - عادة السلف رحمهم الله في إزالة الشبهات بسؤال أهل العلم، والعلماء يجيبون بما يزيل الشبهات، وذلك أنهم ينسبون الكلام إلى رسول الله ﷺ كما هو جلي في أحاديث الباب.

٦١) كتاب الإيمان والنذور

٦٨٧ - باب تغليظ تحريم اليمين الغموس

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وقال: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من حلف على يمين يقطع بها مال امرئ مسلم، هو عليها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان»^(١).

عن أبي أمامة إياس بن ثعلبة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرّم عليه الجنة»؛ فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضيباً من أراك»^(٢).

(١) البخاري (٢٣٥٦ و ٢٣٥٧)، ومسلم (١٣٨).

(٢) مسلم (١٣٧).

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»^(١).

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «من حلف على يمين مصبورة، كاذباً متعمداً، فليتبوأ بوجهه مقعده من النار»^(٢).

● من فقهه (الباب):

١ - تغليظ تحريم اليمين الكاذبة ليقطع حق امرئ مسلم ولو كان قليلاً، وهو يعلم، ومما يدل على ذلك، أنها جعلت قرينة الشرك بالله - عياداً بالله.

٢ - اليمين الغموس هي التي تغمس صاحبها في الإثم ونار جهنم - عياداً بالله.

٦٨٨ - باب الزجر عن اليمين الأثمة عند منبر رسول الله ﷺ

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه البخاري (٦٦٧٥)، وله شاهد من حديث عبدالله بن أنيس، وآخر من حديث أنس.

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٢٤٢)، وأحمد (٤٣٦/٤ و٤٤١)، والحاكم (٢٩٤/٤)، وأبو نعيم في «حلية الأئمة» (٢٧٧/٦).

من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عنه به.

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وهو كما قال، وقد ثبت سماع محمد بن سيرين من عمران؛ كما في صحيح مسلم؛ كما في «الجمع بين رجال الصحيحين» لابن القيسراني (١٦٨٢).

«من حلف بيمين آثمة عند منبري هذا، فليتبوأ مقعده من النار، ولو على سواك أخضر»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلف عند هذا المنبر عبد أو أمة على يمين آثمة، ولو على سواك رطب، إلا وجبت له النار»^(٢).

● من فقه الباب:

١- التشديد في تغليظ تحريم اليمين الفاجرة التي فيها اقتطاع حق

(١) صحيح - أخرجه مالك (٧٢٧/٢)، وأبو داود (٣٢٤٦)، وابن ماجه (٢٣٢٥)، وأحمد (٣٤٤/٣)، وابن حبان (٤٣٦٨)، والحاكم (٢٩٦/٤ - ٢٩٧)، والبيهقي (١٩٨/٧ و ١٧٦/١٠).

من طريق هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن عبدالله بن نسطاس عنه به. قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات؛ فإن عبدالله بن نسطاس وثقه النسائي؛ كما في «تهذيب التهذيب» (٥٦/٦) وقال ابن عبدالبر في «الاستذكار» (٨٣/٢٢): «وأما عبدالله بن نسطاس، فهذلي تابعي ثقة»، ولذلك فقول الذهبي في «الميزان» (٥١٥/٢): «لا يعرف تفرد عنه هاشم بن هاشم» فيه نظر فإن لم يعرفه الذهبي فقد عرفه غيره.

وله طريق آخر عند أحمد (٣٧٥/٣) وفيه جهالة.

وبالجملة؛ فالحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) صحيح - أخرجه ابن ماجه (٢٣٢٦)، وأحمد (٣٢٩/٢ و ٥١٨)، والحاكم (٢٩٧/٤).

من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد عن الحسن بن يزيد بن فروخ الضمري قال: سمعت أبا سلمة وذكره.

صححه الحاكم على شرط الشيخين، وقال الذهبي: صحيح.

قلت: وهو الصحيح؛ لأن الحسن بن يزيد لم يخرج له، ولكنه ثقة؛ فالإسناد صحيح.

امرىء مسلم، أو إرضاء أحد أو تقديم معذرة وبخاصة عند مقاطع الحقوق على منبر رسول الله ﷺ.

- ٢ - اختلف أهل العلم في كفارة اليمين الغموس، والصواب: أن كفارته إرجاع الحقوق إلى أهلها، والندم والتوبة إلى الله عز وجل.
- ٣ - هذه الأحاديث وإن كانت مصرحة باستحقاق فاعل ذلك لئار جهنم، إلا أنه تحت المشيئة إن شاء عذبه أو شاء عفا عنه على أصول أهل السنة.

قال ابن عبد البر رحمه الله في «الاستذكار» (٨٣/٢٢ - ٨٤): «والمعنى في ذلك سوء، وهو اشتراط الإثم في الوعيد دون البر. ومذهبنا في الوعيد كله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦].

٦٨٩ - باب النهي عن الحلف في قطيعة الرحم أو فيما لا يصلح

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين قطيعة أو معصية فحنت فذلك كفارة»^(١).

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حلف في قطيعة رحم أو فيما لا يصلح، فبره أن لا يتم على ذلك»^(٢).

(١) صحيح - أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٦٦٤).

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٢) حسن لغيره - أخرجه ابن ماجه (٢١١٠).

قلت: إسناده ضعيف؛ فيه حارثة بن أبي الرجال ضعيف، ويشهد له ما قبله.

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف على يمين ثم رأى اتقى لله منها فليأت التقوى»^(١).

عن عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها، فأتت الذي هو خير وكفرت عن يمينك»^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من استلج^(٣) في أهله بيمين فهو أعظم إثماً ليبر، يعني الكفارة»^(٤).

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين ثم أرى خيراً منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير»^(٥).

● من فقه الباب:

١ - الحض على إبعاد الضرر عن الأهل ورعايتهم بمنهج الله لا بالأهواء المضطربة والعادات المتقلبة.

٢ - من حلف يميناً تتعلق بأهله أو بأمر لا يصلح فينبغي أن يحث، فيفعل الذي هو خير، ويكفر عن يمينه، فإن قال: لا أحث بل

(١) مسلم (١٦٥١).

(٢) البخاري (٦٦٢٢)، ومسلم (١٦٥٢).

(٣) تمادى فيها، ولم يكفر.

(٤) البخاري (٦٦٢٦)، ومسلم (١٦٥٥).

(٥) البخاري (٦٦١٣)، ومسلم (١٦٤٩).

أتورع عن ارتكاب الحنث خشية الإثم، فهو مخطيء بهذا القول، بل استمراره على عدم الحنث وإقامة الضرر لأهله أكثر إثماً وأعظم وزراً.

٣ - الرجوع عن الخطأ خير من التماذي فيه، ولا يعد هذا عيباً يقدح في عدالة فاعله، بل هو منقبة لا يقدر عليها إلا فحول الرجال الذين يقدمون الحق على أنفسهم التي بين جنوبهم.

٤ - أحاديث الباب دليل لقاعدة المصالح والمفاسد التي عليها مدار الشرع، فتقديم المصلحة الراجحة هو المعتبر، وكذلك درء المفسدة الراجحة.

٥ - أحاديث الباب تفسر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، وهو الرجل يحلف ألا يبر ولا يصل ولا يصلح بين الناس، فيقال له: برّ، فيقول: قد حلفت، فيقال له: احنث وكفر عن يمينك ولا تجعل يمينك سداً بينك وبين البر والتقوى والإصلاح لأن ذلك أولى وأمثل، لأنه لو كان إثماً حقيقة لكان عمل ذلك الخير رافعاً له بالكفارة المشروعة ثم يبقى ثواب البر زائداً على ذلك، والله أعلم.

٦٩٠ - باب النهي عن النذر

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: «نهى النبي ﷺ عن النذر، وقال: «إنه لا يردّ شيئاً، وإنما يستخرج به من البخيل»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قدّر له، ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قدّر له،

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩) (٤).

فيستخرج الله به من البخيل فيؤتى عليه ما لم يكن يؤتى عليه من قبل»^(١).

● من فقه الباب:

١ - النذر أنواع:

أ - نذر الطاعة والوفاء وهذا يمدح فاعله ويستحب وقد مدح الله تعالى أهله فقال: ﴿يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ وَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، وصورته كمن يعافى من مرض، أو يرزقه الله ولداً، أو يحقق نجاحاً فيقول: لله على أن أصوم كذا أو أتصدق بكذا شكراً لله تعالى، ويكون بعد حصول الشيء لا قبله.

ب - النذر المعلق على فعل طاعة كقول: إن شفى الله مريضى صمت كذا أو صليت كذا، ومدار النهي على هذا، لأنه لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضرراً ولا يغير قدراً، وهذا الذي يظنه بعض الجهلة فيكثرون من النذر المعلق.

ت - نذر المعصية وهذا حرام، ولا يجوز الوفاء به بل يحرم.

٢ - نهى الشرع عن النذر المعلق، لأن الناذر يصير ملتزماً به، فيقع منه على غير نشاط، وقد لا يفعله إيماناً واحتساباً.

٣ - النذر يستخرج به من البخيل، لأنه لا يأتي بهذه القرية تطوعاً محضاً وإنما يأتي بها مقابلة شفاء مريض أو غيره.

٤ - إذا حصل الأمر المعلق كله وجب الوفاء بالنذر، فإن لم يف

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٤)، ومسلم (١٦٤٠) (٧).

بقي في ذمته، والله أعلم.

٦٩١ - باب لا نذر في معصية

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما؛ قال: «كانت ثقيفُ حلفاء لبني عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل وأصابوا معه العضباء^(١)، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق قال: يا محمد، فأتاه. فقال: «ما شأنك؟» فقال: بم أخذتني؟ وبم أخذت سابقة الحاج^(٢)؟ فقال: - إعظماً لذلك: «أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف»، ثم انصرف عنه فناده، فقال: يا محمد يا محمد، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً، فرجع إليه فقال: «ما شأنك؟» قال: إني مسلم. قال: «لو قتلها وأنت تملك أمرك، أفلحت كل الفلاح»^(٣)، ثم انصرف، فناده، فقال يا محمد يا محمد فأتاه فقال: «ما شأنك؟» قال: إني جائع فأطعمني، وظمآن فأسقني، قال: «هذه حاجتك» ففدي بالرجلين.

قال: وأسرت امرأة من الأنصار، وأصيبت العضباء، فكانت المرأة في الوثاق، وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل، فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتركه، حتى انتهت إلى العضباء، فلم ترعُ. قال: وناقة مَنُوقَة^(٤).

(١) وهي ناقة نجية كانت لرجل من بني عقيل ثم انتقلت إلى رسول الله ﷺ.

(٢) هي العضباء كانت لا تسبق معروفة بذلك.

(٣) لو قتلها قبل الأسر لنجوت، لأنه لا يجوز أسرك، وأما بعد الأسر فيسقط الخيار في قتلك، ويبقى الاسترقاق، والمن، والفداء.

(٤) مذلة.

فقعدت في عجزها، ثم زجرتها فانطلقت، ونذروا^(١) بها فطلبوها فأعجزتهم، قال: ونذرت لله؛ إن نجاها الله عليها لتنحرها؛ فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا له ذلك. فقال: «سبحان الله بئسما جزتها، نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرها، لا وفاء لنذر في معصية ولا فيما يملك العبد»^(٢).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا نذر في معصية، وكفّارته كفارة يمين»^(٣).

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «النذر نذران فما كان لله؛ فكفّارته الوفاء، وما كان للشيطان فلا وفاء فيه، وعليه كفارة يمين»^(٤).

(١) علموا بها وأمسوا بهربها.

(٢) مسلم (١٦٤١).

(٣) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٢٩٠)، والترمذي (١٥٢٤)، والنسائي (٢٦/٧ و ٢٧)، وابن ماجه (٢١٢٥)، وأحمد (٢٤٧/٦)، والبيهقي (٦٩/١٠).

قلت: إسناده صحيح؛ كما بينه شيخنا في «إرواء الغليل» (٢٥٩٠).

(٤) صحيح - أخرجه ابن الجارود (٩٣٥) وعنه البيهقي (٧٢/١٠). قلت: إسناده

صحيح رجاله ثقات، وخطاب: هو ابن قاسم الحراني ثقة للوجوه الآتية:

أ - أن أبا زرعة اختلف النقل عنه؛ فروى ابن أبي حاتم عنه أنه قال: «ثقة»، ونقل البردعي عنه قال: «منكر الحديث، يقال: اختلط قبل موته بسنة».

ب - التعديل مقدم على الجرح لأمرين:

الأول: إنه جرح مبهم.

الثاني: لم يذكر أحد الاختلاط غير أبي زرعة، ولم يسم القائل بل ذكره بصيغة التمرّض، وفيه إشارة إلى عدم ثبوته، ولذلك فإن جزم الحافظ به في «التقريب» غير=

● من فقه (الباب):

١ - النذر نوعان من حيث الواقع وفي نفس الأمر، فنذر لله وهو الطاعة فيجب الوفاء به وكفارته ذلك.

ونذر للشيطان وهو معصية فلا وفاء فيه، وكفارته كفارة يمين، وقد صح عن عائشة مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»^(١).

٢ - اختلف العلماء في الكفارة في نذر المعصية، والصواب وجوب الكفارة؛ لحديث عائشة وابن عباس.

وأما قول البغوي في «شرح السنة» (٢١/١٠): «وأن من نذر معصية فلا يجوز الوفاء به، ولا تلزمه به الكفارة، إذ لو كانت فيه كفارة، ولأشبهه أن يبين، وهو قول الأكثرين». قلت: فيه نظر من وجوه:

أ - قوله: «لو كانت فيه كفارة لأشبهه أن يبين» فقد بينه كما في حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما، وفيه حديث عقبة رضي الله عنه مرفوعاً: «كفارة النذر كفارة يمين»^(٢).

ب - قوله: «وهو قول الأكثرين»، مردود بما نقله الترمذي (١٠٤/٤): «وقال قوم من أهل العلم من أصحاب النبي وغيرهم: لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين، وهو قول أحمد وإسحاق

= جيد، ويبقى على ثقته، فقد وثقه ابن معين وابن حبان وغيرهما.

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦).

(٢) مسلم (١٦٤٥).

واحتجا بحديث عائشة؛ وقال بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم: لا نذر في معصية ولا كفارة في ذلك وهو قول مالك والشافعي.

فقوله: «بعض» يدل على الأقلية والله أعلم.

وتتأكد الكفارة بما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه إذ أتته امرأة فقالت: إني نذرت أن أنحر ابني، فقال: لا تنحري ابنك، وكفري عن يمينك؛ فقال شيخ عند ابن عباس: وكيف يكون في هذا كفارة؛ فقال ابن عباس: إن الله تعالى قال: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ [المجادلة: ٣]، ثم جعل فيه من الكفارة ما قد رأيت^(١).

قلت: مراد ابن عباس أن الظهار حرام وجعل فيه الشرع الكفارة؛ فمثله في ذلك نذر المعصية، وهذا قياس جلي.

٦٩٢ - باب إثم من لا يفي بالنذر

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - لا أدري ذكر مرتين أو ثلاثاً بعد قرنه - ثم يجيء قوم يندرون ولا يفون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، ويظهر فيهم السمن»^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - ذم من نذر ولم يَفِ بنذره؛ لأن ذلك من أخلاق المنافقين،

(١) صحيح - أخرجه مالك (٨/٤٧٦/٢).

قلت: إسناده صحيح.

(٢) البخاري (٦٦٩٥)، ومسلم (٢٥٣٥).

ولأن الله مدح المؤمنين بالوفاء بالنذر: ﴿يُؤْتُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]؛ فتبين أن من لم يف مذموم.

٢ - سوى الشرع بين من يخون أمانته ومن لا يفى بنذره، فلما كانت الخيانة مذمومة فيكون ترك الوفاء مذموماً.

٣ - ساق من ذكرهم مساق العيب، ولا يعاب إلا مذموم أما الجائر فلا يعاب، والله أعلم.

٦٩٣ - باب لا نذر ولا يمين فيما لا يملك

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «ليس على رجل نذر فيما لا يملك»^(١).

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ؛ قال: «لا طلاق إلا فيما تملك، ولا عتق إلا فيما تملك، ولا بيع إلا فيما تملك، ولا وفاء في نذر إلا فيما تملك»^(٢).

وفي رواية: «لا نذر ولا يمين فيما لا يملك العبد، ولا في معصية الله، ولا في قطيعة رحم».

عن عمران بن حصين رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك العبد»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم (١١٠) واللفظ له.

(٢) حسن - أخرجه أبو داود (٢١٩٠ - ٢١٩٢)، والترمذي (١١٨١)، وابن ماجه (٢٠٤٧)، وأحمد (١٨٩/٢ و ١٩٠ و ٢٠٧) وغيرهم.

قلت: إسناده حسن.

(٣) سبق تخريجه (ص ٣٨٧).

● من فقه الباب:

١ - من نذر أن يعتق عبد فلان أو أن يفعل فلان كذا أو حلف على ذلك لا يلزمه، لأنه تصرف فيما لا يملك.

٦٢ كتاب الفرائض

٦٩٤ - باب لا يرث القاتل

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «القاتل لا يرث»^(١).

● من فقه الباب:

١ - القاتل لا يرث.

قال الترمذي (٤/٤٢٥): «والعمل على هذا عند أهل العلم أن القاتل لا يرث كان القتل عمداً أو خطأ.
وقال بعضهم: «إذا كان القتل خطأ، فإنه يرث وهو قول مالك».

(١) حسن بشواهد - أخرجه الترمذي (٢١٠٩)، وابن ماجه (٢٦٤٥ و ٢٧٣٥)، والبيهقي (٢٢٠/٦).

من طريق إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة عن ابن شهاب عن حميد بن عبدالرحمن بن عوف به.

ضعفه الترمذي والبخاري (٣٦٧/٨) والبيهقي وقال: «إلا أن شواهد تقويه».

قلت: له شواهد من حديث جماعة من الصحابة: عبدالله بن عمرو، وابن عباس، وعمر بن شبة، وعمر ابن الخطاب رضي الله عنهم.
فالحديث حسن بمجموع ذلك، والله أعلم.

وقال البغوي في «شرح السنة» (٣٦٧/٨): «والعمل عليه عند عامة أهل العلم أن من قتل مورثه لا يرث، عمداً كان القتل أو خطأ، من صبي أو مجنون أو بالغ عاقل. وجملته أن كل قتل يوجب قصاصاً أو دية أو كفارة يمنع الميراث.

وقال بعضهم: قتل الخطأ لا يمنع الميراث، وهو قول مالك، لأنه غير متهم إلا أنه لا يرث من الدية شيئاً، وبه قال الحكم وعطاء والزهري. وقال قوم: يرث في الدية وغيرها، وقال قوم: قتل الصبي لا يمنع الميراث، وهو قول أبي حنيفة».

٦٩٥ - باب لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ؛ قال: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم»^(١).

وفي الباب عن عبدالله بن عمرو، وجابر، وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم.

● من نقه (الباب):

١ - اختلاف الملة مانع من الميراث، ومن ذهب إلى توريث المسلم من أهل الكتاب وقاس على نكاح الكتابية فهو قياس فاسد معارض للنص.

٢ - إذا أسلم الكافر قبل أن يقسم الميراث فلا ميراث له، لأن

(١) أخرجه البخاري (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤).

وقد أغرب المجد ابن تيمية في «المنتقى» فادعى أن مسلماً لم يخرج.

الميراث يستحق بالموت، وحصل ذلك وهو كافر أي المانع قائم،
وصورة المسألة: إذا مات مسلم وله ولدان مسلم وكافر فأسلم الكافر
قبل قسمة المال.

٣ - لا يتوراث أهل ملتين ولو كانتا كافرتين.

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (١٩٤/٦): «والحاصل: أن
أحاديث الباب قاضية بأنه لا يرث المسلم من الكافر من غير فرق أن
يكون حربياً أو ذمياً أو مرتداً فلا يقبل التخصيص إلا بدليل.

وظاهر قوله: «لا يتوارث أهل ملتين»^(١)، أنه أهل ملة كفرية من
أهل ملة كفرية أخرى، وبه قال الأوزاعي ومالك وأحمد والهادوية
وحمله الجمهور على أن المراد بإحدى الملتين الإسلام، وبالأخرى
الكفر ولا يخفى بعد ذلك، وفي ميراث المرتد أقوال أخر غير ما
سلف، والظاهر ما قدمنا».

(١) «صحيح الجامع الصغير» (٧٦١٣، ٧٦١٤).

٦٣) كتاب الحدود

٦٩٦ - باب تغليظ تحريم الزنى

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢، ٣]. وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَةَ إِنَّكُمْ كَانُمْ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْمَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ مِهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٦٩]. وقال: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر»^(١).

وعنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(١).

وعنه: عن النبي ﷺ؛ قال: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان وكان كالظلة، فإذا انقلع منه رجع إليه الإيمان»^(٢).

عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «ما تقولون في الزنى؟». قالوا: حرمه الله ورسوله؛ فهو حرام إلى يوم القيامة. فقال: «لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره»^(٣).

والأحاديث في الباب كثيرة.

● من فقه الباب:

١ - التشديد في تحريم الزنى، وأنه شرٌ سييل، وأسوأ مقييل، تجتمع فيه «خلال الشر كلها: من قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة؛ فلا تجد زانياً معه ورع، ولا وفاء بعهد، ولا صدق في حديث، ولا محافظة على صديق، ولا غيرة تامة على أهله؛ فالغدر والكذب والخيانة وقلة الحياء وعدم المراقبة وعدم الأنفة للحرم وذهاب الغيرة من القلب من شعبه وموجباته»^(٤).

(١) مضى تخريجه (١/١٢٥).

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٦٩٠) وغيره.

قلت: إسناده صحيح.

(٣) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٣)، وأحمد (٦ / ٨) وغيرهما.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٤) انظر: «روضة المحبين» (ص ٣٦٠ وما بعدها).

٢ - وتنكيلاً بالزناة؛ فقد اختص حد الزنى بأمور، هي:

أ - التغليظ.

ب - التشهير.

ت - النهي عن الرأفة بهما.

٣ - حدّ الزاني البكر جلد مئة وتغريب عام، وحدّ الزاني المحصن الرجم حتى الموت؛ فقد رجم رسول الله ﷺ ستة نفر، منهم ماعز والغامدية وغيرهما.

٤ - وأما الزنى بذات محرم؛ فقد استوجب العقوبة المغلظة، وهي القتل^(١).

قال ابن القيم رحمه الله في «روضة المحبين» (ص ٣٧٤): «وأما إن كانت الفاحشة مع ذي رَجِمٍ مَحْرَمٍ؛ فذلك الهُلك كل الهُلك، ويجب قتل الفاعل بكل حال عند الإمام أحمد وغيره».

٥ - وللزنى فروع؛ كزنى العينين، وزنى اللسان، وزنى الجوارح، وفيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «كتب الله على ابن آدم حظّه من الزّنى، أدرك ذلك لا محالة؛ فزنى العينين النظر، وزنى اللسان النطق، والنفس تمنى ذلك وتشتهي، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»^(٢).

(١) وانظر: «تهذيب السنن» (٦ / ٢٦٧ - ٢٦٩).

(٢) البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧) (٢٠).

٦٩٧ - باب تغليظ الزجر عن السرقة

قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

وقال: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَتُ...﴾ [الممتحنة: ١٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يتهب نُهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن»^(١).

وعنه أيضاً عن النبي ﷺ؛ قال: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - تغليظ تحريم السرقة؛ لأنها من الموبقات المهلكات، والسارق يستحق اللعن والعقوبة.

٢ - حدُّ السارق والسارقة قطع اليد من الرسغ؛ فإن عاد قطعت أطرافه، فإن أتى على أطرافه جاز للإمام قتله تعزيراً؛ لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: جيء بسارق إلى النبي ﷺ، فقال: «اقتلوه». فقالوا: يا رسول الله إنما سرق. فقال: «اقطعوه». قال: فقطع، ثم جيء به الثانية، فقال: «اقتلوه». فقالوا: يا رسول الله إنما

(١) مضى تخريجه (١/١١٩ - ١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧).

سرق. فقال: «اقطعوه». قال: فقطع، ثم جيء به الثالثة، فقال: «اقتلوه». فقالوا: يا رسول الله إنما سرق. قال: «اقطعوه». ثم أتى به الرابعة؛ فقال: «اقتلوه». فقالوا: يا رسول الله إنما سرق. قال: «اقطعوه». فأتى به الخامسة؛ فقال: «اقتلوه». قال جابر: فانطلقنا به، فقتلناه، ثم اجتررناه، فألقيناه في بئر، ورمينا عليه الحجارة^(١).

٣ - ولا قطع إلا باستيفاء الشروط وانتفاء الموانع، ومن ذلك:

أ - اعتبار الحرز.

ب - أن يكون المسروق نصاباً.

ت - المطالبة في المسروق.

ث - الإقرار مرتان أو بشهادة شاهدين.

ج - انتفاء الشبهة.

٤ - قول النبي ﷺ: «لعن الله السارق يسرق بيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده» ذهب الأعمش إلى أن المراد بيض الحديد وحبل السفينة؛ لأنهم كانوا يرون أنه يساوي الدراهم.

وتعقب أهل العلم كلامه وردّوه بكلام جيد، وأن المراد: أنه

(١) حسن - أخرجه أبو داود (٤٤١٠)، والنسائي (٨ / ٩٠ - ٩١)، والبيهقي (٨ / ٢٧٢).

قلت: إسناده فيه ضعف، لكن له شواهد يتقوى بها كما بيته في «إيقاظ الهمم المتقنى من جامع العلوم والحكم» (ص ٢٠٠).
وصححه الشافعي، وحسنه شيخنا.

وانظر لزماماً: «زاد المعاد» (٥ / ٥٦ - ٥٨).

يسرق البيضة والحبل فيكون سبباً لقطع يده بتدرجه إلى ما هو أكبر منه، وبذلك يكون الحديث تحذيراً من هذا الفعل وتنكيراً منه قبل أن تملكه العادة، وفي ذلك إشارة إلى سد الذرائع، والله أعلم.

٦٩٨ - باب ما لا قطع فيه

عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ؛ قال: «لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً»^(١).

عن رافع بن خديج رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا قطع في ثمر^(٢)، ولا كثر^(٣)»^(٤).

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ: أنه سئل عن الثمر المعلق، فقال: «من أصاب بفيه من ذي حاجة غير متخذ خُبْنَةً^(٥)؛ فلا شيء عليه، ومن خرج بشيء منه؛ فعليه غرامة مثليه

(١) أخرجه مسلم (١٦٨٤) (٢).

(٢) الرطب ما دام في رأس النخلة، فإذا صُرِمَ؛ فهو الرطب.

(٣) جُمَار النخل.

(٤) صحيح - أخرجه مالك (٨٣٩ / ٢)، وعبد الرزاق (٤٣٨٨)، والنسائي (٨٧ / ٨)، والترمذي (١٤٤٩)، وابن ماجه (٢٥٩٣)، وأحمد (٤٦٣ / ٣) و٤٦٤، ١٤٠ / ٤، و١٤٢، وابن حبان (٤٤٦٦)، والبيهقي (٢٦٠٠)، و٢٦٣ / ٨، وغيرهم.

قلت: وهو صحيح.

قال الحافظ في «التلخيص الحبير» (٤ / ٦٥): «وقال الطحاوي: هذا الحديث تلقت العلماء مثته بالقبول».

وله شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن ماجه (٢٥٩٤).

قلت: وسنده ضعيف.

(٥) لا يأخذ منه في ثوبه.

والعقوبة، ومن سرق بعد أن يؤويه الجرين^(١) فبلغ ثمن المجن^(٢)؛ فعليه القطع^(٣).

عن جنادة بن أبي أمية؛ قال: كنا مع بسر بن أرطاة في البحر، فأتى سارق يقال له: مصدر، قد سرق بختية، فقال: قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقطع الأيدي في السفر»، ولولا ذلك لقطعته^(٤).
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «ليس على منتهب ولا مختلس ولا خائن قطع»^(٥).
● من فقه الباب:

١ - قطع يد السارق ثبت بالكتاب والسنة والإجماع، ولكن للمسألة فروع تمنع القطع، وهي ما جمعناه في هذا الباب.

-
- (١) موضع يجفف فيه التمر، وجمعها جُرُن، وهو كالبيدر للحنطة.
(٢) الترس، وكان ثمن الترس ثلاثة دراهم أو ربع دينار.
(٣) صحيح لغيره - أخرجه أبو داود (١٧١٠ و ٤٣٦٠)، والترمذي (١٢٨٩)، والنسائي (٨ / ٨٥ و ٨٦)، وابن ماجه (٢٥٩٦)، وأحمد (٢ / ١٨٠ و ٢٠٣ و ٢٠٧)، والدارقطني (٤ / ٢٣٦)، والحاكم (٤ / ٣٨١)، والبيهقي (٨ / ٢٧٨) وغيرهم.
قلت: إسناده حسن.
وله شاهد مرسل عند مالك (٢ / ٨٣١) عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين المكي عن رسول الله ﷺ مرسلًا.
قلت: سنده مرسل صحيح.
وبالجملة؛ فالحديث صحيح بمجموع ذلك، والله أعلم.
(٤) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٤٠٨)، والترمذي (١٤٥٠) وغيرهما.
قلت: وهو صحيح.
(٥) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٣٩١)، والترمذي (١٤٤٨)، والنسائي (٨ / ٨٨ - ٨٩ و ٨٩)، وابن ماجه (٢٥٩١)، وأحمد (٣ / ٣٨٠) وغيرهم.
قلت: وهو صحيح.

٢ - لا تقطع اليد إلا في ربع دينار فصاعداً أو ثلاثة دراهم أو ثمن المجن، ولا خلاف بين ذلك؛ فالدينار عندهم اثني عشر درهماً، فربعه ثلاثة دراهم، وكان ثمن المجن ثلاثة دراهم.

ولذلك؛ فإن نصاب السرقة ثلاثة دراهم، فإن بلغت السرقة ذلك كان القطع، وإلا؛ فلا.

٣ - السرقة هي أخذ مال الغير مُسْتَسِرّاً من حرز، فإن لم يكن في حرز وأخذه ظاهراً؛ فهو مختلس ومنتهب وخائن، ولا قطع عليه.

٤ - الثمار إذا كانت محرزة وبلغت نصاب السرقة يجب القطع، وإن لم تكن محرزة؛ ففيها الغرامة المضاعفة والعقوبة، ولذلك فحديث عبدالله بن عمرو مخصص لحديث رافع.

قال الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣ / ١٧٣): «ففرق رسول الله في الثمار المسروقة بين ما أواه الجرين منها وبين ما لم يأوه، وكان في شجره، فجعل فيما أواه الجرين منها القطع، وفيما لم يأوه الجرين الغرم والنكال.

فتصحیح هذا الحديث وما رواه رافع عن رسول الله ﷺ من قوله: «لا قطع في ثمر ولا كثر»، أن يجعل ما روى رافع هو على ما كان في الحوائط التي لم يحرز ما فيها على ما في حديث عبدالله بن عمرو مما زاد على ما في حديث رافع؛ فهو خلاف ما في حديث رافع، ففي ذلك القطع، ولا قطع فيما سوى ذلك، يستوي هذان الأثران، ولا يتضادان، وهذا قول أبي يوسف رحمه الله.

٥ - وكذلك الشاة المسروقة من المرعى وهي حريسة الجبل؛ فلا

قطع فيها إلا إذا أواه المراح.

٦ - اختلف أهل العلم في الإحراز ما صفته، والصواب ما عدّه الناس حرزاً لمثل ذلك المال؛ فهو معتبر، والله أعلم^(١).

٧ - لا يقام الحد في السفر والغزو.

قال الترمذي (٤ / ٥٣ - ٥٤): «والعمل على هذا عند بعض أهل العلم منهم الأوزاعي لا يرون أن يقام الحد في الغزو يحضره العدو مخافة أن يلحق من يقام عليه الحد بالعدو، فإذا خرج الإمام من أرض الحرب ورجع إلى دار الإسلام أقام الحد على من أصابه، كذلك قال الأوزاعي».

٨ - واختلفوا في قطع جاحد العارية؛ لاختلافهم في حال المرأة المخزومية: هل كانت تستعير الحلي والمتاع وتجحده، أم أنها سرقت، وبكلا الأمرين جاءت الروايات.

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده؛ فأمر النبي ﷺ أن تقطع يدها^(٢).

وعنها أيضاً: أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت^(٣).

قلت: فلا تعارض ولا اختلاف بحمد الله؛ للوجوه الآتية:

(١) وانظر لزماً: «شرح السنة» (١٠ / ٣١٩ - ٣٢٣).

(٢) مسلم (١٦٨٨) (١٠).

(٣) يأتي تخريجه (ص ٤١٦).

أ - أن سبب ورود الحديث يفسر الحديث، ومنه يتبين أن جاحد العارية يسمى سارقاً شرعاً.

ب - لا يرد عليه قول النبي ﷺ: «ليس على خائن قطع»، حيث حمل بعض أهل العلم ذلك على جاحد العارية، وإنما الخائن هو جاحد الوديعة.

وقد رد الإمام ابن قيم الجوزية هذه المسألة؛ فقال في «زاد المعاد» (٥ / ٥٠): «وحكم في امرأة كانت تستعير المتاع وتجدهه بقطع يدها، وقال أحمد رحمه الله بهذه الحكومة ولا معارض لها، وحكم ﷺ بإسقاط القطع عن المنتهب والمختلس والخائن، والمراد بالخائن: خائن الوديعة.

وأما جاحد العارية؛ فيدخل في اسم السارق شرعاً؛ لأن النبي ﷺ لما كلموه في شأن المستعيرة الجاحدة قطعها، وقال: «والذي نفسي بيده؛ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

فإدخاله جاحد العارية في اسم السارق كإدخاله سائر أنواع المسكر في اسم الخمر؛ فتأمل، وذلك تعريف للأمة بمراد الله من كلامه».

٦٩٩ - باب تغليظ تحريم قذف المحصنات المؤمنات

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤]. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَ لَا يُفَعِّلُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣ - ٢٥].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «اجتنبوا

السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حَرَّمَ الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات»^(١).

● من فقه الباب:

١ - تغليظ تحريم قذف المحصنات المؤمنات الغافلات بالزنى، وبيان أنه من كبائر الذنوب؛ فقد ورد فيه: اللعن، والعذاب، وشُرِع فيه حدٌّ.

٢ - حكم قذف المحصن من الرجال كحكم قذف المحصنة من النساء، ليس فيه نزاع بين أهل العلم.

٣ - تضمن حدّ القذف ثلاث عقوبات، هي:

أ - جلده ثمانين جلدة.

ب - عدم قبول شهادته.

ت - الحكم عليه بالفسق.

٤ - اختلف العلماء في من قذف عبداً: هل يقام عليه الحد أم لا؟ وسبق ترجيح إقامة الحد في كتاب العتق.

٥ - يدرأ الحد عن القاذف إذا جاء بأربعة شهداء.

٦ - من قذف باللواط أو أخرج رجلاً عن نسبه المعروف جُلِدَ حد القذف.

٧٠٠ - باب تغليظ الزجر عن عمل قوم لوط

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].

وقال: ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥].

وقال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ * أَيُّكُمْ لَتَأْتُوا الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨، ٢٩].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَخُوفَ مَا أَخَافَ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ»^(١).

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ»^(٢).

● مِنْ فَقْهِ الْبَابِ:

١ - تغليظ الزجر عن عمل قوم لوط.

(١) حسن - أخرجه الترمذي (١٤٥٧)، وابن ماجه (٢٥٦١)، وأحمد (٣ / ٣٨٢)، والحاكم (٤ / ٣٥٧). قلت: إسناده حسن.

(٢) صحيح - أخرجه أحمد (١ / ٣٠٩)، وأبو يعلى (٢٥٣٩)، وابن حبان (٤٤١٧)، والحاكم (٤ / ٣٥٦)، والطبراني (١١٥٤٦)، والبيهقي (٨ / ٢٣١).

قلت: إسناده صحيح.

٢ - حدُّ اللوطي القتل؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط؛ فاقتلوا الفاعل والمفعول به»^(١).

٣ - وقد اختلف في كيفية قتلهما، فقيل: هدم البناء عليهما، وقيل: رميهما من شاهق كما فعل بقوم لوط، والأظهر الرجم؛ لحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ في الذي يعمل عمل قوم لوط: «ارجموا الأعلى والأسفل، ارجموهما جميعاً».

٤ - فإن قيل: قد اختلف أهل العلم في حد اللوطي؛ فالجواب أن هذا خلاف غير معتبر؛ لما يأتي:

١ - صحة الأحاديث الواردة في حد اللوطي.

٢ - إجماع الصحابة على قتله كما قرره ابن القيم في «زاد المعاد» (٥ / ٤٠): «ولم يثبت عنه ﷺ أنه قضى في اللواط بشيء؛ لأن هذا لم تكن تعرفه العرب، ولم يرفع إليه ﷺ، ولكن ثبت عنه أنه قال: «اقتلوا الفاعل والمفعول به» رواه أهل السنن الأربعة وإسناده صحيح، وقال الترمذي: حديث حسن، وحكم به أبو بكر، وكتب به إلى خالد بعد مشاورة الصحابة، وكان علي أشدهم في ذلك.

وقال ابن القصار وشيخنا: أجمعت الصحابة على قتله، وإنما اختلفوا في كيفية قتله، فقال أبو بكر الصديق: يرمى من شاهق، وقال

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٤٦٢)، والترمذي (١٤٥٦)، وابن ماجه (٢٥٦١)، وغيرهم من طرق عنه.

قلت: وهو صحيح. وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

علي رضي الله عنه: يهدم عليه حائط، وقال ابن عباس: يقتلان بالحجارة؛ فهذا اتفاق منهم على قتله، وإن اختلفوا في كيفيته.

وقال في «الداء والدواء» (ص ٢٦٣): «أطبق أصحاب رسول الله ﷺ على قتله، لم يختلف فيه منهم رجلان، وإنما اختلفت أقوالهم في صفة قتله، فظن بعض الناس أن ذلك اختلاف منهم في قتله، فحكاها مسألة نزاع بين الصحابة، وهي بينهم مسألة إجماع لا مسألة نزاع».

٧٠١ - باب تحريم إتيان البهيمة وبيان حده

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه وقع على بهيمة؛ فاقتلوه واقتلوا البهيمة». فقيل لابن عباس: ما شأن البهيمة؟ قال: ما سمعت من رسول الله ﷺ في ذلك شيئاً، ولكن أرى رسول الله ﷺ كره أن يؤكل من لحمها، أو ينتفع بها وقد عمل بها ذلك العمل^(١).

● من فقه (الباب)

١ - تغليظ تحريم إتيان البهيمة.

قال ابن حزم في «المحلى» (١١ / ٣٨٨): «ولا خلاف بين أحد من الأمة أنه لا يحل أن تؤتى بهيمة أصلاً؛ ففاعل ذلك فاعل منكر».

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٦٦٤)، والترمذي (١٤٥٥)، والسياق له، وابن ماجه

(٢٥٦٤)، وأحمد (١ / ٢٦٩ و ٣٠٠)، والحاكم (٤ / ٣٥٥، ٣٥٦)، والبيهقي (٨

/ ٢٣٣)، والبخاري في «شرح السنة» (٢٥٩٣).

قلت: وهو صحيح.

وله شاهد من حديث أبي هريرة.

٢ - حد من أتى بهيمة القتل .

قال ابن القيم في «زاد المعاد» (٥ / ٤١): «وهذا الحكم على وفق حكم الشارع؛ فإن المحرمات كلما تغلظت تغلظت عقوباتها، ووطء من لا يباح بحال أعظم جرماً من وطء من يباح في بعض الأحوال؛ فيكون حده أغلظ، وقد نص أحمد في إحدى الروايتين عنه أن حكم من أتى بهيمة حكم اللواط سواء، فيقتل بكل حال، أو يكون حده حد الزاني، واختلف السلف في ذلك؛ فقال الحسن: حدّه حدّ الزاني، وقال أبو سلمة عنه: يقتل بكل حال، وقال الشعبي والنخعي: يعزر، وبه أخذ الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد في رواية، فإن ابن عباس رضي الله عنه أفتى بذلك، وهو راوي الحديث».

٣ - تقتل البهيمة، وقد قيل في تعليل ذلك: كراهة أن يؤكل لحمها أو ينتفع بها، وقيل: لثلاث يعير أهلها بها، وقيل: لثلاث تذكر الفاحشة كلما رآها الناس، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

قال الشوكاني (٧ / ٢٩٠): «وفي الحديث دليل على أنها تقتل البهيمة، والعلة في ذلك ما روى أبو داود والنسائي أنه قيل لابن عباس: ما شأن البهيمة... (وذكر قوله).

وقد تقدم أن العلة أن يقال: هذه التي فعل بها كذا وكذا.

وقد ذهب إلى تحريم أكل لحم البهيمة المفعول بها وإلى أنها تذبح علي عليه السلام والشافعي في قول له... وأما حديث أن النبي ﷺ نهى عن ذبح الحيوان إلا لأكله؛ فهو عموم مخصص بحديث الباب».

٧٠٢ - باب الزجر عن سب المحدودين

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ، كان اسمه عبدالله، وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جَلَدَهُ في الشَّرَاب، فأُتِيَ به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به. فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه؛ فوالله ما علمتُ أنه يحب الله ورسوله»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: أتى النبي ﷺ بسكران، فأمر بضربه، فمنا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بنعله، ومنا من يضربه بثوبه، فلما انصرف قال رجل: ما له أخزاه الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا عونَ الشيطان على أخيك»^(٢).

عن بريدة رضي الله عنه؛ قال: جاءت الغامدية، فقالت: يا رسول الله إني قد زينت فطهرني، وإنه ردّها، فلما كان الغدُ قالت: يا رسول الله لم تردّني؟ لعلك أن تردّني كما ردّدت ماعزاً؛ فوالله إني لحبلى. قال: «أما لا؛ فاذهبي حتى تلدي». فلما ولدت أتنه بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته. قال: «اذهبي فأرضعيه حتى تفظميه». فلما فطمته أتنه بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل الطعام. فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد بحجر، فرمى رأسها، فتنضح الدّم على وجه خالد، فسبّها، فسمع نبي

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨١).

الله ﷺ سَبَّهَ إِيَّاهَا، فقال: «مهلاً يا خالد؛ فوالذي نفسي بيده؛ لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس^(١) لغفر له». ثم أمرَ بها فصلى عليها ودفنت.

● من فقه (الباب):

- ١ - الزجر عن لعن وسبِّ المحدودين؛ لأن الحدود كفارة.
- ٢ - لعن المحدود أو سبَّه يعين الشيطان عليه؛ لأن الشيطان يريد بتزيينه له المعصية أن يحصل له الخزي، فإذا دعوا عليه بالخزي أو اللعن أو السبِّ؛ فكانهم حققوا مقصود الشيطان.
- ٣ - يجوز تبكيت المحدود بشنيع فعله، وهو قول: أما خشيت الله، أما استحييت من الله ورسوله والمؤمنين.

٧٠٣ - باب الزجر عن الشفاعة في حدود الله

قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ [النساء]:

[٨٥].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من حالت شفاعته دون حد من حدود الله؛ فقد ضاد الله في أمره، ومن مات وعليه دين؛ فليس ثمَّ دينار ولا درهم، ولكنها الحسنات والسيئات، ومن خاصم في باطل وهو يعلم؛ لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه حبس في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج مما قال»^(٢).

(١) من يأخذ الضرائب عند البيع والشراء من أعوان الظلمة وهو ما يسمى بـ «الجمارك».

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٣٥٩٧)، والحاكم (٢٧/٢) واللفظ له، وأحمد (٧٠/٢) =

وقال ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنهما عندما شفع في المرأة المخزومية: «أشفع في حدٍّ من حدود الله؟!»^(١).

● من فقه الباب:

١ - تحريم الشفاعة في حد من حدود الله؛ لأنها حقوق الله فلا يتهاون فيها.

٢ - من حالت شفاعته دون حد من حدود الله، فقد ضاد أمر الله ومملكه.

٣ - أحاديث الباب محمولة على ما بلغ الإمام، وأما قبل ذلك؛ فيجوز، والله أعلم.

قال البغوي في «شرح السنة» (١٠ / ٣٢٩): «وهذا بعد أن بلغ ذلك الإمام، فأما قبل بلوغ الإمام؛ فإن الشفاعة فيها جائزة حفظاً للستر عليه، فإن الستر على المذنبين مندوب إليه».

ودليل ذلك قوله ﷺ: «تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من

= من طريق زهير ثنا عمار بن غزية عن يحيى بن راشد عن عبدالله بن عمر به مرفوعاً.

صححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

قلت: وهو كما قال؛ فإن جميع رجاله ثقات، وله طرق أخرى.

وله شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعاً أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٥٥٢) بلفظ: «من حالت شفاعته دون حد من حدود الله؛ فقد ضاد الله في ملكه».

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤ / ٢٠١ و ٦ / ٢٥٩): «وفيه رجاء السقطي، ضعفه ابن معين ووثقه ابن حبان».

(١) يأتي تخريجه (ص ٤١٦).

حد؛ فقد وجب»^(١).

٤ - يجوز الشفاعة فيما يقتضي التعزير؛ لقوله ﷺ: «أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود»^(٢).

قال البغوي في «شرح السنة» (١٠ / ٣٣٠) بعده: «وفيه دليل على جواز ترك التعزير، وأنه غير واجب، ولو كان واجباً؛ لاستوى فيه ذو الهيئة وغيره».

وقال الحافظ في «فتح الباري» (١٢ / ٨٨): «يستفاد منه جواز الشفاعة فيما يقتضي التعزير، وقد نقل ابن عبد البر وغيره فيه الاتفاق، ويدخل فيه سائر الأحاديث الواردة في ندب الستر على المسلم، وهي محمولة على ما لم يبلغ الإمام».

٥ - ذهب بعض أهل العلم إلى أن الشفاعة تجوز فيمن لم يعرف بأذى الناس، وإنما كانت منه زلة.

قلت: يؤيده مفهوم ذوي الهيئات، روى البيهقي (٨ / ٣٣٤) عن

(١) صحيح لغيره - أخرجه أبو داود (٤٣٧٦)، والحاكم (٤ / ٣٨٣).

من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

قلت: إسناده حسن. وله شاهد من حديث ابن مسعود أخرجه أحمد (١ / ٤١٩)

و(٤٣٨)، والحاكم (٤ / ٣٨٢ - ٣٨٣) وغيرهما.

قلت: سنده فيه ضعف.

وبالجملة؛ فالحديث صحيح بمجموع ذلك، والله أعلم.

(٢) صحيح - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٦٥)، وأبو داود (٤٣٧٥)، وأحمد

(٦ / ١٨١)، والبيهقي (٨ / ٣٣٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩ / ٤٣)، وغيرهم.

قلت: وهو صحيح.

وله شواهد من حديث ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما.

الشافعي رحمهما الله؛ أنه قال: «وذوو الهيئات الذين يقالون عثراتهم: الذين ليسوا يعرفون بالشر، فيزل أحدهم الزلة».

٧٠٤ - باب الزجر عن إقامة الحدود على الضعفاء دون الشرفاء

عن عائشة رضي الله عنها: أن قریشاً أهتمهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ، ومن يجترىء عليه إلا أسامة حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكَلَّمَ رسول الله ﷺ، فقال: «أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟!». ثم قام، فخطب، فقال: «يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله؛ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت؛ لقطع محمد يدها»^(١).

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أقيموا حدود الله في القريب والبعيد، ولا تأخذكم في الله لومة لائم»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨).

(٢) حسن بطرقه - أخرجه ابن ماجه (٢٥٤٠) واللفظ له، وعبدالله بن أحمد في «الزوائد» (٣٣٠ / ٥).

قلت: إسناده فيه جهالة؛ لأن ربيعة بن ناجذ لم يرو عنه غير أبي صادق، ولذلك قال الذهبي: لا يكاد يعرف، ومع ذلك وثَّقه الحافظ في «التقريب»، ولعله اعتمد على توثيق ابن حبان والعجلي ولا يخفى تساهلهما. وله طرق أخرى عن عبادة.

الأولى: من طريق المقدم بن معدي كرب عنه به نحوه.

أخرجه أحمد (٣١٦ / ٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨ / ٤٢٨ / ١).

الثانية: جبير بن نفير عنه به.

● من فقه الباب:

- ١ - تغليظ حرمة الشفاعة في الحدود بعد بلوغها الإمام.
- ٢ - تفريق الإمام بين الناس في إقامة الحدود ظلم يجلب الهلاك والضلal للأمة، ولذلك ينبغي على ولاة أمور المسلمين ترك المحاباة في إقامة حدود الله وشرعه على من وجب عليه، ولو كان ولدًا أو أبًا أو قريبًا أو كبير القدر والشرف والجاه.
- ٣ - ينبغي التشديد في الإنكار على من هوّن في حدّ من حدود الله، أو رخص في تركه، أو تعرض للشفاعة فيمن وجب عليه.
- ٤ - ينبغي على الإمام أو من أنابه الإمام أن يقيم الحدود إذا بلغته ورفعت إليه، ولا يقبل شفاعة الشافعين؛ فلا تأخذه في الله لومة لائم.

٧٠٥ - باب لا يقام الحد على المجنون أو المجنونة

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: أتى رجل رسول الله ﷺ وهو في المسجد، فناداه فقال: يا رسول الله إني زنيت. فأعرض عنه حتى ردّد عليه أربع مرات، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبي ﷺ، فقال: «أبك جنون؟». قال: لا. قال: «فهل أحصنت؟». قال: نعم. فقال النبي ﷺ: «اذهبوا به فارجموه»^(١).

= أخرجه ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (١ / ٤٥٣)، ثم قال: قال أبي: لهذا حديث حسن إن كان محفوظاً.

قلت: لا شك أنه بمجموع هذه الطرق محفوظ؛ فهو كما قال.

(١) أخرجه البخاري (٥ / ٦٨).

● من فقه (الباب:

١ - إذا أصاب المجنون أو المجنونة حدّاً لا يقام عليه؛ لأن القلم رفع عنه حتى يفيق، ولذلك سأل رسول الله ﷺ: «أبك جنون؟».

٢ - وقد قضى بهذه الحكومة علي رضي الله عنه، وأقره عمر رضي الله عنه؛ فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: أتني عمر بمجنونة قد زنت، فاستشار فيها أناساً، فأمر بها عمر أن ترجم، فمَرَّ بها على علي بن أبي طالب، فقال: «ما شأن هذه؟». قالوا: مجنونة بني فلان زنت، فأمر بها عمر أن ترجم. فقال: ارجعوا بها. ثم أتاه فقال: يا أمير المؤمنين أما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يعقل؟ قال: بلى. قال: فما بال هذه ترجم؟ قال: لا شيء. قال: فأرسلها. قال: فأرسلها، قال: فجعل يكبر.

وفي رواية: أو ما تذكر أن رسول الله ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم»؟ قال: صدقت. قال: فخل عنها^(١).

٧٠٦ - باب الزجر عن أن يجلد في غير حد

أكثر من عشرة أسواط

عن أبي بردة رضي الله عنه؛ قال: كان النبي ﷺ يقول: «لا

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٣٩٩ - ٤٤٠١)، وابن خزيمة (١٠٠٣، ٣٠٤٨)، وابن حبان (١٤٣)، والحاكم (١ / ٢٥٨ و ٢ / ٥٩ و ٤ / ٣٨٩)، والبيهقي (٨ / ٢٦٤ و ٢٦٥)، وغيرهم.
قلت: وهو صحيح.

يجلد فوق عشر جلدات؛ إلا في حد من حدود الله»^(١).

١ - اختلف في المراد في الحد: أهو العقوبة المقدرة في الشرع كحد الزنى، والسرقة، وشرب الخمر، والقذف بالزنى، والحراة، والقتل، والقصاص في النفس والأطراف، والقتل في الردة، أم أنه عام والمراد أوامر الله ونواهيه كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْذُ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وغيرهما من الآيات.

قال البغوي في «شرح السنة» (١٠ / ٣٤٣ - ٣٤٤): «وحدود الله تعالى ضربان:

أحدهما: ما لا يقرب كالزنى وأشبهه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧].

الثاني: ما لا يتعدى كتزوج الأربع وما أشبهه، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩].

قلت: والمراد في الحديث الحدود ذات العقوبة المقدرة للوجوه الآتية:

أ - أن العقوبة في الحدود تزيد عن عشرة أسواط؛ فصح الاستثناء.

ب - أننا لو أجزنا الزيادة على عشر أسواط في كل حق من حقوق

(١) البخاري (٦٨٤٨)، ومسلم (١٧٠٨).

قلت: استدركه الحاكم (٤ / ٣٦٩ - ٣٧٠) على الشيخين ولم يصب.

الله لم يبق شيء يختص بالمنع به، ولألغينا دلالة الحديث.

٢ - فرق بعض أهل العلم في التعزير بين الكبائر؛ فأجاز الزيادة على عشر جلدات، وسمى ذلك حدًّا، واستدل بالآيات المتقدمة وألحقه بالمستثنى، وإن كان صغير؛ فهو المقصود بمنع الزيادة كما في الحديث.

قلت: وهذا تفريق دون دليل، وتحكم في النص؛ لأن المراد من التعزير أدب وزجر والجنائية الموجبة للتعزير قاصرة عما يوجب الحد؛ فلا يجوز أن تبلغ الحد، ولذلك جعل لها الشارع حدًّا أعلى ولم يجعل لها حدًّا أدنى، ولذلك فالعقوبة تتراوح ما بين ذلك حسب الجنائية الموجبة لذلك، والله أعلم.

٣ - وبذلك يكون المراد أن التعزير بالجلد لا ينبغي أن يتجاوز عشرة أسواط، وبه يحصل الردع، ولذلك قال الحافظ في «فتح الباري» (١٢ / ١٧٩): «وذلك ممكن في العشر بأن يختلف الحال في صفة الجلد أو الضرب تخفيفاً وتشديداً».

٤ - الحديث لا ينفي التعزير بما يحصل به الردع كالتجويع والعقوبة المالية، أو تقييد الإرادة كالحبس والنفي، أو كالزجر والتوبيخ.

قال الحافظ في «فتح الباري» (١٢ / ١٧٩): «نعم، يستفاد منه جواز التعزير بالتجويع ونحوه من الأمور المعنوية».

٦٤ كتاب الديات

٧٠٧ - باب لا يؤخذ أحد بجريرة أحد

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال: ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِدَةٌ وَزَدَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

عن أسامة بن شريك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجني نفس على أخرى»^(١).

عن طارق المحاربي رضي الله عنه؛ قال: رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه، يقول: «ألا لا تجني أم على ولد، ألا لا تجني أم على ولد»^(٢).

عن أبي رمثة؛ قال: انطلقت مع أبي نحو النبي ﷺ، ثم إن رسول الله ﷺ قال لأبي: «ابنك هذا؟». قال: إي ورب الكعبة. قال:

(١) حسن - أخرجه ابن ماجه (٢٦٧٢).

قلت: إسناده حسن رجاله ثقات غير عمران بن داود، متكلم فيه من جهة حفظه؛ فحديثه لا ينزل عن رتبة الحسن.

(٢) صحيح - أخرجه النسائي (٨ / ٥٥)، وابن ماجه (٢٦٧٠)، وابن حبان (٦٥٦٤)، والحاكم (٢ / ٦١١ - ٦١٢) وغيرهم.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

«حقاً؟» قال: أشهد به. قال: فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً من ثبت شبهي في أبي، ومن حلف أبي علي، ثم قال: «إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه»، وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^(١). وفي الباب عن عمرو بن الأحوص، وثعلبة بن زهدهم، ولقيط بن عامر رضي الله عنهم.

● من فقه (الباب):

١ - النهي أن يؤخذ أحد بجريرة أحد.

قال المناوي في «فيض القدير» (٦ / ٣٩١): «نهي أبرز في صورة النفي للتأكيد؛ أي: جنائيتها لا تلحق ولدها مع ما بينهما من شدة القرب وكمال المشابهة؛ فكل من الأصل والفرع يؤاخذ بجنائته، غير مطالب بجناية الآخر، وقد أخرج هذا المعنى بقوله: «لا تجني» مخرجاً بديعاً؛ لأن الولد إذا طوّل بجناية أصله كأنه جنى تلك الجناية عليه؛ فنفي الحكم من الأصل، وجعل وقوع الجناية من أحدهما على الآخر منتفية كأنها لم تقع، وذلك أبلغ؛ فإن السبب إذا نفى من الأصل كان

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٢٠٧ و ٤٤٩٥) والسياق له في الموطن الثاني، والنسائي (٨ / ٥٣)، وأحمد (٢ / ٢٢٦ و ٢٢٨ و ٤ / ١٦٣)، وابن الجارود (٧٧٠)، والبيهقي (٨ / ٢٧ و ٣٤٥)، والحميدي (٨٦٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٥٣٤) وغيرهم.

من طريق عبد الملك بن عمير عن إيباد بن لقيط عنه به.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

وله شاهد من حديث الخشخاش العنبري نحوه.

أخرجه ابن ماجه (٢٦٧١)، وأحمد (٤ / ٣٣٤ - ٣٣٥ و ٥ / ٨١). قلت: إسناده رجاله ثقات إلا أن هشيماً كان يدلس، وقد صرح بالسماع عند أحمد؛ فالإسناد صحيح.

نفي المسبب أكد وأبلغ».

٢ - زجر عما كانت عليه الجاهلية من أخذ الثار، حيث كانوا يقودون بالجنانية من يجدونه من الجاني وأقاربه الأقرب فالأقرب، وعليه الآن ديدن سكان البوادي والجبال والأرياف ممن لم ينعنقوا من أسر القبلية الممتنة، وعبية العشائرية المزرية.

قال السندي في «حاشيته على النسائي» (٨ / ٥٣): «فهو إخبار ببطلان أمر الجاهلية».

٧٠٨ - باب تغليظ تحريم طلب امرئ بغير حق

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومُطلب دم امرئ بغير حقٍّ ليهريق دمه»^(١).

● من فقه الباب:

١ - الزجر عن طلب امرئ مسلم؛ لقتله دون حق شرعي.

٢ - تعظيم حرمة المسلم دماً ومالاً وعرضاً.

٧٠٩ - باب تغليظ الزجر عن الانتحار

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «من حلف بملة غير الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال، ومن قتل نفسه بحديدة عُدَّ به في نار جهنم»^(٢).

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٤١).

(٢) البخاري (١٣٦٣) ومسلم (١١٠).

عن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «كان برجل جراح، فقتل نفسه، فقال الله: بادرني عبدي بنفسه، حرّمت عليه الجنة»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «من تردّى^(٢) من جبل فقتل نفسه؛ فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسّى^(٣) سماً فقتل نفسه؛ فسّمه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة؛ فحديدته في يده يجأ^(٤) بها بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»^(٥).

● من فقه الباب:

- ١ - تغليظ تحريم قتل النفس سواء أكانت نفس القاتل أم غيره.
- ٢ - ليس في أحاديث الباب متمسك لمن قال بتخليد أصحاب المعاصي في النار؛ فقد ورد عن رسول الله ﷺ ما يدحض هذا التوهم وبخاصة في مسألة الباب.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله هل لك في حصن حصين^(٦)

(١) البخاري (١٣٦٤) ومسلم (١١٣).

(٢) أسقط نفسه منه.

(٣) تجرع.

(٤) يطن.

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٧٨) ومسلم (١٠٩).

(٦) أرض دوس وحصن كانت لهم في الجاهلية.

ومنة^(١)، فأبى ذلك النبي ﷺ للذي ذخر الله للأنصار، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه، فاجتروا^(٢) المدينة، فمرض، فجزع، فأخذ مشاقص^(٣) له، فقطع بها براجمه^(٤)، فشخب يده^(٥) حتى مات، فرآه الطفيل بن عمرو في منامه، فرآه وهيئته حسنة، ورآه مغطياً يديه، فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبي ﷺ. فقال: ما لي أراك مغطياً يديك؟ قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت. فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم وَلِيْدَيْهِ فاغفر»^(٦).

قال النووي رحمه الله في «شرح صحيح مسلم» (٢ / ١٣١ - ١٣٢): «فيه حجة لقاعدة عظيمة لأهل السنة: أن من قتل نفسه أو ارتكب معصية غيرها ومات من غير توبة؛ فليس بكافر ولا يُقْطع له بالنار، بل هو في حكم المشيئة، وهذا الحديث شرح للأحاديث التي قبله الموهم ظاهرها تخليد قاتل النفس، وغيره من أصحاب الكبائر، وفيه إثبات عقوبة بعض أصحاب المعاصي، فإن هذا عوقب في يديه؛ ففيه رد على المرجئة القائلين بأن المعاصي لا تضر، والله أعلم».

٣ - قوله ﷺ: «خالداً مخلداً فيها أبداً» يحمل على من استحل

(١) عزة وامتناع.

(٢) كرهوا المقام فيها لضجر وسقم يصيب الجوف.

(٣) جمع مشقص، وهو سهم فيه نصل عريض.

(٤) جمع برجمة، وهي مفاصل الأصابع.

(٥) سال دمها بقوة.

(٦) مسلم (١١٦).

ذلك؛ فإنه يصير باستحلاله كافراً، والكافر مخلد في نار جهنم عياداً بالله، هذا إن كانت الرواية محفوظة، وإلا؛ فقد وهمها ووهنها الترمذي في «سننه» (٤ / ٣٨٧)، فقال: «وروى محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ؛ قال: «من قتل نفسه بسم عذب في نار جهنم»، ولم يذكر فيه: «خالداً مخلداً فيها أبداً»، وهكذا رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وهذا أصح؛ لأن الروايات إنما تجيء بأن أهل التوحيد يعذبون في النار ثم يخرجون منها ولم يذكر أنهم مُخلَّدون فيها».

٤ - من قتل نفسه يترك أهل العلم والفضل الصلاة عليه لعامة المسلمين ولا يصلون عليه؛ لحديث جابر بن سمرة رضي الله عنه؛ قال: «أتى النبي ﷺ برجل قتل نفسه بمشاقص فلم يصل عليه»^(١).

٧١٠ - باب الزجر عن منع أولياء المقتول من القاتل العمد

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «من قتل في عُمِّيَّة^(٢) أو رمية بحجر أو سوط أو عصا فَعَقَلَهُ عَقْلُ^(٣) الخطأ، ومن قتل عمداً فهو قَوْدٌ، ومن حال بينه وبينه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عدلاً»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٩٧٨) باب ترك الصلاة على القاتل نفسه.

(٢) أن يترامى القوم فيوجد بينهم قتيل لا يدري من قتله، ويعمى أمره؛ ففيه الدية.

(٣) ديته دية الخطأ.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٥٣٩) والسنائي (٨ / ٤٠)، وابن ماجه (٢٦٣٥).

قلت: وهو صحيح.

● من فقه الباب:

- القاتل العمد يقتل قصاصاً وعلى الإمام تمكين ولي المقتول منه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

٢ - من حال بين القاتل والقَوْد بمنع أولياء المقتول من قتله بعد طلبهم وليس بطلب العفو منهم؛ فقد استحق لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

٧١١ - باب لا يقتل الوالد بالولد

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقام الحدود في المساجد، ولا يقتل الوالد بالولد»^(١).

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقاد الوالد بولده»^(٢).

(١) مضي تخريجه (١/ ٣٢٨).

(٢) صحيح بطرقه - أخرجه أبو داود (١٤٠٠)، وابن ماجه (٢٦٦٢)، وأحمد (١ / ٢٢ و ٢٣ و ٤٩)، وابن أبي شيبة (٩ / ٤١٠)، والدارقطني (٣ / ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٣)، والبيهقي (٨ / ٣٨).

من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب.
قلت: إسناده حسن.

وأخرجه أحمد (١ / ١٦) من طريق مجاهد عنه.

قلت: رجاله ثقات، لكن مجاهداً لم يسمع عمر.
وبالجملة؛ فالحديث صحيح بطرقه، والله أعلم.

وفي الباب عن سراقه بن مالك، وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم.

● من فقه (الباب).

١ - لا يقتل والد بولده، وهذا عليه جمهور أهل العلم.

٧١٢ - باب لا يقتل مسلم بكافر

عن أبي جحيفة؛ قال: سألت علياً رضي الله عنه: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ فقال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة؛ ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهماً يعطى رجل في كتابه، وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة. قال: العقل^(١)، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر^(٢).

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يرد مُشدهم على مضغفهم، ومسرعهم على قاعدتهم، لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده»^(٣).

وفي الباب عن ابن عباس، وعائشة، ومعاذ بن يسار رضي الله

(١) الدييات.

(٢) البخاري (٦٩١٥).

(٣) صحيح لغيره - أخرجه أبو داود (٢٧٥١ و ٤٥٣١)، وابن ماجه (٢٦٥٩ و ٢٦٨٥)،

وأحمد (٢ / ١٩١ - ١٩٢ و ١٩٢ و ٢١١)، وابن الجارود (١٠٧٣)، والبخاري

(٢٥٣١ و ٢٥٣٢)، والبيهقي (٨ / ٢٩) من طرق عنه به.

قلت: إسناده حسن، وهو صحيح بشواهده.

عنهم.

● من فقه الباب:

١ - لا يقتل مسلم بكافر وعلى ذلك جمهور أهل العلم.

قال البغوي في «شرح السنة» (١٠ / ١٧٤ - ١٧٥): «وفيه دليل على أنه لا يقتل المسلم بالكافر، سواء كان الكافر ذميّاً له عهد مؤبد، أو مستأمنّاً وعهده إلى مدة، وإلى هذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وهو قول عمر، وعثمان، وعلي، وزيد بن ثابت، وبه قال عطاء، وعكرمة، والحسن البصري، وعمر بن عبدالعزيز، وإليه ذهب مالك، وسفيان الثوري، وابن شبرمة، والأوزاعي، والشافعي وأحمد، وإسحاق».

٢ - ذهب أصحاب الرأي إلى خلافه، واحتجوا بأحاديث وأثار لا يصح منها شيء كما بين ذلك الحافظ في «فتح الباري» (١٢ / ٢٦٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١٩٠ / ١٧٥ - ١٧٦)، والشوكاني في «نيل الأوطار» (٧ / ٥٥).

٣ - وقد ذهبت بعض الأحزاب إلى خلاف أحاديث الباب، ورددت عليهم مطولاً في كتابي «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة» (ص ٣٢٢ - ٣٢٥).

٦٥) كتاب استتابة المرتدين

٧١٣ - باب إثم من بدل دينه وعقوبته

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْبَلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ . . . هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا . . . وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥ - ٩١].

وقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ . . . وَسِعَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٥٤].

عن عكرمة؛ قال: أُتِيَ عليّ رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله ﷺ: «لا تعذبوا بعذاب الله»، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «من بدل دينه؛ فاقتلوه»^(١).

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ قال: أقبلت إلى رسول الله ﷺ ومعني رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يميني والآخر عن

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٢).

يساري، ورسول الله ﷺ يستاك؛ فكلاهما سأل، فقال: «يا أبا موسى أو يا عبدالله بن قيس». قال: قلت: والذي بعثك بالحق؛ ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل، فكأنني أنظر إلى سواكه تحت شفته قلصت، فقال: «لن - أو لا - نستعمل على عملنا من أراده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى - أو يا عبدالله بن قيس - إلى اليمن». ثم اتبعه معاذ بن جبل، فلما قدم ألقى له وسادة، قال: إنزل. فإذا رجل عنده موثق، قال: ما هذا؟ قال: كان يهودياً فأسلم ثم تهوّد. قال: اجلس. قال: لا أجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله (ثلاث مرات). فأمر به فقتل، ثم تذاكرا قيام الليل، فقال أحدهما: أما أنا فأقوم وأناام، وأرجو في نومتي ما أرجو في قومتي^(١).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(٢).

● من فقه (الباب):

١ - من أسلم أو كان مسلماً ثم بدل دينه؛ فقد هدر دمه وحلّ قتله لأحاديث الباب، وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين.

٢ - حكم المرتدة حكم المرتد لعموم الأدلة، ولم يأت مخصص صحيح، بل ضعيف منكر، مثل حديث: «لا تقتل النساء إذا هن

(١) البخاري (٦٩٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

ارتدّدن»^(١).

٣ - اختلف أهل العلم اختلاف عريضاً في استتابة المرتد والذي ينتظم مع قواعد الشرع ومقاصده الاستتابة أول مرة، فإن تكررت؛ فلا يخذع مؤمن من جحر مرتين، فيقتل دون استتابة ولا كرامة، والله أعلم.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وقوله ﷺ: «التارك لدينه المفارق للجماعة» يدل على أنه لو تاب ورجع إلى الإسلام لا يقتل؛ لأنه ليس بتارك لدينه بعد رجوعه، ولا مفارق للجماعة.

فإن قيل: بل استثناء هذا ممن يعصم دمه من أهل الشهادتين، يدل على أنه يقتل ولو كان مقرراً بالشهادتين، كما يقتل الزاني المحصن وقاتل النفس.

وهذا يدل على أن المرتد لا تقبل توبته كما حكي عن الحسن، أو أن يحمل ذلك على من ارتدّ ممن ولد على الإسلام؛ فإنه لا تقبل توبته، وإنما تقبل توبة من كان كافراً ثم أسلم، ثم ارتدّ على قول طائفة من العلماء، منهم: الليث بن سعد، وأحمد - في رواية عنه -، وإسحاق.

قيل: إنما استثناءه من المسلمين باعتبار ما كان عليه قبل مفارقة دينه؛ كما سبق تقريره، وليس كالثيب الزاني وقاتل النفس؛ لأن قتلها يوجب عقوبة لجريمتها الماضية ولا يمكن تلافى ذلك.

وأما المرتد؛ فإنما قتل لوصف قائم به في الحال، وهو ترك

(١) انظر: «سنن الدارقطني» (٣ / ١١٨ - ١١٩ و ٢٠٠ - ٢٠١).

دينه، ومفارقة الجماعة، فإن عاد إلى دينه وإلى موافقته للجماعة؛ فالوصف الذي أبيع به دمه قد انتفى، فتزول إباحة دمه، والله أعلم.

٤ - حديث أبي موسى الأشعري صريح في أن الكتابي إذا أسلم ثم رجع إلى دينه يعد مرتدًا يقتل، وفيه رد صريح على أفاك السودان الذي زعم أن الكتابي يجوز له أن يسلم ثم يرجع إلى دينه، بل افترى على الله كذباً بدعوى أنه يجوز للمسلم أن يصير كتابياً، نعوذ بالله من الخذلان، وعدم التوفيق والحرمان.

٧١٤ - باب تحريم قتل من أسلم على أي دين كان

عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه؛ قال: قلت لرسول الله ﷺ: أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار، فاقتلنا، فضرب إحدى يدي بالسيف، فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، أقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال: «لا تقتله». فقلت: يا رسول الله قطع إحدى يدي ثم قال ذلك بعد ما قطعها؟! فقال: «لا تقتله، فإن قتلته؛ فإنه بمنزلك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»^(١).

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما؛ قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقة^(٢) من جهينة، فصَبَحْنَا القوم على مياههم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله؛ فكف عنه الأنصاري، وطعنته برمحي حتى قتلتها، فلما قدمنا المدينة بلغ ذلك

(١) البخاري (٦٨٦٥)، ومسلم (٩٥).

(٢) بطن من قبيلة جهينة.

النبي ﷺ، فقال لي: «يا أسامة أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟!». قلت: يا رسول الله إنما كان متعوّذاً^(١). فقال: «أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟!». فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم^(٢).

● من فقه الباب:

١ - يجب تعليق أحكام الإسلام بالظاهر ولا يجوز البحث عما في الباطن، وفي هذا التشريع سد للذرائع ومنع للذين يحبون الانتقام والثأر والقتل بدعوى عدم صدق الباطن.

٢ - من صدر عنه ما يدل على الدخول في الإسلام من قول أو فعل حرم قتله.

٣ - من قتله عالماً بحرمة ذلك لزمه القصاص، ومن كان جاهلاً أو متأولاً وجبت عليه الدية كما صنع رسول الله ﷺ مع من قتلهم بعض أصحابه عندما ظنوا أنهم فعلوا ذلك خوفاً من القتل؛ فوداهم رسول الله ﷺ.

٤ - ولذلك لم يحكم رسول الله ﷺ على أسامة بالقصاص؛ لأنه كان متأولاً، فكان في ذلك شبهة، والحدود تدرأ بالشبهات.

٥ - وليس في أحاديث الباب حجة للخوارج وأفراخهم من

(١) معتصماً بها من القتل لا معتقداً لها.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦) (١٥٧).

وله شاهد من حديث جندب بن عبد الله عند مسلم (٩٧).

جماعات التكفير والغلو؛ كما بينته مفصلاً في كتابي: «بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين» (١ / ٤٦٢ - ٤٦٦)؛ ففي الإحالة ما يغني عن الإعادة والإطالة.

٦٥) كتاب الإكراه

٧١٥ - باب لا يجوز نكاح المكره

عن خنساء بنت خدام الأنصارية: «أن أباهَا زَوَّجَهَا وَهِيَ ثَيِّبٌ، فَكَرِهَتْ ذَلِكَ، فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَرَدَّ نِكَاحَهَا»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - نكاح المكره مردود، وإكراه المرأة على زواج دون رضاها حرام.

٢ - يجب استئذان المرأة بكرًا كانت أم ثيب، وقد مضى بسط ذلك في كتاب النكاح باب لا تنكح البكر والثيب إلا برضاها.

٧١٦ - باب الزجر عن الإكراه على الزنى

قال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّبَنَاتِكُمْ أَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: «كان عبد الله بن أبي

بْنُ سَلُولٍ يَقُولُ لَجَارِيَةٍ لَهُ: اذْهَبِي فابغينا شيئاً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِعْلَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ نَحْصًا لِلْبَنَاتِ غَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣] (١).

وفي رواية: أَنَّ جَارِيَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنْ سَلُولٍ يُقَالُ لَهَا: مُسَيِّكَةٌ، وَأُخْرَى يُقَالُ لَهَا: أَمِيمَةٌ، فَكَانَ يَكْرِهُهُمَا عَلَى الزَّنى، فَشَكَّتَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِعْلَاءِ...﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

● مِنْ نَقِهِ (البَابُ)

١ - قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» (٣ / ٢٩٩): «كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَمَةٌ أَرْسَلَهَا لِتَزْنِيَ وَجَعَلَ عَلَيْهَا ضَرِيَّةً يَأْخُذُهَا كُلُّ وَقْتٍ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ ذَلِكَ، وَكَانَ سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِيمَا ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ فِي شَأْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنْ سَلُولٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَ لَهُ إِمَاءٌ، فَكَانَ يَكْرِهُهُنَّ عَلَى الْبَغَاءِ طَلِباً لَخَرَاجِهِنَّ وَرَغْبَةً فِي أَوْلَادِهِنَّ وَرِيَاسَةً مِنْهُ فِيمَا زَعَمَ».

٢ - قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي «الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» (١٢ / ٢٥٤) - (٢٥٥): «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَرَدْتُمْ نَحْصًا﴾ رَاجِعٌ إِلَى الْفَتَيَاتِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَتَاةَ إِذَا أَرَادَتْ التَّحْصِينَ؛ فَحِينَئِذٍ يُمْكِنُ وَيَتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ السَّيِّدُ مَكْرَهَا، وَيُمْكِنُ أَنْ يَنْهَى عَنِ الْإِكْرَاهِ، وَإِذَا كَانَتِ الْفَتَاةُ لَا تَرِيدُ التَّحْصِينَ؛ فَلَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يُقَالَ لِلْسَّيِّدِ: لَا تَكْرَهْهَا؛ لِأَنَّ الْإِكْرَاهَ لَا يَتَصَوَّرُ فِيهَا وَهِيَ مَرِيدَةٌ لِلزَّنى، فَهَذَا الْأَمْرُ فِي سَادَةِ وَفَتَيَاتِ حَالِهِمْ هَذِهِ.

(١) مسلم (٣٠٢٩) (٢٦)، مسلم (٣٠٢٩) (٢٧).

وإلى هذا المعنى أشار ابن العربي، فقال: «إنما ذكر الله تعالى إرادة التحصن من المرأة، لأن ذلك هو الذي يصور الإكراه، فأما إذا كانت هي راغبة في الزنى لم يتصور إكراه، فحَصَلوه، وذهب هذا النظر عن كثير من المفسرين، فقال بعضهم قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ راجع إلى الأيامي، وقال بعضهم: هذا الشرط في قوله ﴿إِنْ أَرَدْنَ﴾ ملغى، ونحو ذلك مما يَضْعُف، والله الموفق».

٣ - وقد حرّم الله الزنى وعدّ مهر البغي خبيثاً، سواء أكانت مكروهة أو راغبة، لكن المكروهة لا يقع عليها إثم ولا يقام عليها حد، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣].

٤ - المكروهة لا يقام عليها الحد وفي ذلك أحاديث منها حديث صفية بنت أبي عبيد^(١): أن عبداً من رقيق الإمارة وقع على وليدة من الخمس، فاستكرهها حتى افتضاها، فجلده عمر الحد ونفاه، ولم يجلد الوليدة من أجل أنه استكرهها^(٢).

٥ - قال ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١٢ / ٣٢٢): «تكميل: لم يذكروا حكم إكراه الرجل على الزنى، وقد ذهب الجمهور أنه لا حدّ عليه، وقال مالك وطائفة: عليه الحد لأنه لا ينتشر إلا بلذة، وسواء أكرهه سلطان أم غيره، وعن أبي حنيفة يُحدّ إن أكرهه غير السلطان، وخالفاه صاحباه، واحتج المالكية بأن الانتشار لا يحصل إلا

(١) الثقفية امرأة عبدالله بن عمر.

(٢) البخاري (٦٩٤٩).

بالطمأنينة وسكون النفس، والمكره بخلافه لأنه خائف، وأجيب بالمنع وبأن الوطاء يتصور بغير انتشار، والله أعلم.

٦٦ كتاب التعبير

٧١٧ - باب تغليظ تحريم الكذب في الحلم

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «من تحلَّم^(١) بحلم لم يره؛ كلَّف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل»^(٢).

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال النبي ﷺ: «أفرى الفرى^(٣) أن يُرى الرجلُ عينيه ما لم تريا»^(٤).

وفي الباب عن علي، وأبي هريرة، وأبي شريح، ووائله رضي الله عنهم.

● من فقه (الباب):

١ - تحريم الكذب في الحلم، وأنه من أكبر الكبائر؛ لأنه كذب على الله، أما الكذب في اليقظة؛ فهو كذب على المخلوقين.

(١) قال أنه حلم في نومه ورأى كذا وكذا، وهو كاذب.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤٢).

(٣) جمع فرية، وهي الكذبة العظيمة التي يتعجب منها.

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٤٣).

٢ - الحلم من الشيطان؛ لأن رسول الله ﷺ سمّاه حلمًا ولم يسمه رؤيًا، والحلم يكون كذبًا هنا؛ فهو من الشيطان.

٧١٨ - باب لا يخبر المرء برؤيا يكرهها

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءًا من النبوة، والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره؛ فليقم، فليصل، ولا يحدث بها الناس»^(١).

عن أبي سلمة؛ قال: لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت النبي ﷺ يقول: «الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب؛ فلا يحدث بها إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره؛ فليتعوذ بالله من شرّها ومن شرّ الشيطان، وليتفل ثلاثًا، ولا يحدث بها أحدًا؛ فإنها لن تضرك»^(٢).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها؛ فإنها من الله؛ فليحمد الله عليها، وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره؛ فإنما هي من الشيطان؛ فليستعذ بالله من شرّها، ولا يذكرها لأحد؛ فإنها لن

(١) البخاري (٧٠١٧)، ومسلم (٢٢٦٣) واللفظ له.

(٢) البخاري (٧٠٤٤)، ومسلم (٢٢٦١) (٤).

تضره»^(١).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال لأعرابي جاءه، فقال: إني حَلَمْتُ أن رأسي قطع فأنا أتبعه؛ فزجره النبي ﷺ وقال: «لا تخبر بِلَعْبِ الشَّيْطَانِ بك في المنام»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - الرؤيا القبيحة من الشيطان يتلعب فيها بالإنسان؛ ليحزنه بسوء ظنه بربه.

٢ - من رأى رؤيا يكرهها؛ فعليه بما ثبت في السنة من الوسائل التي ترد كيد الشيطان، وهي:

أ - الصلاة.

ب - التعوذ من شرها وشر الشيطان.

ت - التفل عن اليسار ثلاثاً.

ث - التحول عن جنبه الذي كان عليه.

ج - لا يحدث بها أحداً.

قال ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٢ / ٤٥٨): «فأمره بخمسة أشياء: أن ينفث عن يساره، وأن يستعيز بالله من الشيطان، وأن لا يخبر بها أحداً، وأن يتحول عن جنبه الذي كان عليه، وأن يقوم يصلي، ومن فعل ذلك؛ لم تضره الرؤيا المكروهة، بل هذا يدفع

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٥).

(٢) مسلم (٢٢٦٨) (١٤).

شرها».

٧١٩ - باب لا يقص الرؤيا يحبها إلا على عالم أو محب

عن أبي رزين رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا على رجل طائر ما لم تُعَبَّرْ، فإذا عُبِّرَتْ وقعت»، وقال: «لا يقصها إلا على وادٍّ أو ذي رأي».

وفي رواية: «ولا يحدث بها إلا لبيباً أو حبيباً»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه كان يقول: «لا تُقَصُّ الرؤيا إلا على عالم أو ناصح»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - الرؤيا تقع على مثل ما تعبر، وهذا معنى قوله ﷺ: «على رجل طائر»؛ فشبهها رسول الله ﷺ بالطائر السريع طيرانه وقد علق برجله شيء؛ فهو يسقط بأدنى حركة.

٢ - ولذلك أرشدنا رسول الله ﷺ إلى أن لا نقص الرؤيا إلا على

(١) حسن لغيره - أخرجه أبو داود (٥٠٢٠) واللفظ له، والترمذي والرواية الثانية له (٢٢٧٨)، وابن ماجه (٣٦١٤)، وأحمد (٤ / ١٠)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٢٨٢) وغيرهم.

قلت: إسناده فيه ضعف؛ لأن وكيع بن حلس فيه جهالة. وله شاهد من حديث أسن أخرجه الحاكم (٤ / ٣٩١) وصححه ووافقه الذهبي.

قلت: وهو كما قالوا لولا تدليس أبي قلابة؛ فقد عنعنه. وبالجمله؛ فالحديث حسن، والله أعلم.

(٢) صحيح - أخرجه الترمذي (٢٢٨٠)، والدارمي (٢ / ١٢٦).

قلت: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

ناصح أو عالم أو محب وواحد أو ذي رأي؛ لأنه يختار أحسن المعاني في تأويلها أو موعظة تذكرك وترجرك.

قال البغوي في «شرح السنة» (١٢ / ٢١٤): «الوَادَّ لا يجب أن يستقبلك في تفسيرها إلا بما تحب، وإن لم يكن عالماً بالعبرة، لم يجعل لك بما يغمك، وأما ذو الرأي؛ فمعناه ذو العلم بعباراتنا، فهو يخبرك بحقيقة تفسيرها، أو بأقرب ما يعلم منها، ولعله أن يكون في تفسيرها موعظة تردعك عن قبيح أنت عليه، أو يكون فيها بشرى فتشكر الله عليها».

٣ - لا تقص الرؤيا على حاسد أو مبغض أو لا تعلم حبه أو علمه؛ لأنه «قد يفسرها بما لا يحب إما بغضاً أو حسداً؛ فقد تقع على تلك الصفة أو يتعجل لنفسه من ذلك حزناً ونكداً؛ فأمر بترك تحديث من لا يحب بسبب ذلك»^(١).

٤ - وكل هذا مقيد بما إذا كان التعبير مما تحتمله الرؤيا، ولو على وجه، وليس خطأ محضاً، وعندئذ؛ فلا تأثير له، والله أعلم.

٥ - وينبغي لمن سئل عن رؤيا أن يعبرها بخير، ويبشره بقوله خيراً رأيت وشرّاً وقيت، أو خيراً لنا ولأحبائنا، وشرّاً لأعدائنا، وغير ذلك من العبارات التي يبشر ولا تنفر، والله أعلم^(٢).

(١) «فتح الباري» (١٢ / ٤٣١).

(٢) انظر لزماً: «شرح السنة» (١٢ / ٢٠٧ - ٢٠٨).

٦٧ كتاب الفتن

٧٢٠ - باب الزجر عن مفارقة الجماعة ونكث البيعة

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه؛ فليصبر؛ فإنه من فارق الجماعة شبراً، فمات، فميتة جاهلية»^(١).

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعُسْرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه قال: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات؛ مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّة يغضب لعصبية، أو يدعو إلى عصبية، أو ينصر عصبية، فقتل؛ فقتلته جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برّها وفاجرها، ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده؛ فليس مني ولست

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

(٢) البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩) (٤٢).

منه»^(١).

عن نافع؛ قال: جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة. فقال: إني لم آت لك لأجلس؛ أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»^(٢).

عن أمّ سلمة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون أمراء، فتعرفون وتنكرون؛ فمن عَرَفَ برىء، ومن أنكر سَلِمَ، ولكن من رضي وتابع». قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا»^(٣).

عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ؛ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبّونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم». قيل: يا رسول الله! أفلا نناذبهم بالسيف؟ فقال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه؛ فاكرهوا عَمَلَهُ، ولا تنزعوا يداً من طاعة»^(٤).

عن معاوية رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

وليس له إمام مات ميتة جاهلية»^(١).

● من فقه (الباب):

١ - تغليظ تحريم مفارقة الجماعة والخروج على إمام المسلمين ونكث البيعة.

٢ - الجماعة التي يحرم مفارقتها هي:

أ - جماعة المسلمين وإمامهم؛ لقوله ﷺ في حديث حذيفة: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم»^(٢).

قال الحافظ في «فتح الباري» (١٣ / ٣٧) عن الطبري: «اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة، فقال قوم: هو للوجوب، والجماعة السواد الأعظم. وقال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم. وقال قوم: المراد بهم أهل العلم؛ لأن الله جعلهم حجة على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين.

والصواب: أن المراد بالجماعة من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة.

وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً؛ فلا يتبع أحد في الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية الوقوع

(١) صحيح لغيره - أخرجه أحمد (٩٦/٤)، وابن حبان (٤٥٧٣)، والطبراني (١٩/

٧٦٩) من طريق أبي بكر بن عباس عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عنه به.

قلت: إسناده حسن من أجل عاصم، وله شواهد يصح بها.

(٢) متفق عليه، وقد أفردت طرقه ورواياته وشرحه في جزء «القول المبين في جماعة المسلمين».

في الشر، وعلى ذلك ينتزل ما جاء في سائر الأحاديث، وبه يجمع ما ظاهره الاختلاف منها».

ب - فإن لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام، فتعتزل فرق البدعة، ولكن ينبغي على المسلم التمسك بغرز الفرقة الناجية والطائفة المنصورة؛ فهي الجماعة لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الافتراق.

- عن رسول الله ﷺ قال: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»^(١).

ت - وحينئذ لا يتبع أحد في الفرقة والاختلاف، بل يعض المسلم على أصل شجرة وهي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه؛ لأن الجماعة حالئذ تكون منهجاً وسبيلاً.

قال ابن حبان في «صحيحه» (١٤ / ١٢٦ - ١٢٧): «الأمر بالجماعة بلفظ العموم، والمراد منه الخاص؛ لأن الجماعة هي إجماع أصحاب رسول الله ﷺ، فمن لزم ما كانوا عليه وشذ عن من بعدهم؛ لم يكن بشاق للجماعة ولا مفارق لها، ومن شذ عنهم، وتبع من بعدهم؛ كان شاقاً للجماعة، والجماعة بعد الصحابة هم أقوام اجتمع فيهم الدين والعقل والعلم، ولزموا ترك الهوى فيما هم فيه، وإن قلت أعدادهم لا أوباش الناس ورعاعهم وإن كثروا».

وقال رحمه الله (١٠ / ٤٣٤ - ٤٣٥): «قوله ﷺ: «مات ميتة جاهلية» معناه: من مات ولم يعتقد أن له إماماً يدعو الناس إلى طاعة

(١) صحيح؛ كما بيته في «نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق الأمة» (ص ١٢).

الله حتى يكون قوام الإسلام به عند الحوادث والنوازل مقتنعاً في الانقياد على من ليس نعته ما وصفنا، مات ميتة جاهلية.

وقال: ظاهر الخبر أن من مات، وليس له إمام يريد به النبي ﷺ، مات ميتة جاهلية؛ لأن إمام أهل الأرض في الدنيا رسول الله ﷺ، فمن لم يعلم إمامته أو اعتقد إماماً غيره مؤثراً قوله على قوله، ثم مات؛ مات ميتة جاهلية.

قلت: وهذا المعنى الذي يشير إليه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عندما قال: «الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك».

وقد بسطت أدلة وجوب لزوم منهج السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان من أهل العلم والإيمان في «درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب»، و «لماذا اخترت المنهج السلفي».

٣ - حملت بعض الجماعات الإسلامية الأحاديث على أمرائها، فظنت أنها الجماعة التي يجب الانضمام تحت لوائها، وعقد البيعة لمؤسسيها، فسموه «الإمام»، وكل ذلك مخالف لصريح قواعد الإسلام؛ كما بيته في كتابي «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح».

٤ - لا يجوز الخروج على الأئمة وإن جاروا وظلموا، وهذا مؤطّن إجماع بين أهل السنة والجماعة أهل الحديث.

٥ - أمراء الجور يُكره عملهم وما هم عليه، ويؤمنون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولا يُطاعون في معصية، والعبد المسلم يؤدي ما

لهم ويسأل الله حقه، ولا يسألُ السيفَ؛ ففيه فتنة وهدر دماء، واستباحة أعراض وويلات لا يعلم مداها إلا الله عز وجل.

وللمسألة تفاصيل وفروع مكانها المطولات من كتب السلف الصالح.

٧٢١ - باب الزجر عن التحريش بين المسلمين

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشيطان قد آيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»^(١).

وعنه رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه ويقول: نعم أنت»^(٢).

● من فقه الباب:

١ - من سعى بالفتنة وإيقاظها والتحريش بين المسلمين؛ فهو شيطان منافق، ولذلك أخرج الإمام مسلم هذين الحديثين في صفات المنافقين وأحكامهم.

٢ - وقوع العداوة والبغضاء والشحناء، يؤدي إلى الفشل

(١) مسلم (٢٨١٢).

(٢) مسلم (٢٨١٣).

والضعف بين المسلمين وهوانهم على الله وعلى الناس وعلى أنفسهم.

٧٢٢ - باب تحريم اقتتال المسلمين

قال تعالى: ﴿وَلَنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَنَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَعَلُوا آلَتِي بَيْنِي حَتَّىٰ تَقَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [الحجرات: ٩، ١٠].

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»^(١).

عن جرير رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: «استنصت الناس». فقال: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٢).

عن أبي بكرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما؛ فالقاتل والمقتول في النار». قلت: يا رسول الله هذا القاتل؛ فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»^(٣).

وفي الباب عن عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وغيرهما.

● من فقه الباب:

١ - تحريم اقتتال المسلمين؛ لأن هذا من فعل الكفار.

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

٢ - مرتكب هذا الذنب لا يعد كافراً كفاً يتقل من الملة، على تفصيل ذكرته في مقدمتي على كتاب «تحذير أهل الإيمان» (ص ١٩ - ٢١).

٣ - اقتتال المسلمين يؤدي إلى ضعفهم وفشلهم وسخط الله عليهم.

٤ - الاقتتال المنهي عنه؛ هو ما كان على الدنيا جهلاً أو بغياً أو ظلماً أو اتباعاً للهوى، وليس المراد نصره الحق وقتال الفئة الباغية حتى تقيء إلى أمر الله.

٥ - دخول النار لا يستلزم الخلود فيها، ولذلك؛ فأحاديث الباب لا حجة فيها لخوارج أو معتزلة أو أفراسخما.

٧٢٣ - باب الزجر عن الإشارة إلى مسلم بسلاح

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «من حمل علينا السلاح؛ فليس منا»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يديه فيقع في حفرة من النار»^(٢).

وعنه رضي الله عنه يقول: قال أبو القاسم ﷺ: «من أشار إلى

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧٠)، ومسلم (٩٩).

وله شواهد من حديث أبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، وإياس بن سلمة عن أبيه، وكلها في الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٧).

أخيه بحديدة؛ فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه»^(١).

عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهر سيفه ثم وضعه قدمه هدر»^(٢).

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه؛ قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولاً»^(٣).

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مَرَّ أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا، ومعه نبل، فليمسك على نصالها»^(٤) بكفه، أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء»^(٥).

وفي رواية: فقال أبو موسى: والله؛ ما متنا حتى سدّناها^(٦) بعضنا إلى وجوه بعض.

(١) أخرجه مسلم (٢٦١٦). وله شاهد من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

(٢) صحيح - أخرجه النسائي (١١٧ / ٧)، والحاكم (٢ / ١٥٩)، وأبو نعيم (٤ /

٢١). عن معمر بن راشد عن عبدالله بن طاووس عن أبيه عنه.

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

قلت: وهو كما قال.

(٣) حسن - أخرجه أبو داود (٢٥٨٨)، والترمذي (٢١٦٣).

قلت: إسناده فيه عننة أبي الزبير.

وله شاهد من حديث أبي بكر عند الحاكم (٤ / ٢٩٠).

قلت: إسناده فيه عننة الحسن البصري، والمبارك بن فضالة.

وبالجملة؛ فالحديث بهما حسن.

(٤) جمع نصل، وهو حديدة السهم.

(٥) البخاري (٧٠٧٥)، ومسلم (٢٦١٥) (١٢٤).

وله شاهد من حديث جابر رضي الله عنه.

(٦) قوّمتها إلى وجوههم.

● من فقه الباب:

١ - حرص الشيطان على إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين، ولذلك يغري أحد الشاهرين سلاحهم، فيضرب أخاه بسلاحه، فيحقق الشيطان أمنيته.

٢ - تحريم تعاطي الأسباب المفضية إلى أذية المسلمين بكل وجه.

٣ - تحريم قتل المسلم وقتاله، وتغليظ الأمر في ذلك.

٤ - تحريم الإشارة إلى المسلم بسلاحه، وإن كان لاعباً أو عابثاً.

٥ - النهي عن ترويع المسلم؛ لأن ترويعه حرام.

٦ - النهي عن كل ما يفضي إلى محذور وإن لم يكن المحذور محققاً سواء أكان جدّاً أو هزلاً.

٧ - تحريم تعاطي السلاح مسلولاً؛ لأن المتناول قد يخطيء في تناوله؛ فيصاب بجرح في يده أو شيء من جسمه.

٨ - معنى قوله ﷺ: «من شهر السيف ثم وضعه»؛ أي في الناس يضربهم به، وقد ترجم له النسائي في كتاب تحريم الدم؛ باب من شهر سيفه ثم وضعه في الناس، وليس المراد من سلّه ثم أعاده إلى غمده، فمن صنع الأمر الأول؛ فلا دية ولا قصاص بقتله.

٧٢٤ - باب تغليظ الزجر عن إخافة المؤمن بالليل

عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من

رمانا بالليل؛ فليس منا»^(١).

● من نقه (الباب):

١ - قال المناوي في «فيض القدير» (٦ / ١٣٩): «من رمى إلى جهتنا بالقسي ليلاً فليس منا؛ لأنه حاربنا ومحاربة أهل الإيمان آية الكفران، أو ليس على منهاجنا؛ لأن من حق المسلم على المسلم أن ينصره ويقاثل دونه، لا أن يرعبه.

ويشمل هذا التهديد كل من فعله من المسلمين بأحد منهم لعداوة واحتقار ومزاح، لما فيه من التفريع والترجيع».

٧٢٥ - باب لا يذل المؤمن نفسه

عن حذيفة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه». قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: «يتعرض من البلاء ما لا يطيق»^(٢).

(١) صحيح - أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٥٥٣)، والقضاعي في «الشهاب» (٣٥٥)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٣٢٦).

من طريق عبدالعزيز بن محمد عن ثور بن زيد عن عكرمة عنه به.
قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

وله شاهد من حديث أبي هريرة، وآخر من حديث بريدة، وفي أسانيدهما مقال.

(٢) حسن لغيره - أخرجه الترمذي (٢٢٥٤)، وابن ماجه (٤٠١٦)، وأحمد (٥ / ٤٠٥)، والبيهقي في «شرح السنة» (٣٦٠١)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (١٥١)، والقضاعي في «الشهاب» (٨٦٦).

قلت: إسناده فيه ضعف؛ لأن علي بن زيد بن جدعان ضعيف، والحسن مدلس وقد عنعنه.

وله شاهد من حديث ابن عمر أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٥٠٧) =

● من فقه الباب:

- ١ - لا يجوز للمؤمن أن يذل نفسه بتعريضها للبلاء.
- ٢ - ينبغي على العبد أن يتوقى الأذى ما استطاع ولا يقابله بل يتعد عنه ولا يباشره؛ لأن الابتلاء صعب على النفس، وفي طياته فتنة مجهولة العواقب لا يدري الإنسان أثبت أم يرجع على عقبه.
- ويدل على ذلك الأدعية الماثورة عن رسول الله ﷺ التي يسأل الله فيها العفو والعافية والمعافة من البلاء والابتلاء.
- وكذلك الأحاديث التي فيها النهي عن تمني الموت، وتمني لقاء العدو مما مضى في مظانه.
- ٣ - إذا ابتلي العبد ووقع في الأذى والضرر؛ فعليه أن يصبر ويحتسب ويثبت، وليعلم أن الأمور كلها بيد الله، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.
- ٤ - المؤمن يتأني ويثبت في الأمور وينظر في عواقبها؛ فإن

= و «الأوسط» (٤٤٠٣ - مجمع البحرين)، والبزار (٣٣٢٣ - كشف الأستار)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (١٥٣) من طريق زكريا بن يحيى الضرير عن شعبة بن سوار - ثم وقع اضطراب في السند؛ فعند الطبراني في «الكبير» عن ورقاء بن عمر عن ابن أبي نجیح، وفي «الأوسط» عبد الكريم بدل ابن أبي نجیح، وعند البزار عن العلاء بن عبد الكريم - عن مجاهد عن ابن عمر.

ومع ذلك جوده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٢٧٤ - ٢٧٥)، والعراقي في «تخريج الإحياء» (١ / ٤٦)، والزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١ / ٢٩٦).

قلت: فالحديث حسن لغيره، والله أعلم.

وله شواهد آخر ذكرها الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين»؛ فليُنظر.

الفقيه من نظر في العواقب ولم تستفزه البداءات.

٧٢٦ - باب الزجر عن النصح للسلطان المسلم علانية أو إهانتة

عن شريح بن عبيد الحضرمي وغيره؛ قال: جلد عياض بن غنم صاحب دارا حين فتحت، فأغلظ له هشام بن حكيم القول حتى غضب عياض، ثم مكث ليالي، فأتاه هشام بن حكيم فاعتذر إليه، ثم قال هشام لعياض: ألم تسمع النبي ﷺ يقول: «إن من أشد الناس عذاباً أشدهم عذاباً في الدنيا للناس». فقال عياض بن غنم: يا هشام قد سمعنا ما سمعت، ورأينا ما رأيت، أولم تسمع رسول الله ﷺ يقول: «من أراد أن ينصح لسلطان بأمر؛ فلا يُبد له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا قد أدى الذي عليه»، وإنك يا هشام لأنت الجريء إذا تجترى على سلطان الله؛ فلا خشيت أن يقتلك السلطان فتكون قتيل سلطان الله تبارك وتعالى^(١).

(١) صحيح - أخرجه أحمد (٣ / ٤٠٣ - ٤٠٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٩٦)

من طريق صفوان بن عمرو حدثني شريح بن عبيد الحضرمي.

قال الهيثمي في «المجمع» (٥ / ٢٢٩): «رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أنني لم أجد لشريح عن عياض وهشام سماعاً وإن كان تابعياً».

قلت: وهو كما قال، لكن لم يفرد به كما هو ظاهر إسناد أحمد.

وتابعه جبير بن نفير عند الحاكم (٣ / ٢٩٠) وابن أبي عاصم (١٠٩٨)، والطبراني في «الكبير» (١٧ / ٣١٢ - ٣١٣ / ١٠٠٦).

قال الحاكم: صحيح، وتعقبه الذهبي بقوله: ابن زريق واه.

قلت: لم يفرد بل توبع كما هو عند ابن أبي عاصم، ولذلك قال الهيثمي (٥ / ٢٣٠): «رجاله ثقات، وإسناده متصل».

عن سعيد بن جمهان؛ قال: أتيت عبد الله بن أبي أوفى، وهو محجوب البصر، فسلمت عليه، فقال لي: من أنت؟ فقلت: أنا سعيد بن جمهان. قال: فما فعل والدك؟ قال: قلت: قتلته الأزارقة. قال: «لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة». حدثنا رسول الله ﷺ: «أنهم كلاب النار». قلت: الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها؟ قال: بل الخوارج كلها. قال: قلت: فإن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم. قال: فتناول يدي فغمزها بيده غمزة شديدة، ثم قال: «ويحك يا ابن جمهان؛ عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم، إن كان السلطان يسمع منك فأت به في بيته، فأخبره بما تعلم، فإن قبل منك وإلا فدعه؛ فإنك لست بأعلم منه»^(١).

● من فقه الباب:

١ - الزجر عن النصح للسلطان علانية؛ فليس من منهج السلف التشهير بعيوب السلطان؛ لأن ذلك يؤدي إلى تهيج العامة، ففوق الفتن، وإنما كان السلف يأتي أحدهم السلطان في بيته أو يأخذ بيده فيأمره وينهاه، فإن قبل منه فذاك فضل من الله، وإن لم يسمع فقد أعذر إلى الله، ولذلك لما قال بعض الناس لأسامة بن زيد رضي الله عنه ألا تنكر على عثمان؛ قال: «أنكر عليه عند الناس أنكر عليه بيني وبينه، ولا أفتح باب شر على الناس».

٢ - الخوارج وجماعات الغلو والتكفير تتخذ من أخطاء السلطان سلماً لإثارة الدهماء وصنع الفتن العمياء، ولذلك لما أنكر الخوارج

(١) حسن - أخرجه أحمد (٤ / ٣٨٢ - ٣٨٣).

قلت: إسناده حسن.

على عثمان جهرة تمت الفتنة والقتال والفساد؛ فكانوا مفاتيح شر مغاليق خير، نعوذ بالله من شرهم وفتنتهم التي لا تزال حتى يقاتل آخرهم مع الدجال^(١).

٣ - تشير أحاديث الباب إلى معنى جميل، وهو توقيف ذوي الهيئات من العلماء والخلفاء والأمراء لتصبح لهم مهابة في النفوس، فيسمع لهم ويطاع أمرهم، ولا يجترأ عليهم من يريد الفتنة أو شق جماعة المسلمين، وقد روي في هذا حديث من طريق زياد بن كسيب العدوي؛ قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر عبد الله بن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق. فقال أبو بكرة: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله»^(٢).

(١) انظر حديث ابن عمر الحسن عند ابن ماجه (١٧٤) وغيره.
(٢) ضعيف، ويحتمل التحسين - أخرجه الترمذي (٢٢٢٤)، وأحمد (٥ / ٤٢ و ٤٨ - ٤٩)، وابن حبان في «الثقات» (٤ / ٢٥٩)، والطيالسي (٨٨٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠١٨ و ١٠٢٤) وغيرهم.

من طريق حميد بن مهران عن سعد بن أبي أوس عنه به.
قلت: إسناده ضعيف؛ لأجل زياد بن كسيب مقبول عند المتابعة، وإلا؛ فليكن.
وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٢٥) بلفظ: «من أجل سلطان الله أجله الله يوم القيامة».

من طريق ابن لهيعة عن أبي مرحوم عن رجل من بني عدي عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه.

قلت: إسناده ضعيف جداً، فيه علتان:

الأولى: ضعف ابن لهيعة لسوء حفظه.

الثانية: فيه رجل مبهم وهو العدوي. وأما المتن؛ فيختلف كما لا يخفى =

٤ - ولا يرد على أحاديث الباب قوله ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»^(١)؛ لأنه لا يستنبط منه النصح علانية، بل العكس هو الصواب؛ فكلمة عنده تفيد أن ذلك حصل عند السلطان الجائر وليس على الملاء أو المناير، ولكن هذا السلطان لجوره قد يقتل هذا الناصح الأمين، فينال بذلك أعلى منازل الشهادة ويكون سيد الشهداء، والله أعلم.

٧٢٧ - باب الزجر عن إتيان أبواب السلطان.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ قال: «من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتن»^(٢).

عن أبي الأعور السلمي رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم وأبواب السلطان؛ فإنه قد أصبح صعباً هبوطاً»^(٣)^(٤).

● من فقه الباب:

١ - الزجر عن ملازمة أبواب السلطان لأنه فتنة، قال ابن الجوزي رحمه الله في «تلبيس إبليس» (ص ١٢١ - ١٢٢): «ومن تلبس إبليس على الفقهاء مخالطتهم الأمراء والسلاطين، ومداهنتهم، وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك.

= وبالجمل؛ فهذه المتابعة لا تصلح للاعتبار، والحديث ضعيف عندي، والله أعلم.

(١) صحيح - «الصحيحة» (٤٩١).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٢٦).

(٣) ذلاً.

(٤) صحيح - «الصحيحة» (١٢٥٣).

وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه؛ لينالوا من دنياهم عرضاً، فيقع بذلك الفساد؛ لثلاثة أوجه:

الأول: الأمير يقول: لولا أنني على صواب؛ لأنكر على الفقيه، وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالي؟!

الثاني: العامي، أنه يقول: لا بأس بهذا الأمير، ولا بماله، ولا بأفعاله، فإن فلاناً الفقيه لا يبرح عنده.

الثالث: الفقيه؛ فإنه يفسد دينه بذلك.

وقد لبس إبليس عليهم في الدخول على السلطان، فيقول: إنما ندخل لنشفع في مسلم.

وينكشف لهذا التلبس بأنه لو دخل غيره يشفع؛ لما أعجبه ذلك، وربما قدم في ذلك الشخص لتفرده بالسلطان.

وفي الجملة؛ فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن في أول الدخول، ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم، أو بالطمع فيهم، ولا يتماسك عن مداھنتهم، وترك الإنكار عليهم.

وقد كان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول: ما أخاف من إهانتهم لي، إنما أخاف من إكرامهم، فيميل قلبي إليهم.

٢ - ولقد أدرك السلف الأول خطورة هذه الفتنة التي تدهام قلب العبد فتجعله منكوساً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً؛ فنهوا عن الدخول على الملوك والسلاطين.

قال الحافظ ابن رجب في «شرح حديث ما ذئبان جائعان» (ص

(٥٣): «وقد كان السلف ينهاون عن الدخول على الملوك لمن أراد أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر أيضاً.

وممن نهى عن ذلك عمر بن عبدالعزيز، وابن المبارك، والثوري، وغيرهم.

وقال ابن المبارك: ليس الأمر الناهي عندنا من دخل عليهم، فأمرهم ونهاهم، إنما الأمر الناهي من اعتزلهم.

وسبب هذا ما يخشى من فتنة الدخول عليهم، فإن النفس قد تخيل للإنسان إذا كان بعيداً أنه يأمرهم وينهاهم ويغلب عليهم، فإذا شاهدتهم قريباً؛ مالت النفس إليهم وأحبهم، ولا سيما إن لطفوه، وقبل ذلك منهم».

ومما كتب سفيان الثوري إلى عباد بن عباد في وصيته المشهورة التي تضمنت جملاً من الآداب والحكم والأمثال والمواعظ: وإياك والأمراء: أن تدنو منهم وتخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تُخدع، فيقال لك: تشفع، وتدرأ عن مظلوم، أو تردُّ مظلمة، فإن ذلك طريق إبليس، وإنما اتخذها فجار القراء سلماً.

٣ - وليعلم الموفق: أن ذلك كله في أمراء الجور والظلمة.

قال ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١ / ١٨٥ - ١٨٦) خاتماً الباب الذي ذكر فيه ذم السلف للدخول على الأمراء والسلاطين: «معنى هذا الباب كله في السلطان الجائر الفاسق، فأما العدل منهم الفاضل؛ فمداخلته ورؤيته وعونه على الصلاح من أفضل أعمال البر، ألا ترى أن عمر بن عبدالعزيز إنما كان بصحبة جلة العلماء مثل: عروة

بن الزبير، وابن شهاب وطبقته.

وقد كان ابن شهاب يدخل إلى السلطان عبدالملك وبنه بعده، وكان ممن يدخل على السلطان: الشعبي، وقبيصة بن ذؤيب، ورجاء بن حيوة، وأبو المقدام - وكان عالماً فاضلاً -، والحسن، وأبو الزناد، ومالك بن أنس، والأوزاعي، والشافعي، وجماعة يطول ذكرهم.

وإذا حضر العالم عند السلطان غباً فيما فيه الحاجة، وقال خيراً، ونطق بالعلم؛ كان حسناً، وكان في ذلك رضوان الله إلى يوم يلقاه، ولكنها مجالس الفتنة أغلب، والسلامة منها ترك ما فيها.

وصدق من قال:

إن الملوك بلاء حيث ما حلّوا فلا يكن لك في أكنافهم ظلّ
ماذا تؤمل من قوم إذا غضبوا كادوا عليك وإن أرضيتهم ملّوا
فإن مدحتهم خالوك تخذعهم واستقلبك كما يستقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم أبداً إن الوقوف على أبوابهم ذلّ

٧٢٨ - باب الزجر عن التعرب بعد الهجرة

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أنه دخل الحجاج، فقال: يا ابن الأكوع ارتددت على عقبيك؛ تعرّيت؟ قال: «لا، ولكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو»^(١).

عن أبي سعيد رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «الكبائر

(١) أخرجه البخاري (٧٠٨٧)، ومسلم (١٨٦٢).

سيع: الإشراف بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والرجوع إلى الأعرابية بعد الهجرة^(١).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: «آكل الربا وموكله وكاتبه إذا علموا ذلك، والواشمة والمستوشمة، ولاوي الصدقة، والمرتد أعرابياً بعد الهجرة، ملعونون على لسان محمد ﷺ يوم القيامة»^(٢).

وفي الباب عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

● من فقه (الباب):

١ - تشديد الزجر عن ترك المهاجر هجرته ورجوعه إلى البدو، وأنه من كبائر الإثم.

٢ - ينبغي للمهاجر أن يلزم مهاجرة لينصر دين الله ويكون مع المسلمين.

٣ - يجوز التعرب في الفتنة، ويدل عليه حديث أبي سعيد

(١) حسن لغيره - أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٧٠٩).

قلت: إسناده فيه ضعف، وقد حسنه شيخنا في «صحيح الجامع الصغير» (٤٦٠٦). وله شاهد من حديث أبي هريرة وآخر من حديث علي بن أبي طالب.

(٢) أخرجه النسائي (٨ / ١٤٧) وأحمد (١ / ٤٠٩ و ٤٣٠ و ٤٦٤ - ٤٦٥).

من طرق عن الأعمش قال: سمعت عبدالله بن مرة يحدث عن الحارث عن عبدالله (وذكره).

قلت: إسناده صحيح.

الخدري رضي الله عنه؛ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف^(١) الجبال ومواقع القطر^(٢)؛ يفر بدينه من الفتن»^(٣).

لأن مقصود الهجرة نصرة الدين ودرأ الفتن، فإذا وقعت الفتن؛ فالهجرة اجتنابها، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «العبادة في الهرج كهجرة إلي»^(٤).

(١) أعلاها.

(٢) مواضع العشب التي ينزل فيها المطر.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٨٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٨).

٦٨ كتاب الأحكام

٧٢٩ - باب تغليظ تحريم الحكم بغير ما أنزل الله

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ * وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَّهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَنْ مَائِدَتِهِمْ يَحْيَى ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَنبَأْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٤ - ٤٧].

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ؛ قال: «وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»^(١).

(١) صحيح بشواهده - أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨ / ٣٣٣ - ٣٣٤)، والحاكم (٤ / ٥٤٠).

من طريقين عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر (وذكره).

قلت: إسناده ضعيف؛ لأن عطاء بن أبي رباح لم يسمع ابن عمر؛ فهو منقطع.

ولكن له شواهد من حديث بريدة وهو صحيح، وآخر من حديث ابن عباس قريب من الحسن؛ فالحديث بمجموع ذلك صحيح.

● من فقه الباب:

١ - الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل من الملة، وقد يكون كفراً عملياً، وذلك حسب حال الحاكم^(١).

أ - إن كان الحاكم مستحلاً للحكم بغير ما أنزل الله، أو يرى أن الحكم بغير ما أنزل الله مساوٍ للحكم بما أنزل الله أو أحسن، أو أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، أو أنه مخير؛ فكل هذه الحالات تنقل من الملة.

ب - أن يكون خاضعاً لهوى أو خائفاً على ملكه ولا يستحل ذلك بقلبه؛ فهو كفر عملي لا ينقل من الملة.

٢ - الحكم بغير ما أنزل الله من أعظم الجرائم وأكبر الكبائر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٣٠٥ - ٣٠٦): «ولي الأمر إذا ترك إنكار المنكرات، وإقامة الحدود عليها بمالٍ يأخذه؛ كان بمنزلة مقدم الحرامية، الذي يقاسم المحاربين على الأخيذة، وبمنزلة القواد الذي يأخذ ما يأخذه؛ ليجمع بين اثنين على فاحشة، وكان حاله شبيهاً بحال عجوز السوء امرأة لوط التي كانت تدل الفجار على ضيفه التي قال الله فيها: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهَا كَانَتْ مِنَ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣]، وقال: ﴿فَأَسْرِيَ أَهْلَكَ يَقْطَعُ مِّنَ النَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ [هود: ٨١]؛ فعذب

(١) بسطت تفاصيل ذلك في مقدمتي لـ «تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن»، وقد قرر ذلك تقريراً حسناً الأخ خالد بن علي العنبري حفظه الله في كتابه: «الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير»؛ فانظره فإنه نفيس.

الله عجوز السوء القوادة بمثل ما عذب قوم السوء الذين كانوا يعملون الخبائث، وهذا لأن هذا جميعه أخذ مال للإعانة على الإثم والعدوان، وولي الأمر إنما نصب ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذا هو مقصود الولاية، فإذا كان الوالي يُمكن من المنكر بمال يأخذه؛ كان قد أتى بضد المقصود، مثل من نصبته ليعينك على عدوك فأعان عدوك عليك، وبمنزلة من أخذ مالا ليجاهد في سبيل الله فقاتل به المسلمين».

فشيخ الإسلام لم يسلب الحاكم الذي يقوم بما ذكره وصف ولي الأمر، وإنما رتب عليه أوصاف أهل السوء من الفساق والدعارة، وهو لا شك يستحق ذلك، بل هو سبب ذلك - عياداً بالله -.

٣ - الحكم بغير ما أنزل الله لا يعد بذاته كفراً أكبر كما يدعي خوارج هذا العصر ممن لم يقف على أقوال السلف والخلف في هذه المسألة، ولذلك ينبز مخالفه بالإرجاء، وهذا من سبيل الفرق التي تصف اتباع السلف بما ليس فيهم.

وإنما يشمل الكافرين حسب حال الحاكم كما تقدم، وعلى ذلك إجماع السلف يدل على ذلك:

أ - قال ابن قيم الجوزية رحمه الله في «مدارج السالكين» (١) / (٣٣٥ - ٣٣٧): «وهذا تأويل ابن عباس وعامة الصحابة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ب - أنه قول المفسرين جميعاً ممن لم يتأثر بآراء الخوارج والمعتزلة كمصنف «في ظلال القرآن».

ت - أدخل أحد الخوارج على المأمون، فقال له: ما حملك على

خلافنا؟ قال: آية في كتاب الله. قال: وما هي؟ قال: قوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. فقال له المأمون: ألك علم بأنها منزلة؟ قال: نعم. قال: وما دليلك؟ قال الخارجي: إجماع الأمة. قال المأمون: فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل؛ فارض بإجماعهم في التأويل. قال: صدقت، السلام عليك يا أمير المؤمنين^(١).

مما تقدم يتبين أن عدّ الحكم بغير ما أنزل الله كفراً مخرجاً من الملة دون التفصيل، هو فهم الخوارج وليس فهم السلف الصالح.

قال ابن قيم الجوزية في «الصلاة وحكم تاركها» (ص ٥٥ - ٥٧): «وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة؛ فهو الكفر العملي قطعاً، ولا يمكن أن ينفي عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه.

فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر، وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله ﷺ، ولكن هو كافر عمل لا كفر اعتقاد، ومن الممتنع أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، ولا يطلق عليه اسم الكفر...

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله وبالإسلام والكفر ولوازمهما؛ فلا تُتَلَقَّى هذه المسائل إلا عنهم، فإن المتأخرين لم يفهموا مرادهم؛ فانقسموا فريقين:

فريقاً أخرجوا من الملة بالكبائر، وقضوا على أصحابها بالخلود

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٠ / ١٨٦)، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١ / ٢٨٠).

في النار.

وفريقاً جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان.

فهؤلاء غلوا، وهؤلاء جفوا.

وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى، والقول الأوسط الذي هو في المذاهب كالإسلام في المثل؛ فها هنا كفر دون كفر، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك، وفسوق دون فسوق، وظلم دون ظلم.

ثم ذكر آثار السلف في ذلك، وقال: «وهذا بين في القرآن لمن فهمه، فإن الله سبحانه سمى الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، وسمى جاحداً ما أنزله على رسوله كافراً، وليس الكفران على حدٍّ سواء».

٧٣٠ - باب الزجر عن طلب الإمارة

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من قومي، فقال أحد الرجلين: أمّرنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله، فقال: «إنا لا نولي هذا من سألته، ولا من حرص عليه»^(١).

عن عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه؛ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبدالرحمن لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكُلت^(٢) إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٩)، ومسلم (١٧٣٣).

(٢) أسلمت إليها ولم يكن لك من الله إعانة.

(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٧)، ومسلم (١٦٥٢) (١٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فعمت المرضعة، وبست الفاطمة»^(١).

عن أبي ذر رضي الله عنه؛ قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها»^(٢).

وعنه: أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم»^(٣).

عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هي؟ أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة، إلا من عدل؛ فكيف يعدل مع أقربيه؟»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٢٦).

(٤) صحيح - أخرجه البزار (١٥٩٧ - كشف الاستار)، والطبراني في «الكبير» (١٨ / ٦٠ و «الأوسط» (٦٧٤٧) و «مسند الشاميين» (١١٩٥).

من طريق صدقة بن خالد عن زيد بن واقد عن بسر بن عبيد الله عن يزيد بن الأصم عنه به.

قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح؛ كما قال الهيثمي (٢٠٠ / ٥). وله شاهد من حديث أبا هريرة وفيه ضعف، وآخر من حديث شداد بن أوس، وثالث من حديث زيد بن ثابت.

● من نقه (الباب):

- ١ - أحاديث الباب أصل عظيم في اجتناب الولايات .
- ٢ - تحريم طلب الإمارة، ويتأكد التحريم لمن علم من نفسه ضعفاً عن القيام بأعبائها.
- ٣ - من طلب الولاية لا يولى، فالإسلام لا يعطي الإمارة أو الولايات من سألها وحرص عليها وعمل على طلبها، وأحق الناس بها من امتنع عنها وكرهها.
- ٤ - طلب الإمارة أو استشراف ما يتعلق بالولايات كالقضاء والحسبة والوظائف العامة، ينتج عن مصلحة شخصية، ومن كان كذلك لم يتردد في الوقوع في الإثم ليحقق ما استشرفه وطلبه، وأما من خاف من الحكم كان أدعى للعدل لتحرزه من الوقوع في الإثم.
- ٥ - عظم مسؤولية الإمارة والولايات لما يترتب عليها من الملامة والندامة والعذاب يوم القيامة، إلا من عدل وأعطاهم حقها وقليل ما هم؛ فكيف يعدل مع أقربائه وأصحابه وأحبابه؟
- ٦ - جواز قبول الإمارة أو الولاية إذا أمر بذلك الخليفة أو عينه أهل الحل والعقد؛ إذ لا بد للناس من حاكم يقيم شرع الله فيهم ولا تأخذه في الله لومة لائم، فمن كان أهلاً لولاية وعدل؛ فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة.
- ٧ - من أعطي الإمارة من غير مسألة، أعانه الله ووفقه وهياً له بطاقة صالحة تأمره بالمعروف وتعينه عليه وتنهاه عن المنكر وتحول بينهما.

٨ - قال الحافظ في «فتح الباري» (١٣ / ١٢٦): «إن الذي يناله المتولي من النعماء والسراء دون ما يناله من البأساء والضراء؛ إما بالعزل في الدنيا فيصير حاملاً، وإما بالمؤاخضة في الآخرة وذلك أشد، نسأل الله العفو».

قلت: وهذا مراد رسول الله بقوله: «نعمت المرضعة، وبئست الفاطمة».

٩ - نقل (١٣ / ١٢٦) عن المهلب قوله: «الحرص على الولاية هو السبب في اقتتال الناس عليها حتى سُفكت الدماء واستُبيحت الأموال والفروج وعظم الفساد في الأرض بذلك».

قلت: وهذا مراد رسول الله بقوله: «إنكم ستحرصون على الإمارة»؛ فهذا إخبار منه ﷺ بالشئ قبل وقوعه، فوقع كما أخبر، وكان ما حذر منه رسول الله ﷺ.

فائدة:

استدل بعض من يرى جواز طلب الإمارة بما أخبر الله به عن يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، وهو استدلال فيه نظر من وجوه:

أ - أن هذا نبي، والعبد لا يعلم من نفسه ما يعلم النبي، وقد علم يوسف أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم.

ب - أن هذا شرع ما قبلنا وهو ليس شرعاً لنا وبخاصة أنه ورد في شرعنا ما يضاده.

ت - أن يوسف لم يكن في عصره أهلاً لذلك إلا هو، فرأى ذلك في فرض متعين عليه.

ث - أن يوسف قال ذلك عند من لم يعرفه، ولذلك قال ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٢ / ٤٩٩): «ويجوز له ذلك إذا جهل أمره للحاجة».

٧٣١ - باب تغليب زجر الحكام عن غش الرعية و ظلمها

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، و عائل مستكبر»^(١).

عن معقل بن يسار رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»^(٢).

عن أبي أمامة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «ما من رجل يلي أمرَ عشرة فما فوق ذلك؛ إلا أتى الله عز وجل مغلولاً يوم القيامة، يده إلى عنقه، فكّه برّه، أو أوبقه إثمّه، أولها ملامة، وأوسطها ندامة، و آخرها خزي يوم القيامة»^(٣).

و عنه؛ قال: «صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم

(١) أخرجه مسلم (١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥٠ و ٧١٥١)، ومسلم (١٤٢) (٢١).

(٣) حسن - أخرجه أحمد (٢٦٧/٥).

قلت: إسناده رجاله ثقات إلا يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الدمشقي القاضي فيه كلام يسير لا ينزل حديثه عن رتبة الحسن.

غشوم، وكل غالٍ مارق»^(١).

عن عمرو بن مرة قال: قلت لمعاوية بن أبي سفيان: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من إمام يغلق بابَه دون ذوي الحاجة والخَلَّة والمسكنة، إلا أغلق الله أبواب السماء دون خَلَّتِه وحاجتِه ومسكنتِه»^(٢). قال: فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس.

- (١) حسن - أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٠٧٩).
قلت: إسناده حسن فيه أبو غالب صاحب أبي أمانة حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال مسلم.
وأخرجه في «الأوسط» (٦٤٠) من طريق آخر عن أبي غالب لكن فيه ضعيفين وهما العلاء بن سليمان وشيخه الخليل بن مرة.
وكانه لذلك قال المنذري (١٨٥/٣)، والهيتمي في «المجمع» (٢٣٥/٥): «ورجال «الكبير» ثقات».
- وله شاهد من حديث معقل بن يسار.
أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٥) بإسناد ضعيف جداً فيه الأغلب بن تميم وإياه بمرّة؛ فلا يفرح به ولا كرامة.
- (٢) صحيح - أخرجه الترمذي (١٣٣٢)، وأحمد (٢٣١/٤)، والحاكم (٩٤/٤).
قال الترمذي: غريب.
قلت: وهو كما قال؛ فإن أبا حسن مجهول، ومع ذلك قال الحاكم صحيح ووافقه الذهبي، وهو وهم منهما.
وله إسناده آخر عن عمرو بن مرة.
أخرجه أبو داود (٢٩٤٨)، وابن سعد (٤٣٧/٧)، والحاكم (٩٤/٤)، والبيهقي (١٠١/١٠) وغيرهم.
قال الحاكم: إسناده شامي صحيح، ووافقه الذهبي، وهو كما قال.
وله شاهد من حديث معاذ عند أحمد (٢٣٨/٥)، والطبراني (٢٢٦/٢٠)، (٣١٦) وجود إسناده المنذري (١٤١/٣)، وقال الهيتمي (٢١٠/٥): «رجاله ثقات».
- قلت: فيه شريك بن عبد الله القاضي سيء الحفظ لكن يعتبر به.

● من فقه (الباب):

١ - وعيد شديد وزجر وتغليظ لأئمة الجور الذين استرعاهم الله أمر الأمة؛ فخانوها، أو ضيعوها، أو ظلموها، أو غشوها وكذبوا عليها ووعدوها؛ فأخلفوها فقد توجه إليهم الطلب بمظالم العباد يوم القيامة يوم الحسرة، والخزي، والندامة.

٢ - ينبغي للإمام أن يفتح بابه لذوي الحاجات والمظالم، فمن أغلق بابه عاقبه الله بأن لا ترفع دعوته، ولا يستجاب تضرعه.

٣ - ظلم الأئمة وجورهم وغشهم يحول بينهم وبين شفاعة رسول الله ﷺ، ومن ذلك يتبين أن أمرهم أعظم من أصحاب الكبائر؛ لأن شفاعة رسول الله ﷺ لأهل الكبائر من أمته.

٤ - الإمارة والإمامة تكليف ينبغي على من أعطيها أن يقوم بحققها لكيلا يبقى مغلولاً ثم يلقى في جهنم مذموماً محسوراً.

٧٣٢ - باب زجر السلطان عن تتبع عورات الرعية

عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم، أو كدت أن تُفسدهم»^(١).

عن أبي أمامة و المقدم بن معدي كرب وكثير بن مرة وعمر بن الأسود رضي الله عنهم: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الأمير إذا ابتغى الرئية في الناس أفسدهم»^(٢).

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٨٨٨). قلت: بسند صحيح.

(٢) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٨٨٩)، وأحمد (٤/٦)، والحاكم (٤/٣٧٨)،

● من فقه الباب:

١ - تحريم تتبع عورات الرعية؛ لأن ذلك يؤدي إلى فسادهم.
قال أبو جعفر الطحاوي في «مشكل الآثار» (١ / ٨٨): «وكان في الأمير إذا تتبّع ما قد أمر الله بترك تتبعه امتثل الناس ذلك منه، وكان في ذلك فسادهم».

٢ - من تجسس من الحكام و أعوانهم على الرعية، وجاء بدعوى على أحدهم، لا تقبل دعواه؛ لحديث أبي مسعود أنه أتى برجل فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمراً، فقال: إنا قد نهينا عن التجسس، و لكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به^(١).

٣ - إذا أمر الله عباده بستر أنفسهم و لا يكشفوا ذلك، فعندئذ يكون كشف ستر الله عن غيرهم أكد في التحريم.

٧٣٣ - باب الزجر عن إدخال الناس في الضرر و المشقة

عن طريف أبي تيمية قال: شهدت صفوان و جندباً و أصحابه وهو يوصيهم فقالوا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً؟ قال: سمعته يقول: «من سمع سمع الله به يوم القيامة، و من شاقَّ شقق الله عليه يوم القيامة».

فقالوا: أوصنا، فقال: «إن أول ما يتن من الإنسان بطنه، فمن

= والطحاوي في «مشكل الآثار» (٨٨) من طريق إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عنهم به.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات، وإسماعيل بن عياش روايته من أهل بلده مستقيمة وهذا منها.

(١) صحيح - أخرجه أبو داود (٤٨٩٠). قلت: سنده صحيح.

استطاع أن لا يأكل إلا طيباً فليفعل، و من استطاع أن لا يحال بينه و بين الجنة بملء كف من دم هراقه فليفعل»، قلت لأبي عبد الله: من يقول: «سمعت رسول الله ﷺ جندب؟ قال: نعم جندب! (١).

عن أبي صرمة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من ضار أضر الله به، و من شاق شقَّ الله عليه» (٢).

عن النبي ﷺ قال: «لا ضرر و لا ضرار» (٣).

(١) أخرجه البخاري (٧١٥٢).

(٢) حسن - أخرجه أبو داود (٣٦٣٥)، وابن ماجه (٢٣٤٢)، وأحمد (٤٥٣/٣)، وغيرهم.

قلت: حسنه شيخنا في «صحيح الجامع الصغير» (٦٣٧٣).

(٣) حسن بشواهد - أخرجه مالك (٧٤٥/٢) عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه مرسلًا.

قلت: سنده صحيح مرسل.

وروى موصولاً عن أبي سعيد الخدري أخرجه الحاكم (٥٧/٢ - ٥٨)، والبيهقي (٦٩/٦ - ٧٠)، والدارقطني (٢٢٨/٤).

من طريق عبدالعزيز بن محمد الدراوردي عن عمر بن يحيى المازني عن أبيه عن أبي سعيد به.

قلت: الدراوردي وإن كان ثقة من رجال مسلم ففي حفظه شيء يسير، فلا تقبل مخالفته للإمام مالك جبل الحفظ والإتقان، ولذلك فالصواب الإرسال. وللحديث شواهد عن جمع من الصحابة منهم عبادة بن الصامت، وابن عباس وأبي هريرة، وجابر، وثعلبة بن أبي مالك، وأبي لبابة، وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم.

وقد أوعب شيخنا حافظ الوقت شامة الشام في تخريجها وبيان درجاتها في «إرواء الغليل» (٨٩٦)، و«الصحيح» (٢٥٠).

والحديث حسنه النووي، وابن رجب، وشيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى».

(٢٦٢/٣) واحتج به الإمام مالك، وجزم بنسبته إلى رسول الله ﷺ في «الموطأ» (٨٠٥/٢).

عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم فاشقّق عليه»^(١).

● من فقه الباب:

١ - تحريم إدخال المشقة و الضرر و العنت على المسلمين في أي شأن من شؤونهم.

٢ - من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فحملهم ما لا يطيعون و شقّ عليهم شقّ الله عليه يوم القيامة.

٧٣٤ - باب الزجر عن الفجور في الخصومة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخصم»^(٢).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهنّ كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، و إذا حدّث كذب، و إذا عاهد غدر، و إذا خاصم فجر»^(٣).

● من فقه الباب:

١ - يحرم الفجور في الخصومة؛ لأن ذلك دال على الانحراف عن الحق، و عدم قبوله، و الانقياد له.

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

(٢) البخاري (٧١٨٨)، ومسلم (٢٦٦٨).

(٣) البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

٢ - كثرة المخاصمة تفضي إلى الولوج في الباطل والمراوغة؛ لأنه كلما أخذ عليه جانب من الحجة أخذ في آخر.

٧٣٥ - باب ما يكره للقاضي عند القضاء

عن عبدالرحمن بن أبي بكرة، قال: كتب أبو بكرة إلى ابنه - و كان بسجستان - بأن لا تقض بين إثنين وأنت غضبان، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان»^(١).

وفي رواية: «لا يقضين أحد في قضاء بقضاءين، ولا يقض أحد بين خصمين وهو غضبان»^(٢).

عن علي رضي الله عنه؛ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، فقلت يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن و لا علم لي بالقضاء؛ فقال: «إن الله سيهدي قلبك و يثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء». قال: فما زلت قاضياً، أو ما شككت في قضاء بعد^(٣).

(١) البخاري (٧١٥٨)، ومسلم (١٧١٧).

(٢) أخرجه النسائي (٢٤٧/٨).

قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) حسن - أخرجه أبو داود (٣٥٨٢)، والنسائي في «خصائص علي» (٨ و٩)، والترمذي (١٣٣١)، وابن ماجه (٢٣١٠)، وأحمد (٨٣/١ و٨٦ و١١١ و١٣٦ و١٥٦)، والحاكم (٣/١٣٥ و٩٣/٤)، والبيهقي (٨٦/١٠) وغيرهم.

من طرق عنه.

قلت: هو حسن بمجموعها.

● من فقه (الباب):

١ - الزجر عن الحكم و القضاء في حالة الغضب، لأنه قد يتجاوز بالقاضي إلى غير الحق أو يحول بينه وبين إدراك الحق فمنع، فإن الغضب يحدث تغييراً يختل به النظر؛ فلا يحصل استيفاء الحكم على وجهه، والله أعلم.

٢ - قد يتعدى هذا النهي إلى كل ما يُغيّر الفكر ويستولي على النفس ويصعب مقاومته كالجوع و العطش الشديدين والنعاس الشديد؛ وكل ما يتعلق به القلب تعلقاً يشغله عن إستيفاء النظر.

فقد كتب عمر لأبي موسى الأشعري يقول له: «وإياك والقلق، والضجر، و التأذي بالناس، والتنكر للخصم في مجالس القضاء التي يوجب الله فيها الأجر، ويحسن فيها الذخر»^(١).

قال ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢ / ١٧٥ - ١٧٦):

«هذا الكلام يتضمن أمرين:

أحدهما: التحذير لما يحول بين الحاكم وبين كمال معرفته بالحق، وتجريد قصده له، فإنه لا يكون خير الأقسام الثلاثة إلا باجتماع الأمرين فيه، والغضب، والقلق، والضجر مضاد لهما، فإن الغضب غول العقل، يغتاله كما تغتاله الخمر.

(١) جزء من كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري في القضاء،

وهو كتاب جليل القدر عظيم النفع تلقاه العلماء بالقبول، وقد شرحه شرحاً عجائباً

الإمام ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين».

وقد استوفيت الكلام على أسانيده في كتابي: «من وصايا السلف» (ص ٥٧ - ٥٨).

والأمر الثاني: التحريض على تنفيذ الحق والصبر عليه وجعل الرضا بتنفيذه في موضع الغضب، والصبر في موضع القلق والضجر، والتحلي به واحتساب ثوابه في موضع التأذي، فإن هذا دواء ذلك الداء الذي هو من لوازم الطبيعة البشرية وضعفها، فما لم يصادفه هذا الدواء فلا سبيل إلى زواله هذا مع ما في التنكر للخصوم في إضعاف نفوسهم، وكسر قلوبهم، وإخراص ألسنتهم عن التكلم بحججهم؛ خشية معرفة التنكر، ولا سيما أن يتنكر لأحد الخصمين دون الآخر، فإن ذلك الداء العضال».

قال الشافعي رحمه الله في «الأم» (٦ / ١٩٩): «وكان معقولاً في الغضب تغير العقل والفهم، فأى حال جاءت عليه يعلم هو من نفسه غير عقله أو فهمه امتنع عن القضاء فيها، فإن كان إذا اشتكى أو جاع أو إهتم أو حزن أو بطر فرحاً تغير لذلك فهمه، أو خلقه لم أحب له أن يقضي وإن كان ذلك لا يغير عقله ولا فهمه ولا خلقه مضى، فأما الناس فيغمر القلب شبيهاً بغمر الغشي، فلا يقضي ناعساً ولا مغموراً القلب من هم أو وجع لغمر قلبه».

٣ - إن حكم في حالة غضب فلا يصح؛ لأن النهي متعلق بالقضاء ولهذا يقتضي الفساد، ولا يرد عليه حكم رسول الله ﷺ للزبير بن العوام بشراج الحرة بعدما أن أغضبه خصم الزبير ولأن ذلك متنفذ في حق رسول الله ﷺ لعصمته، لأنه منصف في حالة الرضى والغضب، وأما غيره فلا، فيبقى النهي قائماً؛ والله أعلم.

٤ - إطلاق لفظ الغضب، يؤخذ منه عدم التفريق بين مراتب الغضب ولا أسبابه.

٥ - لا يجوز للقاضي أن يحكم بقضاءين في أمر واحد، كأن يحكم بلزوم الدين وسقوطه مثلاً، إذ المقصود من نصب القضاء قطع النزاع و فصل الخلاف، ولا يحدث ذلك بمثل هذا القضاء.

٦ - لا يجوز للقاضي أن يستمع لأحد الخصمين دون الآخر.

٧٣٦ - باب تحريم الرشا في الحكم وغيره

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]. وقال تعالى: ﴿سَمْعُوتَ لِلْكَذِبِ أَكْثَلُونَ لِلشَّحْتِ إِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]. وقال: ﴿وَرَبَّى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ * لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة ٦٢، ٦٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «لعن الله الراشي والمرتشي»^(١).

(١) صحيح لغيره - أخرجه الترمذي (١٣٣٦)، وأحمد (٣٨٧/٢ و ٣٨٧ - ٣٨٨)، وابن حبان (٥٠٧٦)، وابن الجارود (٥٨٥)، والحاكم (١٠٣/٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٥٤/١٠) وغيرهم.

من طريق أبي عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة به.
قلت: رجاله ثقات غير عمر بن أبي سلمة؛ فقد اختلف أهل الجرح والتعديل فيه، ومن تتبع أقوالهم وجد أنه صدوق إن لم يخالف، فالإسناد عندي حسن، وهو صحيح كما يدل عليه الأحاديث في الباب، والله أعلم.

في الباب عن عبدالله بن عمرو، وعبدالرحمن بن عوف، وثوبان، وحذيفة، وعائشة، وأم سلمة، رضي الله عنهم.

● من فقه (الباب):

١ - تحريم الرشوة، وأن الراشي والمرتشي يستحقان الطرد من رحمة الله؛ لأنهما يلجان الباطل ويتعاونان على الإثم والعدوان.

٢ - يدخل في باب الرشوة، هدية العامل، وقد سبق بيان أنها غلول.

٣ - من نوازل هذا الزمان أن الناس تولى أمرهم من استأثر عليهم ومنعهم حقوقهم، ولذلك أثار بعض السائلين مسألة: هل يجوز للمسلم أن يجعل لهؤلاء جُعلاً أو يقدم لهم هدية؛ ليحصل منهم على بعض حقوقه؟.

وقد أجاب بعض أهل العلم حفظهم الله بالجواز، وقالوا: لا يعد هذا رشوة، لأن الرشوة ما كانت لإبطال حق أو إحقاق باطل وهذا ليس كذلك.

وهذه الفتوى فيها نظر من وجوه:

أ - أن إعطاء المانعين مالاً أو إهدائهم هدية تعينهم على ظلمهم، وتجعلهم يصيرون على منع الناس حقهم، وهذا تعاون على الإثم والعدوان.

ب - أن رسول ﷺ أمر الأنصار بالصبر عندما يرون أثرة وأموراً

تنكرونها، وهذا ما ينبغي على من منع حقه أو إستأثر الأمراء و المسؤولين عنه بشيء من دنياهم.

ت - هدايا العمال غلول؛ فلا ينبغي الإعانة على الغلول.

٧٣٧ - باب الزجر عن إستعمال النساء في الحكم

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: لقد نفعني الله بكلمة أيام الجمل لما بلغ النبي ﷺ أن فارساً ملكوا ابنة كسرى؛ قال: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»^(١).

● من فقه الباب:

١ - لا يجوز تولية المرأة شيئاً من أمور الحكم أو القضاء.

قال الإمام البغوي في «شرح السنة» (١٠ / ٧٧): «اتفقوا على أن المرأة لا تصلح أن تكون إماماً ولا قاضياً؛ لأن الإمام يحتاج إلى الخروج لإقامة أمر الجهاد، والقيام بأمور المسلمين، والقاضي يحتاج إلى البروز لفصل الخصومات، والمرأة عورة لا تصلح للبروز، وتعجز لضعفها عند القيام بأكثر الأمور، ولأن المرأة ناقصة، والإمامة والقضاء من كمال الولايات، فلا يصلح لها إلا الكامل من الرجال، ولا يصلح لهما الأعمى، لأنه لا يمكنه التمييز بين الخصوم، وما روى أن النبي ﷺ استخلف ابن أم مكتوم على المدينة مرتين، فإنما استخلفه في إمامة الصلاة دون القضاء والأحكام».

٢ - ونقل عن أبي حنيفة وابن جرير جواز ذلك، لكن أهل العلم

(١) أخرجه البخاري (٧٠٩٩).

ضعفوا هذا النقل، فقال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٣) / (١٨٣) بعد ذكره لحديث الباب: «قال القاضي أبو بكر بن العربي: هذا نص في أن المرأة لا تكون خليفة ولا خلاف فيه، ونقل عن محمد بن جرير الطبري: أنه يجوز أن تكون قاضية، ولم يصح ذلك عنه، ولعله نقل كما نقل عن أبي حنيفة أنها إنما تقضي فيما تشهد فيه، وليس بأن تكون قاضية على الإطلاق، ولا بأن يكتب لها مسطور بأن فلانة مقدمة على الحكم وإنما سبيل ذلك التحكيم والاستئابة في القضية الواحدة، وهذا الظن بأبي حنيفة وابن جرير.

وقد روى عن عمر أنه قدم امرأة على حبة السوق، ولم يصح فلا تلتفتوا إليه، فإنما هو من دسائس المبتدعة في الأحاديث».

٣ - وقد زعم قوم من العقلانيين أن هذا الحديث يخالف القرآن الكريم، واستدلوا بقصة سليمان عليه السلام مع ملكة اليمن بلقيس: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣] و الجواب من وجوه:

أ - ما ورد عن ملكة سبأ خبر عن قوم كافرين .

ب - أنها بعد إسلامها دخلت في رعية سليمان عليه السلام، ولم تبقى كما كانت من قبل .

ت - أن الأخبار لا يؤخذ منها حكماً شرعياً مالم تقترن بقرائن تدل على ذلك .

ث - لو صح أن هذا كان جائزاً فيمن قبلنا فهو ليس شرعاً لنا، لأن شرعنا تام كامل وقد أبطل ذلك .

ج - أن إقامة المعارضة والمناقضة بين القرآن و السنة من سنن قوم ابتدعوا في دين الله، وركبوا رؤوسهم نحو متاهات الأهواء المضلة.

د - أن أبا بكره راوي الحديث لم يحمل الحديث على واقعة معينة حدثت في دولة فارس، بل استشرف منه هزيمة أهل الجمل، وهم من خيار الصحابة رضي الله عنهم عندما أسلموا قيادتهم لعائشة أم المؤمنين، و الراوي أعلم بروايته من غيره، والله أعلم.

قال مصنفه: هذا ما رقه بقلمه ونطقه بفمه الراجي من ربه العفو والمغفرة وحسن المصير إليه ويمن القدوم عليه أبو أسامة سليم بن عيد بن محمد بن حسين؛ الهلالي نسباً، السلفي عقيدةً وسلوكاً ومنهجاً، النجدي موطناً، الخليلي الفلسطيني مولداً، الأردني داراً وإقامة، كان الله له، وعفا عنه بمنه وكرمه وفضله وجوده، وقد انتهيت من تصنيفه في ثلاث سنوات متواليات كان آخرها مجالسها ليلة الخميس منتصف شعبان سنة ألف وأربع مئة وسبع عشرة من هجرة رسول الله ﷺ في عمان البلقاء عاصمة جند الأردن من بلاد الشام المحروسة.

فهرس الكتب

٥	٤٦ - كتاب النكاح
٦٥	٤٧ - كتاب الطلاق
٨٧	٤٨ - كتاب النفقات
٨٩	٤٩ - كتاب الأطعمة
١١٩	٥٠ - كتاب الحقيقة
١٢٣	٥١ - كتاب الذبائح والصيد
١٣٣	٥٢ - كتاب الأضاحي
١٤١	٥٣ - كتاب الأشربة
١٧٥	٥٤ - كتاب المرض والطب
١٩١	٥٥ - كتاب اللباس
٢٣٩	٥٦ - كتاب الأدب
٣١٩	٥٧ - كتاب الاستئذان
٣٤٥	٥٨ - كتاب الدعاء
٣٥٩	٥٩ - كتاب الرقاق
٣٧٣	٦٠ - كتاب القدر

٣٧٩

٣٩٣

٣٩٧

٤٢١

٤٣١

٤٣٧

٤٤١

٤٤٧

٤٦٩

٦١ - كتاب الأيمان والنذور

٦٢ - كتاب الفرائض

٦٣ - كتاب الحدود

٦٤ - كتاب الدييات

٦٥ - كتاب استتابة المرتدين

٦٦ - كتاب الإكراه

٦٧ - كتاب التعبير

٦٨ - كتاب الفتن

٦٩ - كتاب الأحكام

فهرس الكتب الفقهية على حروف الهجا

٤٣١	كتاب استتابة المرتدين
٤٦٩	كتاب الأحكام
٢٣٩	كتاب الأدب
٣١٩	كتاب الاستئذان
١٤١	كتاب الأشربة
١٣٣	كتاب الأضاحي
٨٩	كتاب الأطعمة
٤٣٧	كتاب الإكراه
٣٧٩	كتاب الأيمان والنذور
٤٤١	كتاب التعبير
٣٩٧	كتاب الحدود
٣٤٥	كتاب الدعوات
٤٢١	كتاب الديات
١٢٣	كتاب الذبائح والصيد
٣٥٩	كتاب الرقاق
٦٥	كتاب الطلاق

١١٩

٤٤٧

٣٩٣

٣٧٣

١٩١

١٧٥

٨٧

٥

كتاب العقيقة

كتاب الفتن

كتاب الفرائض

كتاب القدر

كتاب اللباس

كتاب المرض والطب

كتاب النفقات

كتاب النكاح

فهرس الموضوعات

- ٤٦ - كتاب النكاح
- ٥ - ٤٦٩ - باب تحريم التبتل والخصاء
- ٦ - ٤٧٠ - باب تحريم النكاح دون ولي وشاهدي عدل
- ١١ - ٤٧١ - باب تغليظ تحريم التحليل
- ١٤ - ٤٧٢ - باب تحريم الخطبة على خطبة الرجل المسلم
- ١٥ - ٤٧٣ - باب تحريم وطء السبايا حتى يستبرئها والحامل حتى تضع
- ١٧ - ٤٧٤ - باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها
- ١٩ - ٤٧٥ - باب المحرمات من النساء
- ٢٣ - ٤٧٦ - باب ما يحرم الجمع بينهن من النساء
- ٢٧ - ٤٧٧ - باب تحريم نكاح الشغار
- ٢٨ - ٤٧٨ - باب تحريم المتعة
- ٣١ - ٤٧٩ - باب تحريم نكاح الدبر
- ٣٥ - ٤٨٠ - باب تحريم نكاح الزانية والزاني
- ٣٩ - ٤٨١ - باب الزجر عن كفران العشير
- ٤٠ - ٤٨٢ - باب الزجر عن أن يتزوج الرجل المرأة العقيم

- ٤١ - ٤٨٣ - باب الزجر أن تأذن المرأة لأحد في بيتها إلا بإذن زوجها
- ٤٢ - ٤٨٤ - باب تحريم أن تهب المرأة نفسها للرجل دون مهر وبيان أنه من خصائص النبي ﷺ
- ٤٤ - ٤٨٥ - باب لا تنكح البكر والثيب إلا برضاها
- ٤٥ - ٤٨٦ - باب تحريم نشر أسرار الجماع
- ٤٦ - ٤٨٧ - باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول على الغريبة
- ٤٨ - ٤٨٨ - باب الزجر عن دخول المخنثين على النساء
- ٥٠ - ٤٨٩ - باب لا تباشر المرأة المرأة
- ٥١ - ٤٩٠ - باب لا يطرق أهله ليلاً
- ٥٣ - ٤٩١ - باب تحريم الميل مع إحدى النساء الضرائر
- ٥٤ - ٤٩٢ - باب الزجر عن الضرب المبرح
- ٥٨ - ٤٩٣ - باب تحريم مصافحة النساء
- ٦٠ - ٤٩٤ - باب لا تطيع امرأة زوجها في معصية
- ٦١ - ٤٩٥ - باب تحريم التبجح والسفور
- ٦٢ - ٤٩٦ - باب لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء
- ٤٧ - ٤٩٧ - كتاب الطلاق
- ٦٥ - ٤٩٧ - باب النهي عن الطلاق في الحيض
- ٦٨ - ٤٩٨ - باب تحريم سؤال المرأة زوجها الطلاق دون بأس
- ٦٩ - ٤٩٩ - باب تحريم تخبيب المرأة على زوجها
- ٧١ - ٥٠٠ - باب لا طلاق إلا فيما يملك
- ٧٣ - ٥٠١ - باب لا تسأل المرأة طلاق أختها

- ٧٣ - ٥٠٢ - باب تحريم أخذ مهر المرأة
- ٧٥ - ٥٠٣ - باب طلاق الهازل
- ٧٧ - ٥٠٤ - باب لا طلاق في إغلاق
- ٧٨ - ٥٠٥ - باب النهي عن إيلاء فوق أربعة أشهر
- ٨٠ - ٥٠٦ - باب تغليظ تحريم الظهار
- ٨٣ - ٥٠٧ - باب نهى المطلقة أن تكتم حملها أو حيضها
- ٨٤ - ٥٠٨ - باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً آخر
- ٤٨ - كتاب النفقات
- ٨٧ - ٥٠٩ - باب لا نفقة للمبتوتة وسكنى
- ٤٩ - كتاب الأطعمة
- ٨٩ - ٥١٠ - باب تحريم الأكل بالشمال
- ٩٠ - ٥١١ - باب الزجر عن الأكل من رأس الطعام
- ٩١ - ٥١٢ - باب الزجر عن التفرق في الطعام
- ٩٢ - ٥١٣ - باب تحريم الأكل والشرب في أنية الذهب والفضة
- ٩٣ - ٥١٤ - باب تحريم تخصيص الأغنياء بالدعوة
- ٩٤ - ٥١٥ - باب الزجر عن القران بين تمرتين إذا أكل جماعة
- ٩٤ - ٥١٦ - باب الزجر عن الأكل متكثراً
- ٩٦ - ٥١٧ - باب النهي عن مسح اليد قبل لعقها
- ٩٦ - ٥١٨ - باب كراهية البيوتة وفي يده غمر
- ٩٧ - ٥١٩ - باب النهي عن التكلف للضيف
- ٩٩ - ٥٢٠ - باب تحريم الأكل منبطحاً

- ١٠٠ - ٥٢١ - باب الزجر عن الجلوس على مائدة عليها منكر
- ١٠١ - ٥٢٢ - باب النهي عن الأكل في أنية المشركين
- ١٠٢ - ٥٢٣ - باب النهي عن السؤال عن طعام وشراب المسلم
- ١٠٥ - ٥٢٤ - باب الزجر عن الأكل حتى الشبع
- ١٠٥ - ٥٢٥ - باب تحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه وما ذبح على النصب
- ١٠٦ - ٥٢٦ - باب تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير
- ١٠٩ - ٥٢٧ - باب تحريم أكل كل ذي ناب ومنخلب
- ١١٠ - ٥٢٨ - باب تحريم الحمر الأهلية
- ١١٢ - ٥٢٩ - باب النهي عن أكل طعام المتباريان
- ١١٣ - ٥٣٠ - باب النهي عن أكل الجثمة
- ١١٤ - ٥٣١ - باب النهي عن أكل الثوم والبصل والكراث
- ١١٥ - ٥٣٢ - باب النهي عن الجلالة
- ١١٧ - ٥٣٣ - باب النهي عن أكل الضب
- ٥٠ - كتاب العقيقة
- ١١٩ - ٥٣٤ - باب لا فرع ولا عتيرة
- ٥١ - كتاب الذبائح والصيد
- ١٢٣ - ٥٣٥ - باب النهي عن تعذيب الذبيحة
- ١٢٤ - ٥٣٦ - باب النهي عن ذبح الشاة الحلوب
- ١٢٤ - ٥٣٧ - باب ما يحرم قتله من الحيوانات
- ١٢٥ - ٥٣٨ - باب النهي عن خصاء البهائم
- ١٢٦ - ٥٣٩ - باب الزجر عن تتبع الصيد

- ١٢٧ - ٥٤٠ - باب ما لا يجوز أكله من صيد الكلاب
- ١٣٠ - ٥٤١ - باب النهي عن صيد البهائم واتخاذها غرضاً
- ٥٢ - كتاب الأضاحي
- ٥٤٢ - باب نهى من دخل عليه عشر ذي الحجة وهو يريد التضحية
- ١٣٣ أن يأخذ من شعره أو من أظافره شيئاً
- ١٣٤ - ٥٤٣ - باب الزجر عن أن يضحي المرء بأنواع من الضحايا
- ١٣٦ - ٥٤٤ - باب النهي عن ذبح الأضحية قبل صلاة العيد
- ١٣٧ - ٥٤٥ - باب النهي عن الأكل من الأضحية فوق ثلاث وبيان أنه منسوخ
- ١٤٠ - ٥٤٦ - باب النهي عن بيع شيء من الأضحية
- ٥٣ - كتاب الأشربة
- ١٤١ - ٥٤٧ - باب النهي عن التنفس في الإناء
- ١٤٤ - ٥٤٨ - باب النهي عن النفخ في الطعام والشراب
- ١٤٥ - ٥٤٩ - باب النهي عن الشرب من فم السقاء
- ١٤٨ - ٤٥٠ - باب النهي عن الشرب من ثلثة القدح
- ١٤٩ - ٥٥١ - باب تحريم الشرب قائماً
- ١٥٢ - ٥٥٢ - باب تحريم الخمر وبيان عقوبة شاربيها
- ١٦٠ - ٥٥٣ - باب أنواع الخمر وبيان علة تحريمها
- ١٦٢ - ٥٥٤ - باب تحريم قليل ما أسكر كثيره
- ١٦٦ - ٥٥٥ - باب تحريم تسمية الخمر بغير اسمها
- ١٦٨ - ٥٥٦ - باب النهي عن انتباز التمر والزبيب مخلوطين
- ١٧٠ - ٥٥٧ - باب النهي عن الانتباز في الأوعية وبيان أنه منسوخ

	٥٤ - كتاب المرض والطب
١٧٥	٥٥٨ - باب الزجر عن إكراه المرضى على الطعام والشراب
١٧٦	٥٥٩ - باب النهي عن النظر إلى المجذوم
١٧٧	٥٦٠ - باب تحريم التداوي بالخمر
١٧٨	٥٦١ - باب تحريم التداوي بالمحرمات
١٨١	٥٦٢ - باب النهي عن الكي
١٨٢	٥٦٣ - باب النهي عن الغمز من العذرة
١٨٣	٥٦٤ - باب تغليظ الزجر من الفرار من الطاعون
١٨٨	٥٦٥ - باب النهي عن سب الحمى
	٥٥ - كتاب اللباس
١٩١	٥٦٦ - باب تغليظ الزجر عن التعري
١٩٤	٥٦٧ - باب تحريم التزوير في اللباس وغيره
١٩٤	٥٦٨ - باب الزجر من لباس الشهرة
١٩٥	٥٦٩ - باب تغليظ الزجر عن تشبه النساء بالرجال والنساء بالرجال
١٩٧	٥٧٠ - باب تحريم نزع المرأة ملابسها في غير بيت زوجها
١٩٨	٥٧١ - باب تحريم لباس الحرير على الرجال وجلوسهم عليه
٢٠٣	٥٧٢ - باب تحريم لبس اللون الأحمر الخالص
٢٠٤	٥٧٣ - باب تغليظ الزجر عن الإسهال
٢٠٩	٥٧٤ - باب النهي عن الصماء والاحتباء
٢١٠	٥٧٥ - باب تحريم افتراش جلود النمار والسباع وركبها
٢١٢	٥٧٦ - باب كراهة ما زاد عن الحاجة من الفراش واللباس

- ٢١٣ - ٥٧٧ - باب النهي عن ستر الجدران
- ٢١٦ - ٥٧٨ - باب تحريم اتخاذ الصور في البيوت
- ٢١٧ - ٥٧٩ - باب النهي عن التزعفر والمعصفر للرجال
- ٢١٩ - ٥٨٠ - باب تحريم صبغ الشيب بالسواد
- ٢٢١ - ٥٨١ - باب النهي عن الترجل كل يوم
- ٢٢٢ - ٥٨٢ - باب تغليظ تحريم تغيير خلق الله بالوصل والنمص والوشم والوشر
- ٢٢٤ - ٥٨٣ - باب تحريم القزع
- ٢٢٥ - ٥٨٤ - باب تحريم الوسم في الوجه
- ٢٢٦ - ٥٨٥ - باب تحريم نتف الشيب
- ٢٢٧ - ٥٨٦ - باب الزجر عن إعفاء الشارب
- ٢٢٨ - ٥٨٧ - باب كراهة كثرة الشعر
- ٢٢٩ - ٥٨٨ - باب تحريم عقد اللحية
- ٢٢٩ - ٥٨٩ - باب تحريم لبس الذهب على الرجال
- ٢٣٣ - ٥٩٠ - باب النهي عن الخاتم في السبابة والوسطى
- ٢٣٣ - ٥٩١ - باب تحريم لبس خاتم الحديد الخالص
- ٢٣٥ - ٥٩٢ - باب الزجر عن المشي في نعل واحد
- ٢٣٨ - ٥٩٣ - باب النهي عن الانتعال قائماً
- ٥٦ - كتاب الأدب
- ٢٣٩ - ٥٩٤ - باب تغليظ تحريم قطيعة الرحم والبغي
- ٢٤١ - ٥٩٥ - باب تغليظ تحريم عقوق الوالدين
- ٢٤٢ - ٥٩٦ - باب الزجر عن السباب

٢٤٤	٥٩٧ - باب تغليظ الزجر عن سب الرجل والديه
٢٤٥	٥٩٨ - باب بثس مطية الرجل
٢٤٧	٥٩٩ - باب الزجر أن يقول : هلك الناس
٢٤٨	٦٠٠ - باب الزجر عن قول : خبثت نفسي
٢٤٩	٦٠١ - باب تحريم قول : ملك الملوك
٢٥٠	٦٠٢ - باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمنافق ونحوهما بسيد
٢٥٠	٦٠٣ - باب النهي عن تسمية العنب كرمًا
	٦٠٤ - باب الزجر عن داء الأمم والتدابير والتحاسد والتباغض
٢٥٢	والتقاطع والتجسس
٢٥٦	٦٠٥ - باب تحريم الفحش ونداء اللسان
٢٥٧	٦٠٦ - باب النهي عن الغضب
٢٥٩	٦٠٧ - باب النهي عن الضحك من الضراط
٢٦٠	٦٠٨ - باب الزجر عن كثرة الضحك
٢٦١	٦٠٩ - باب الزجر عن هجاء المرء القبيلة
٢٦١	٦١٠ - باب الزجر عن التماذج
٢٦٣	٦١١ - باب تغليظ الزجر عن الكذب
٢٦٥	٦١٢ - باب تحريم النيمة
٢٦٧	٦١٣ - باب تغليظ تحريم الغيبة
٢٦٩	٦١٤ - باب ذم ذي الوجهين
٢٧٠	٦١٥ - باب الزجر أن يجلس بين الظل والشمس
٢٧١	٦١٦ - باب النهي عن النوم على سطح ليس له سترة

٢٧٣	٦١٧ - باب النهي عن سكن الكفور
٢٧٤	٦١٨ - باب النهي عن صدور المجالس
٢٧٦	٦١٩ - باب تغليظ الزجر عن قطع السدر
٢٧٨	٦٢٠ - باب النهي عن سب الديك
٢٧٩	٦٢١ - باب النهي عن سب الريح
٢٨٠	٦٢٢ - باب النهي عن سب الشيطان
٢٨١	٦٢٣ - باب الزجر عن احتقار المعروف
٢٨٢	٦٢٤ - باب تحريم لعب النرد
٢٨٣	٦٢٥ - باب الزجر عن تزكية النفس
٢٨٤	٦٢٦ - باب تغليظ عقوبة من خالف قوله فعله
٢٨٦	٦٢٧ - باب الزجر عن ترك التحدث بنعمة الله
٢٨٧	٦٢٨ - باب الزجر عن سوء الجوار
٢٩١	٦٢٩ - باب النهي عن إرسال الفواشي والصبيان بعد المغرب
٢٩١	٦٣٠ - باب تغليظ الزجر عن قتل الولد خشية أن يأكل معه
٢٩٣	٦٣١ - باب لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين
٢٩٤	٦٣٢ - باب الزجر عن التنابز بالألقاب
٢٩٥	٦٣٣ - باب ما يكره من التثاؤب
٢٩٦	٦٣٤ - باب من لا يشمت إذا عطس
٢٩٨	٦٣٥ - باب النهي عن التسمية بالأسماء المكروهة
٢٩٩	٦٣٦ - باب النهي عن التقعير في الكلام
٣٠٢	٦٣٧ - باب تغليظ تحريم الكبر والعجب والفخر

- ٦٣٨ - باب تغليظ تحريم المجاهرة وإشاعة الفاحشة
- ٦٣٩ - باب ما يكره من الأسماء
- ٦٤٠ - باب الزجر عن قول المرء : قبح الله وجهك
- ٦٤١ - باب زجر المرء أن يستعمل في أسبابه اللو
- ٦٤٢ - باب الزجر عن قول المرء لما حرث : زرعت
- ٦٤٣ - باب ما يكره من كثرة الشعر
- ٦٤٤ - باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله
- ٦٤٥ - باب تغليظ تحريم الغناء
- ٥٧ - كتاب الاستئذان
- ٦٤٦ - باب النهي عن النجوى دون إذن
- ٦٤٧ - باب النهي أن يقام الرجل من مجلسه
- ٦٤٨ - باب الزجر عن الجلوس بين رجلين إلا بإذنهما
- ٦٤٩ - باب النهي عن انصراف الزائر قبل الاستئذان
- ٦٥٠ - باب النهي عن الجلوس على الطرقات إلا بحقها
- ٦٥١ - باب زجر النساء عن وسط الطريق
- ٦٥٢ - باب تحريم النظر في بيت غيره
- ٦٥٣ - باب زنا الجوارح دون الفرج
- ٦٥٤ - باب النهي عن إفشاء السر
- ٦٥٥ - باب النهي عن الكلام قبل السلام
- ٦٥٦ - باب النهي عن تحية الموتى
- ٦٥٧ - باب تحريم ابتداء الكافر بالسلام

٣٠٥	٦٥٨ - باب الزجر عن التسليم بالأكف والأصابع	٣٣٥
٣٠٦	٦٥٩ - باب الزجر عن سلام المعرفة	٣٣٦
٣٠٨	٦٦٠ - باب كراهة قول المستأذن : أنا	٣٣٨
٣٠٩	٦٦١ - باب الزجر عن ترك النار في البيت عند النوم	٣٣٨
٣١٠	٦٦٢ - باب إثم من أحب أن يتمثل له الناس قياماً	٣٣٩
٣١١	٦٦٣ - باب كل لهو باطل إلا ما استثنى	٣٤١
٣١٣	٥٨ - كتاب الدعوات	
٣١٥	٦٦٤ - باب الزجر عن ترك الدعاء	٣٤٥
	٦٦٥ - باب الزجر عن الاعتداء في الدعاء	٣٤٦
٣١٩	٦٦٦ - باب الزجر عن شرود القلب عند الدعاء	٣٤٧
٣٢١	٦٦٧ - باب الزجر عن قول : إن شئت عند الدعاء	٣٤٨
٣٢٣	٦٦٨ - باب الزجر عن الاستعجال في الدعاء	٣٤٩
٣٢٣	٦٦٩ - باب الزجر عن الدعاء بإثم أو قطيعة رحم	٣٥٠
٣٢٤	٦٧٠ - باب الزجر عن ترك الصلاة على النبي ﷺ	٣٥١
٣٢٥	٦٧١ - باب الزجر عن تمنّي البلاء	٣٥٢
٣٣٠	٦٧٢ - باب الزجر عن الدعاء بظهور الأكف	٣٥٣
٣٣١	٦٧٣ - باب النهي عن السجع بالدعاء	٣٥٤
٣٣١	٦٧٤ - باب تحريم اللعن	٣٥٥
٣٣٢	٥٩ - كتاب الرقاق	
٣٣٣	٦٧٥ - باب الزجر عن كثرة الكلام	٣٥٩
٣٣٥	٦٧٦ - باب الزجر عن محقرات الذنوب	٣٦١

- ٣٦٣ - ٦٧٧ - باب الزجر عما يعتذر منه
- ٣٦٣ - ٦٧٨ - باب الزجر عن إرضاء الناس بسخط الله
- ٣٦٥ - ٦٧٩ - باب النهي عن التنعم
- ٣٦٦ - ٦٨٠ - باب الزجر عن فتنة المال والاستكثار فيه وإضاعته
- ٣٦٨ - ٦٨١ - باب تحريم طلب الرزق بمعصية الله
- ٣٦٩ - ٦٨٢ - باب الزجر عن التنافس في الدنيا
- ٣٧٢ - ٦٨٣ - باب ما يكره من البنیان
- ٦٠ - كتاب القدر
- ٣٧٣ - ٦٨٤ - باب الزجر عن الخوض في القدر
- ٣٧٥ - ٦٨٥ - باب القدريّة مجوس هذه الأمة
- ٣٧٦ - ٦٨٦ - باب التحذير من إنكار القدر والتبري عن لا يؤمن به وإغلاظ القول في حقه
- ٦١ - كتاب الأيمان والنذور
- ٣٧٩ - ٦٨٧ - باب تغليظ تحريم اليمين الغموس
- ٣٨٠ - ٦٨٨ - باب الزجر عن اليمين الأثمة عند منبر رسول الله ﷺ
- ٣٨٢ - ٦٨٩ - باب النهي عن الحلف في قطيعة الرحم أو فيما لا يصلح
- ٣٨٤ - ٦٩٠ - باب النهي عن النذر
- ٣٨٦ - ٦٩١ - باب لا نذر في معصية
- ٣٨٩ - ٦٩٢ - باب إثم من لا يفي بالنذر
- ٣٩٠ - ٦٩٣ - باب لا نذر ولا يمين فيما لا يملك
- ٦٢ - كتاب الفرائض

- ٣٩٣ - ٦٩٤ - باب لا يرث القاتل
- ٣٩٤ - ٦٩٥ - باب لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر
- ٦٣ - كتاب الحدود
- ٣٩٧ - ٦٩٦ - باب تغليظ تحريم الزنى
- ٤٠٠ - ٦٩٧ - باب تغليظ الزجر عن السرقة
- ٤٠٢ - ٦٩٨ - باب ما لا قطع فيه
- ٤٠٦ - ٦٩٩ - باب تغليظ تحريم قذف المحصنات المؤمنات
- ٤٠٨ - ٧٠٠ - باب تغليظ الزجر عن عمل قوم لوط
- ٤١٠ - ٧٠١ - باب تحريم إتيان البهيمة وبيان حده
- ٤١٢ - ٧٠٢ - باب الزجر عن سب المحدودين
- ٤١٣ - ٧٠٣ - باب الزجر عن الشفاعة في الحدود
- ٤١٦ - ٧٠٤ - باب الزجر عن إقامة الحدود على الضعفاء دون الشرفاء
- ٤١٧ - ٧٠٥ - باب لا يقام الحد على المجنون والمجنونة
- ٤١٨ - ٧٠٦ - باب الزجر أن يجلد في غير حد أكثر من عشرة أسواط
- ٦٤ - كتاب الديات
- ٤٢١ - ٧٠٧ - باب لا يؤخذ أحد بجزيرة أحد
- ٤٢٣ - ٧٠٨ - باب تغليظ تحريم طلب دم امرئ بغير حق
- ٤٢٣ - ٧٠٩ - باب تغليظ الزجر عن الانتحار
- ٤٢٦ - ٧١٠ - باب الزجر عن منع أولياء المقتول من القاتل العمد
- ٤٢٧ - ٧١١ - باب لا يقتل الوالد بالولد
- ٤٢٨ - ٧١٢ - باب لا يقتل مسلم بكافر

- ٦٥ - كتاب استتابة المرتدين
- ٧١٣ - باب إثم من بدل دينه وعقوبته ٤٣١
- ٧١٤ - باب تحريم قتل من أسلم على أي دين كان ٤٣٤
- ٦٦ - كتاب الإكراه
- ٧١٥ - باب لا يجوز نكاح المكره ٤٣٧
- ٧١٦ - باب الزجر عن الإكراه على الزنى ٤٣٧
- ٦٧ - كتاب التعبير
- ٧١٧ - باب تغليظ تحريم الكذب في الحلم ٤٤١
- ٧١٨ - باب لا يخبر المرء برؤيا يكرهها ٤٤٥
- ٧١٩ - باب لا يقص الرؤيا التي يحبها إلا على عالم أو محب ٤٤٦
- ٦٨ - كتاب الفتن
- ٧٢٠ - باب الزجر عن مفارقة الجماعة ونكث البيعة ٤٤٧
- ٧٢١ - باب الزجر عن التحريش بين المسلمين ٤٥٢
- ٧٢٢ - باب تحريم اقتتال المسلمين ٤٥٣
- ٧٢٣ - باب الزجر عن الإشارة إلى مسلم بسلاح ٤٥٤
- ٧٢٤ - باب تغليظ الزجر عن إخافة المسلم بالليل ٤٥٦
- ٧٢٥ - باب لا يذل المؤمن نفسه ٤٥٧
- ٧٢٦ - باب الزجر عن النصيح للسلطان المسلم علانية أو إهانتة ٤٥٩
- ٧٢٧ - باب الزجر عن إتيان باب السلطان ٤٦٢
- ٧٢٨ - باب الزجر عن التعرب بعد الهجرة ٤٦٥
- ٦٩ - كتاب الأحكام

- ٧٢٩ - باب تغليظ تحريم الحكم بغير ما أنزل الله ٤٦٩
- ٧٣٠ - باب الزجر عن طلب الإمارة ٤٧٣
- ٧٣١ - باب تغليظ زجر الحكام عن غش الرعية وظلمها ٤٧٧
- ٧٣٢ - باب زجر السلطان عن تتبع عورات المرعية ٤٧٩
- ٧٣٣ - باب الزجر عن إدخال الناس في الضرر والمشقة ٤٨٠
- ٧٣٤ - باب الزجر عن الفجور في الخصومة ٤٨٢
- ٧٣٥ - باب ما يكره للقاضي عند القضاء ٤٨٣
- ٧٣٦ - باب تحريم الرشا في الحكم وغيره ٤٨٦
- ٧٣٧ - باب الزجر عن استعمال النساء في الحكم ٤٨٨

* * *

التنفيذ الإلكتروني والإخراج الفني

دار الحسن للنشر والتوزيع - هاتف ٤٦٤٨٩٧٥ - فاكس ٤٦٤٨٩٧٥ - ص ب ١٨٢٧٤٢ - عمان ١١١١٨ - الأردن